الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي بونعامة ـ خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

دور حمد بن محمد المرجبي في دواخل القارة الإفريقية (1830 - 1905)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطالبتين :

ـ بن رابح شناز

ـ محاجبية فطومة

بإشراف:

. د/ نور الدين شعباني

السنة الجامعية :

2020/2019 ، الموافق لـ 1442/1441هـ.

الشكر والتقـدير

إننا نخطو خطواتنا الأخيرة في حيـاتنا الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها هنا في حضن رحابها، وقبل أن نمضي تُقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين وأخص بالتقدير والشكر.

الدكتور نور الدين شعباني الذي نتفضل بشكره على دعمنا طوال مسار رحلتنا وإرشادنا ، فله جزيل العرفان والتقدير .

وأكرر تقديري وشكري على كل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لنا العون ومد لنا يد المساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة ونخص بالذكر الدكتور سليماني يوسف الذي أوانا بملاحظاته الهادفة والدكتور إبراهيم بتقة على إرشادنا ولكل أستاذ علمنا وأزال غيمة جهل مررت بها برياح العلم الطيبة أبعث تحية شكر واحترام .

كذلك يسعدني في هذه المناسبة أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لسعادة الدكتور سعد الله الشهري بجامعة أم القرى حيث أمدنا ببعض الوثائق و الكتب ذات صلة بموضوع البحث ولم يكتفي بذلك بل عمل على إرشادنا طوال مسار دراستنا وعلى عطائك الدائم تقف حروفنا عاجزة أن تكتب لك كل ما حاولنا ولا نجد إلا العرفان على ما قدمت لنا ، كذلك الدكتور سليمان المحذوري الذي أمدنا ببعض الكتب، صاحب الفضل في توجيهنا ومساعدتنا في تجميع المادة البحثية فجزاه الله كل خير.

جزيل الشكر والعرفان إلى عضوي لجنة المناقشة اللذان تفضلا بقراءة هذا البحث لمناقشته والتوجيه الصحيح لنا فجزاهما الله خيرا .

وختاما .

الإهـــــداء

إلى من ظلت تناجي الله في دجى الليل

تسـأله التوفيق في كل خطوة أخطوها ، إلى الينبوع

الذي لا يمل من العطاء

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها ، إلى جنتي ،

أمي -

إلى من سعى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل

دفعي في طريق النجاح الذي شجعني لارتقاء سلم العلم ، إلى والدي .

إلى من شاركتني صبح جميل ، إلى من لا وطن يغني عنها ولا دنيا تقارن بها ،

أدام الله ضحكتها وجعل البسمة لا تغيب عنها ، جدتي .

إلى سندي عند الحاجة ميرال .

إلى كل من فاطمة ، إيمان ، زهرة ، وصال .

إلى زميلتي التي شاركتني عناء البحث ولذة النجاح .

و إلى عائشة قندوز الحالمة بغد أفضل .

شناز

بســـم اللـــــه الـــرحمن الـــرحـــــــــــيم

الحمد لله رب العالمين، سبحانه جل جلاله الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع

اللـــــهم صلي وسلم على خاتم الأنبياء نبيينا ورسولنا الكريم

محمد عليه أزكى الصلوات والسلام

وعلى آله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين

أما بـــــــــــعد:

إلى اللذان كرمهما الله ورفعا شأنهما والدي الكريمان، من لمست منهما الدعم الدائم

إلى الأستاذ المشرف "د. نور الدين شعباني"، لمساندته الدائمة لنا،

وكل الأساتذة الكرام في هذا التخصص، حفظهم الله جميعا

إلى كل أصدقائي ورفقائي طلبة السنة الثانية ماستر عامة

وطلبة تخصص افريقيا جنوب الصحراء خاصة،

إلى شريكتي في المذكرة لتعاونها وتواصلها دوما

أهديهم هذا العمل المتواضع.

فطومة

قائمة المختصرات

تح ، تحقيق

تر ، ترجمة

ص ، صفحة

ج ، جزء

مج ، مجلد

ط ، طبعة

د د ن ، دون دار النشر

د س ن ، دون سنة النشر

ملخص الدراسة:

عرفت منطقة شرق افريقيا أيام الحكم العماني ازدهارا كبيرا راجعا للاحتكاك المستمر بين السكان الأصليين والعنصر العربي، حيث عُرف هذا الأخير بتأثيره الكبير في نشر معالم الدين الإسلامي والثقافة العربية وسط المجتمعات الافريقية، وقد ساهم في ذلك عدة شخصيات من علماء وتجار، من بينهم [حمد الدين المرجبي– تيبوتيب] التاجر العماني الذي برزت حنكته في عمر مبكر، فقد نشأ في عائلة تجارية كبيرة التي ورث عنها الاسم والشغف، الأمر الذي هيأ له الطريق نحو مسيرته فانطلق من زنجبار ثم إلى ارض الأونيامونزي عبورا ببحيرة تنجانيقا ليصل الى حوض الكونغو ويؤسس فيها مملكته التي اكتسب بفضلها لقب الفاتح، واستطاع أن يخضع فيها القبائل المعارضة ويقيم مملكة عربية ذات طابع إسلامي ذاع صيتها في القرن ال19، لكن ذلك لم يدم طويلا حين القت بلجيكا بأنظارها نحو الكونغو متطلعة هي الأخرى بكسب مستعمرات في الخارج ومنافسة الدول الأوروبية وكسب وجود على المسرح العالمي.

Abstract :

The East African area witnessed a great prosperity during the days of Omani rule due to the constantfriction between the indigenous and the Arab, where the Arabs was known for its great influence in spreading the features of Islamic religion and Arab culture among African societies.Several personalities of scholars and merchants, among them (Hamad Al-Din Al-Murjebi - Tippu Tip)

The Omani merchant who emerged from an early age, he grew up in a large merchant, family from which he inherited the name and passion, which paved the way for him towards his march. So he set out from Zanzibar and then to the land of the Unyamunzi, crossing Lake Tanganyika to reach the Congo Basin and establish his kingdomthanks to which he acquired the title of "conqueror" and he was able to subjugate the tribes and establish an Arab kingdom with an Islamic character that became famous in the 19th century. But that did not last long when Belgium met its eyes on the Congo, as it is also looking to win colonies abroad, compete with European countries, and gain a presence on the world stage.

مقـــدمة

مقدمة :

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بالإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .

شهدت منطقة شرق إفريقيا خلال القرن التاسع عشر تطورات سياسية واقتصادية هامة كان لها عظيم الأثر في رسم تاريخها، حيث مكنت العرب من الاستقرار وسمحت لهم بتأسيس مراكز ومستوطنات على أعقابها بدءوا يدخلون أفرادا إلى دواخل القارة عبر نشاطهم التجاري إلى غاية وصولهم إلى منطقة الكونغو .

إذ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر نجح العرب في مد نفوذ سلطنة زنجبار في البر الإفريقي ووصلوا إلى حوض الكونغو الأعلى، حيث ارتبط وجودهم الإسلامي بشخصية عربية عمانية عملت على تأكيد هذا الوجود وحققت دورا هاما في البناء الحضاري لتلك المنطقة، كما قامت بتأسيس أول كيان سياسي عربي في منطقة حوض الكونغو إلا وهي شخصية حمد بن محمد بن جمعة المرجبي المعروف باسم شهرته تيبوتيب .

فقد مثلت شخصية حمد المرجبي حلقة من سلسلة الشخصيات العربية الإفريقية التي أسهمت بشكل واضح في وضع بصمتها على التاريخ الإفريقي الحديث وتحديدا في شرق ووسط القارة فكان مكملا لما مثلته سلطة زنجبار من إشعاع حضاري وفكري ، حمد المرجبي لم يكن سوى مثالا لرجل لا يعرف المستحيل وأسطورة ذات شهرة واسعة سارت وسرت خارقة حدود القارات واللغات والثقافات .

وتوفرت في حمد المرجبي عوامل معينة صنعت رواجه وذياع صيته ولعل من أهم هذه العوامل هي المؤهلات القيادية والكاريزما التي برزت لدى تيبوتيب بسماتها منذ بداية حياته العملية كذلك العامل التاريخي فقد زامن تيبوتيب عصر الكشوفات الجغرافية، تلك الحركة الاستكشافية النشطة التي ما كان لها أن تتم لولا الجهود الخفية لحمد المرجبي، ويكفينا أن نذكر شيئا من تلك الجهود المبذولة التي نعلمها تماما عنه في دراستنا المتواضعة هذه .

ومن هنا جاءت أهمية دراستنا لموضوعنا محاولين إبراز الدور الذي اضطلعت به هذه الشخصية العربية في إقامة أول كيان سياسي بداخل القارة الإفريقية فضلا عن دوره المهم في إعطاء صورة واضحة عن مناطق إفريقيا الداخلية التي لم تكن معروفة حتى لدى المستكشفين الأوروبيين الأوائل، وهذا ما اعترف به معظمهم، إذ وبفضل استعانتهم بحمد المرجبي تمكنوا من وضع صورة صحيحة كاملة عن وسط افريقيا وغيرها من مناطق، أيضا تسليط الضوء على التراث العربي الإسلامي الذي لا يزال يحتاج إلى مزيد من الكشف عنه كذلك قلة الدراسات العربية بشكل عام التي تناولت هذه المواضيع عن شخصيات عربية كان لها جزءا مساهم في إحداث تغيير على مستويات حضارية مختلفة في القارة الإفريقية .

ولعل أبرز سبب لاختيارنا موضوعنا هذا وأهميته تعود للمغالطات التاريخية التي حشوها المؤرخون الأوروبيون في كتبهم حول شخصية حمد بن محمد المرجبي بوجه أو بدون وجه بل وقد قامت حتى بعض من الكتابات العربية بنقل هذه المغالطات التي سعت لتشويه صورة حمد المرجبي وإدانته بتهم ليس بها أساس من الصحة .

واستجابة لمستلزمات منهجية البحث الأكاديمي كان علينا في هذا الموضوع الإجابة إشكالية أساسية تتمثل في التساؤل التالي: **إلى أي مدى أسهم نشاط حمد المرجبي بدواخل القارة الإفريقية في تغيير الأوضاع الحضارية لمنطقة حوض نهر الكونغو ؟**

كما تفرعت هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات للإحاطة بمختلف أجزاء و عناصر الموضوع والتي تتمثل فيما يلي: ما هي أبرز العوامل المؤدية لدخوله الكونغو ؟ وماهي أهم المعالم الحضارية التي رسخها في دولته ؟ ما مدى جهود حمد المرجبي في تذليل الطريق الموصلة للمستكشفين الغربيين والمنصرين ؟ كيف تمكن الملك ليوبولد الثاني من توظيف حمد المرجبي زعيم المانييما وصاحب السلطة العليا لخدمة أغراضه في الكونغو ؟

وتطلب بحثنا في الموضوع الاعتماد على المنهج التاريخي القائم على تجميع المادة العلمية من المصادر المختلفة وذلك لتقرير أحداث ووقائع تاريخية ماضية عبر تحليلها ونقدها وتركيبها بموضوعية بحتة .

وللإجابة على الإشكالية الرئيسية وتساؤلاتنا الفرعية اعتمدنا على خطة تحتوي من خلالها الدراسة على مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول بالإضافة إلى الخاتمة.

مقدمة تحدثنا عن أهمية الدراسة وأساب اختياره والوقوف على أهم مصادر التي لجأنا إليها في دراستنا وبعض مراجعها .

الفصل الأول الموسوم بعنوان " **حمد بن حمد المرجبي في دواخل القارة الإفريقية**".

وقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ، حيث تطرقنا فيه إلى الأوضاع البشرية والجغرافية لمنطقتي تنزانيا والكونغو من أصل السكان وطبيعة المنطقة كذلك الثروات التي تزخر بها بالإضافة إلى تحدثنا عن أهم الكيانات السياسية خلال تلك الفترة ولمحة عامة حول الأوضاع السياسة التي سادت منطقة تنزانيا إثر الاستعمار البرتغالي لساحل شرق إفريقيا أما المبحث الثاني فتحدث عن نسب حمد بن محمد المرجبي ثم مولده ونشأته الأولى، ثم أشرنا في المبحث الثالث إلى أهم الرحلات التي قام بها حمد المرجبي في دواخل إفريقية.

الفصل الثاني والمعنون بـ " **قيام دولة حمد المرجبي وعلاقاته الخارجية** " .

ومن خلاله تطرقنا إلى قيام دولة حمد المرجبي وأهم العوامل التي دفعته لتوجه نحو منطقة الكونغو وتنظيم دولتهّ، كما تطرقنا إلى علاقته مع سلطنة زنجبار وحكامها وأهم ما قامت عليه هذه بالإضافة إلى تحدثنا عن علاقته بأهم زعماء القبائل الإفريقية في دواخل القارة الإفريقية كذلك صلته بالأوروبيين المستكشفين منهم والمنصرين .

كما تضمن هذا الفصل أهم نقطة في بحثنا المتمثلة في نشاط حمد المرجبي بتجارة العبيد،وقد ناقشنا هذا الموضوع من خلال إرجاع الأمور إلى ظواهرها وأصولها فضلا عن ملابساتها التاريخية مع التركيز على الأساليب والآثار التي أحدثتها تجارة الرقيق الأوروبية مقارنة بتجارة حمد المرجبي للرقيق .

أما الفصل الثالث فقد كان موسوما بـ " **الاستعمار البلجيكي في الكونغو والصراع مع حمد بن محمد المرجبي** " . وتناول هذا الفصل ثلاثة بداية اهتمام الملك ليوبولد بإفريقيا وكونه الممهد

مقدمة

لنقطة تحول هامة في تاريخ الكونغو تأسيسه لدولة الكونغو الحرة بعام 1885م بعدما تم عقد مؤتمر برلين الثاني .

كما تناولنا واقع العلاقات العربية البلجيكية قُبيل تأسيس دولة الكونغو الحرة ثم التغير الذي طرأ عليها إثر ذلك من بوادر الأولى لصراع العربي البلجيكي والنتائج المترتبة عنه.

والخاتمة وذكرنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج من خلال دراستنا المتواضعة التي أرافقناها بمجموعة من الوثائق المنشور منها والغير منشورة ومجموعة من الخرائط.

وقد اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من الوثائق التي وفقنا في الحصول عليها وبعض المصادر الضرورية بالإضافة إلى مراجع مهمة لا يمكن الاستغناء عنها ، وبداية بـ :

أولا : الوثائق .

ومنها المنشور وغير المنشور والمترجم والغير مترجم ، وهي وثائق تناولت جوانب عديدة من الدراسة فشملت علاقة حمد المرجبي بسلطنة زنجبار و وثائق من محاكمة حمد المرجبي رفقة محمد بن خلفان في زنجبار كذلك احتوت على بعض المخططات السرية التي أرسلها الملك ليوبولد الثاني إلى وكلائه في الكونغو الحرة ، وقد أفادتنا هذه الوثائق بمعرفة كبيرة .

ثانيا : المصادر .

من أبرز المصادر التي اعتمدنا عليها في دراستنا كتاب **مغامر عماني في أدغال إفريقيا** والمعنون تحت عنوان آخر حياة حمد بن محمد بن جمعة المرجبي المعروف بتيبوتيب ، وهذا المصدر عبارة عن سيرة ذاتية كتبها حمد المرجبي بنفسه باللغة السواحيلية ثم ترجمت إلى الإنجليزية وبعدها قام الدكتور محمد المحروقي بترجمتها للغة العربية ، ويتحدث المصدر عن أهم الأحداث التي شهدها حمد المرجبي في حياته بداية من انطلاقته الأولى إلى غاية تتويجه بالمُلك في الكونغو وسقوط دولته كذلك محاكمته ووفاته والجدير بالذكر في هذا المصدر أن راوي الأحداث حمد المرجبي قد كتب سيرته بعد مرور أعوام عديدة ما جعله يتفاوت أحيانا في سرد الوقائع بالإضافة إلى المبالغة في ذكر انجازاته .

أيضا اعتمدنا في دراستنا على كتاب **سقوط عرب الكونغو** لمؤلفه سيدني هايند وهو ضابط وطبيب بلجيكي يتحدث عن الصِدمات التي وقعت بين القوتين العسكريتين العربية والبلجيكية في الكونغو في منعطف القرن التاسع عشر ويعرض الأحداث من وجهة النظر الأوروبية المحضة في مواجهة صريحة مع رواية حمد المرجبي التي أوردها في مذكراته ، ويعرض الكاتب تفاصيل حياة سكان الكونغو في ذلك الوقت فجمع بين الانثروبولوجيا والتاريخ والسيرة الذاتية .

كذلك كتاب **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار** لسعيد بن علي المغيري وقد اعتبرنا هذا المصدر بمثابة المعين الذي استطاع أن يدلنا على العلاقات التي ربطت بين زنجبار ودواخل افريقيا عبر الحقب التاريخية وعن رحلات العرب إلى رحلاتهم الأولى إلى الكونغو خصوصا حمد المرجبي .

كأي طالب يسعى لنيل المعرفة لابد من صعوبات تواجهه خلال رحلته من نقص وثائق والكتب المُلمة بالدراسة إلى جانب الأزمة الصحية العالمية المتعلقة بالوباء، الذي شكل حاجزا في ظل سعينا لإتمام دراستنا .

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا وأن تكون محاولتنا البسيطة قد منحت الفرصة لنا ولغيرنا في الولوج إلى باب البحث العلمي فإن أصبنا وحققت هذه الدراسة ما ترجوه فذلك من توفيق الله وحده وإن بدا خطأ أو تقصير فذلك من أنفسنا ، وما الكمال إلا الله وحده .

الفصل الأول

حمد بن محمد المرجبي
في دواخل القارة الإفريقية

- **أولا : لمحة عن الأوضاع العامة لشرق إفريقيا والكونغو من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر.**

1. تحديد الإطار الجغرافي والسكاني لمنطقتي تنزانيا والكونغو .

. تعريف بمصطلح شرق إفريقيا :

يُطلق مصطلح شرق إفريقيا على المنطقة الواقعة بين مقديشو الواقعة على خط عرض 2° شمالا ، ورأس دلجادو الواقع على خط عرض 10° و 42° جنوبا [1] ، وتنتهي الحدود الغربية لهذه المنطقة عند خط طول 30° شرقا، حيث يضم كل من كينيا وأوغندة و تنجانيقا، كما تعد رواندا وبوروندي جزءا من هذا الإقليم، وقد ركزنا في هذه الدراسة على منطقة تنزانيا بالتحديد والجزر المجاورة لها[2].

أ ـ تـنزانيا:

أ . جغرافية تنزانيا :

أ ـ1. الموقع:

تعتبر تنزانيا من أوسع بلاد شرقي إفريقيا، نشأت جراء اتحاد كل من إمارتي تنجانيقا وزنجبار[3]، حيث تقع تنجانيقا في شرقي إفريقيا بين دائرتي 42°-1°، 35°-12° جنوب خط الاستواء، ومابين خطي طول 52°-29°غربا، و 1°-40°شرقا ، حيث يحدها من الشمال كينيا وبحيرة فيكتوريا وأوغندة، ومن الغرب الكونغو بالإضافة إلى روديسيا الشمالية وبحيرة نياسا، ويحدها من الجنوب موزمبيق، أما من الشرق فيحدها المحيط الهندي أين توجد ثلاث جزر كبرى إضافة إلى عدد من الجزر الصغيرة، أما الجزر الكبرى فهي جزيرة بمبا وجزيرة زنجبار ومافيا ، كما تبلغ مساحتها 948.087 كلم [4].

---

[1] . سليمان بن سعيد الكيومي ، **الحركة العلمية في زنجبار وساحل شرق إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي** ، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء ، عمان ، د س ن ، ص 20 .

[2] . فتحي محمد أبو عيانة ، **جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء**، كلية الآداب ، دار المعرفة الجامعية ، موتير . إسكندرية، 2013، ص 437 .

[3] . العقاد عبد الغني، **الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية**، دار المريخ للنشر، ط2 ،الرياض، 1982، ص 182.

[4] . شاكر محمود، **تنزانيا**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1971م، ص 41.

أ ـ 2. المناخ :

تقع تنزانيا ضمن المنطقة الاستوائية، لكن بسبب إشرافها على المحيط الهندي في الشرق وارتفاع أرضها، فقد ساهم ذلك في وجود مناخ مختلف عن المناخ الاستوائي، سواء في درجة الحرارة أو الرياح أو الأمطار، فدرجة حرارتها تكون مرتفعة في المناطق الساحلية وكلما زاد الارتفاع عن مستوى سطح البحر انخفض معدل الحرارة، خاصة في المرتفعات الجبلية، وتهب على المنطقة رياح موسمية تختلف بين الصيف والشتاء بخصوص اتجاهاتها، ففي الصيف تهب رياح تجارية جنوبية ويكون اتجاهها من الجنوب الشرقي، أما في الشتاء فتهب الرياح الشمالية الشرقية القادمة من آسيا وتكون هذه الرياح مسايرة للساحل، وهذا في شمال تنجانيقا، أما المناطق الجنوبية والوسطى فهي تتميز بإقليم مداري وإقليم المناخ الساحلي الموسمي الذي يتميز بأعلى كمية للأمطار[1] .

أ ـ 3. التضاريس :

تشمل أراضي تنجانيقا ثلاث مناطق تضاريسية في أغلبها تتكون من هضبة واسعة تحاصر سهلا ساحليا ضيقا نحو الشرق، يمتد هذا الشريط السهلي على طول الساحل ويتراوح عرضه ما بين 15 – 85 كم، ويبلغ أقصى عرض له في المنطقة الوسطى بينها يضيق في الشمال والجنوب، وتعد الهضبة الوسطى كتلة تضاريسية كبرى متمركزة على حدودها الشمالية، حيث ترتفع مباشرة بعد السهل الساحلي، حيث يصل ارتفاعها حتى 1400م، تقطعها عدة أخاديد تجعلها على شكل كتل جبلية بركانية منفردة ، كما يحدها من الشرق سلسلة من المرتفعات والتلال كجبال تجور وجبل كلمنجارو الذي يعتبر من أعلى القمم في القارة الإفريقية وتبلغ قمته 5963م [2].

كما نجد بحيرات منتشرة في المناطق الواسعة منه، ومن أهم هذه البحيرات نذكر بحيرة فيكتوريا ذات نباتات كثيفة ومن هذا الخليج يخرج نهر النيل مجتازا شلالات ريبون، كما أنه

---

[1] . شاكر محمود ، مرجع سابق ، ص . ص 43 . 44 .

[2] . عبد القادر مصطفى وآخرون، **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، ليبيا ، 2000م، ص . ص 199 . 200.

يصب فيها نهر كاجيرا المؤلف مجموعة من المستنقعات العظيمة، بالإضافة إلى بحيرة نياسا المحاطة بجبال وتضاريس عالية كجبال رونغوي في الشمال وبحيرة تنجانيقا [1].

ب / الثروة النباتية والحيوانية:

نجد في إفريقيا الشرقية الغابة الاستوائية منقسمة على قسمين إما على شكل شرط ضيقة أو كتل منفردة فعلى طول الساحل تنتشر النباتات المستنقعية المعروفة باسم مانغروف[2]، كما تنتشر على الساحل أشجار جوز الهند وفي الداخل غابة موازية للساحل وهذه الغابة لا تشبه أبدا الغابة الكونغية حيث يوجد هنا الأرز والخيزران والسيزل[3] والقرنفل والفول السوداني، وبالتالي فسافانا إفريقيا الشرقية تشبه الجسر الذي نصب فوق خط الاستواء تشمل الحياة النباتية فيها على مساحات شبه جرداء كبيرة تعيش فيها الوعول الكبيرة والغزلان وأسراب حمير الوحش والجواميس الوحشية وقطعان الفيلة والزرافات والكركدن والأسود والضباع والفهود، وبهذا استطاع الإنسان أن يستأنس هذه المناطق لتمكنه من الصيد كما يعيش من الرعي والزراعة [4] .

2 . التركيبة السكانية لتنزانيا :

إن اعتدال المناخ و انفتاح تنزانيا على السواحل و على التجارة الخارجية ساهم في التنوع البشري و الدماء والعروق في تنزانيا، لكن تغلب عليهم الدماء الزنجية ، ويوجد في بعض المناطق جماعات كبيرة حامية أو عربية ذو بشرة فاتحة وتعابير رقيقة، ولكن أغلبهم ذو بشرة سوداء وقامة متوسطة بنية يمثلون العرق الزنجي القوي، ويحسنون الأعمال الموسمية ويتقنون الزراعة [5]، ونستطيع أن نلاحظ عددا من الأجناس يمكننا أن نصنفهم إلى قسمين هما:

---

[1] . العقاد عبد الغني، مرجع سابق، ص 183 .

[2] . **المانغروف** ، أو الأيكة الساحلية تتواجد في المناطق الاستوائية تعمل على تقليل تيارات المد والجزر وتسبب ترسبا هائلا في الطين ، للمزيد انظر : مهدي صالح عبد الخالق والخليوي عبد الوالي أحمد ، **الجغرافيا النباتية** ، دار الصفاء للنشر ، ط1، عمان ،1999 ، ص 40.

[3] . **السيزل** ، نبات عشبي أصله أمريكي ، يستعمل في صناعة الحبال للأعمال البحرية كما يستعمل في صناعة الحقائب والأكياس ، أدخلت زراعته إلى تنجانيقا عام 1893م ، للمزيد أنظر : رياض محمد وكوثر عبد الرسول، **إفريقيا دراسة لمقومات القارة** ، دار النهضة العربية ، ط2 ، بيروت ، 1973 ، ص 630 .

[4] . شاكر محمود، مرجع سابق ، ص . ص 44 . 47 .

[5] . العقاد عبد الغني، مرجع سابق، ص 210.

أ / . **السكان الأصليون:** وهم مجموعات مختلفة يمثلون نسبة 98 من المائة ويتألفون من أكثر من 200 مجموعة قبلية نذكر منها :

. **الزنوج** : وكان انتشارهم أكثر من الآن ، موطنهم المناطق المفتوحة المغطاة بأعشاب السافانا، ويتصفون بالشعر المتصوف والبشرة الداكنة أو السوداء ، يضاف إلى ذلك طول القامة والبنية القوية ، مع طول شكل الرأس والشفاه الغليظة والأنف العريضة (الفطساء) .

. **البانتو:** وقد أُطلق عليهم هذا الاسم لأنهم يتكلمون لغات المعروفة بلغات البانتو ، وهي لغة من أصول لغوية حامية، ومن صفاتهم الشعر الصوفي ولون بشرتهم بين البني الغامق والأسود تقريبا، لكن شفاههم أقل سمكا وأنوفهم أقل عرضا من الزنوج الآخرين .

. **الهوتنتوت:** وهم مجموعة قليلة يعيشون في المناطق المرتفعة، ويمتهنون رعي الأبقار ويفضلونها على الأعمال الزراعية، وقد عُرفوا بمهاراتهم الحربية لذلك اخضعوا لنفوذهم بقية السكان الذين يعملون في الزراعة[1] .

ب/ . **السكان الغير أصليين:** وهم الذين هاجروا إلى المنطقة بحثا عن المنافذ التجارية ونجد منهم :

. **العرب:** وقد وصلوا إلى تنزانيا قبل الإسلام بغرض التجارة وأسسوا مراكز لهم، حيث استقر بعضهم في المنطقة وتعاملوا مع أهلها، أما بعد الإسلام فجاءوا كتجار ودعاة في نفس الوقت مهاجرين وحكام، وكان أثرهم واضحا من حيث الثقافة ويتصفون بالسمرة الفاتحة والشعر الأسود والرأس الطويل والأنف البارز .

. **الهنود:** وصلوا إلى السواحل الإفريقية الشرقية وانتشروا على طول الشاطئ بغرض ممارسة التجارة واستطاعوا أن يحكموا أيديهم في شؤون المال ويسيطروا بدرجة كبيرة على الاقتصاد وأُطلق عليهم من قبل العرب وسكان البلاد اسم بانياني أو بونيا [2].

. **الأوروبيون:** أقام الأوربيون مراكز لهم في المناطق المرتفعة، حيث يعتدل المناخ، و بعد الاحتلال الأوروبي للمنطقة زاد استقرارهم فيها، خاصة لما حصلوا على امتيازات في تنجانيقا

[1] . العقاد عبد الغني، مرجع سابق، ص 211 .

[2] . شاكر محمود، مرجع سابق ، ص . ص 52 . 58 .

وكان معظمهم من الألمان، إلا أنه بعد أن وضعت تنجانيقا تحت حكم الوصاية الإنجليزية استقر الكثير من الانجليز بها [1].

وهذه الشعوب اختلطت بأجناس أخرى فنشأ عن هذا الاختلاط شعوب جديدة جمعت من صفات الشعبين، فنجد من بين هذه الزيجات السواحليون الذين هم عبارة عن مزيج من جماعات البانتو والجماعة العربية التي وفدت إلى تنزانيا ابتداء من القرن الثامن للميلاد، وترجع تسميتهم بالسواحيليين لاستيطانهم بالساحل وجزر زنجبار وبمبا ومافيا [2].

ب ـ الكونغو :

أ / الإطار الطبيعي:

أ .1. موقعها الجغرافي :

تقع الكونغو في وسط إفريقيا، بين خطي عرض 05° شمالا و13° جنوبا، تمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة تقرب بـ 2000 كلم، يحدها من الشرق كل من أوغندا، تنزانيا، روندا وبوروندي، أما من الغرب فتحدها الكونغو برازافيل ومن الشمال جمهورية إفريقيا الوسطى ، والسودان ومن جنوبها الغربي أنغولا ، ومن الجنوب والجنوب الشرقي زامبيا ، وشكل حوض الكونغو معظم أراضيها ، وقبل أن تتعرض هذه المنطقة إلى الاستعمار الأجنبي شهدت قيام عدة ممالك كـ بالوبا ، لواندا ، الكونغو[3].

أ ـ 2 / المناخ :

يتميز مناخ الكونغو بتنوعه نظرا لوقوعها في وسط خط الاستواء، حيث نجد في الشمال مناخ استوائي يتميز بغزارة الأمطار وتكسوه غابات كثيفة تغطي أكثر من نصف مساحة أرض الكونغو، أما في جنوبها فمناخ مداري من النوع السائد في الهضبة يتميز بارتفاع درجة الحرارة

[1] . شاكر محمود، مرجع سابق ، ص 59 .

[2] . محمد خميس الزوكة، **دراسة في الجغرافية الإقليمية**، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، الإسكندرية ، 2008م، ص 289.

[3] . علي موسى ومحمد الهادي ، **جغرافية القارات** ، دار الفكر ، دمشق ، 1995 ، ص 431 .

في أغلب فصول السنة، حيث أن لمظاهر السطح والمحيط دور كبير في التأثير على المناخ [1].

أ ـ 3/ . السطح:

تتميز أراضي الكونغو بكونها خصبة في معظمها حيث يغلب عليها السهل الساحلي الذي الممتد على مسافة حوالي 64 كم، أما إلى الداخل فيوجد إقليم جاف وقاحل لا توجد به أشجار، بالإضافة إلى مرتفعات مايومب، وهي سلسلة هضاب يتراوح ارتفاعها بين 490 و790م فوق سطح البحر، تقع خلف السهل الساحلي وتخترقها أودية وأنهار، كما تغطيها الغابات الاستوائية بالإضافة إلى وادي نياري الذي هو عبارة عن إقليم زراعي غني يقع خلف منحدرات مايومب تغطيه سلسلة من التلال الجرداء. وقد استصلح معظم أراضيه بغرض الزراعة[2].

كما توجد هضبة البتيكي الممثلة التي تأخذ شكل سهل مرتفع تغطيه الحشائش في وسط الكونغو وتخترق الضبة أودية عميقة تغطيها الغابات أيضا حوض نهر الكونغو الذي يقع في الشمال ويضم أراضي عديدة بمستنقعات كثيرة [3].

ويعتبر نهر الكونغو من أكبر الأنهار في العالم حيث يحتل المرتبة الثالثة إفريقيا بعد نهر النيل والنيجر ويطلق عليه بإسم زائيري وهو النهر الوحيد في افريقيا الذي يقطع خط الاستواء مرتين ، كما يبلغ طوله حوالي 4640 كم ويشغل مساحة 3.7 مليون كم² [4]، يتميز بكونه حوض سهلي تحيط به مجموعة من الهضاب كهضبة كاساي و كاتنغا في الجنوب ، وفي

---

[1] . علي موسى ومحمد الهادي ، مرجع سابق ، ص . ص 432 . 434 .

[2] . ج،فانسينا ، " **مملكة الكونغو وجيرانها** " ، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام " ، المكتبة الكاثوليكية ، اليونيسكو ، ج5 ، ط2 ، سنة 1977 ، ص 608 .

[3] . علي موسى ومحمد الهادي ، مرجع سابق ، ص 429 .

[4] . عباس محمد شراقي، **هيدروجيولوجية نهري النيل والكونغو وإمكانية الربط بينهما، المجلة المصرية لدراسات حوض النيل،** م1 ، ع2 ، جامعة القاهرة ، مصر، 2013، ص 1 .

الشرق سلسلة جبال إفريقيا الوسطي ، ومن أهم روافده نجد نهر كاساي في الجنوب ، ونهر أوبانجي[1] في الشمال [2] .

أ ـ 4 / الثروة الطبيعية للكونغو :

تتمتع الكونغو بأهمية كبيرة نظرا لتنوع أقاليمها المناخية بالإضافة لاحتواء أرضها على ثروات طبيعية و مقومات اقتصادية هامة كالزراعة بمختلف محاصيلها والمعادن بأنواعها والثروة الحيوانية بأشكالها، فمن ناحية الزراعية فإنها تنتج محاصيل متنوعة كالكسافا والموز وهي محاصيل تزرع في كافة أقاليم البلاد، كما نجد البقول والفول السوداني في المناطق شبه جافة، إضافة إلى المحاصيل النقدية المتمثلة في زيت النخيل والكوتشوك الذي يتم جمعه من أشجار الغابات الاستوائية[3]، أما البن والقطن في منطقة مصب نهر الزائير[4].

ومن المنتجات الزراعية الأخرى التي تتمتع بها الكونغو هي الأرز والسيسيال[5]، كما يزخر الكونغو بغابات استوائية تشكل نسبة 80 % من مساحته العامة، و تحوز هذه الغابات أيضا على حشائش السافانا ويعود ذلك لنوع التربة التي توجد بالقرب من مناطق حوض نهر الكونغو[6].

أما بالنسبة للمعادن فتتنوع من حيث التركيب الجيولوجي لأرض الكونغو إذ تحتوي على عدة معادن تتمركز في ثلاث مناطق رئيسية هي منطقة كاتنغا ومنطقة كاساي ومنطقة كيلوموتو كما توجد فيها قُرارات معادن لها قيمتها الخاصة وتتمثل في النحاس الذي يستخرج من إقليم شيكابا على نهر كاساي [7] والرصاص وخامة الحديد والذهب الذي يستخرج من إقليم كيفو

---

[1] . **أوبانجي** ، يعد الرافد الشمالي لنهر الكونغو ، ويبلغ طوله حوالي 2.250 كم حيث يصب في نهر الكونغو بالقرب من بحيرة تومبا ، أنظر : مصطفى أحمد حسام الدين إبراهيم ، **الموسوعة الجغرافية الأنهار . البحار . المحيطات . البحيرات**، دار العلوم للنشر والتوزيع ، مصر ، 2004 ، ص 8 .

[2] . علي موسى وحمد الهادي، مرجع سابق، ص 440 .

[3] . نفسه ، ص 441.

[4] . أحمد نجم الدين فليجة، **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د س ط ، ص 496 .

[5] . العقاد عبد الغني، مرجع سابق ، ص 231 .

[6] . أحمد نجم الدين فليجة ، مرجع سابق ، ص 495 .

[7] . ج،فانسينا ، " مملكة الكونغو و جيرانها " ، ضمن كتاب: **تاريخ إفريقيا العام**، ج5 ، مرجع سابق ، ص 608 .

وإقليم كيلوموتو كما أنها أول بلد منتج للألماس في العالم بالإضافة لإنتاجها النفط واليورانيوم والمنغنيز[1] .

إن أكبر عائق في وجه تربية الماشية فإنه يعود لذبابة تسي تسي[2] خصوصا في الأجزاء المنخفضة من الكونغو .

أما في الجهات المرتفعة المحيطة بالحوض فيتم تربية ماشية الزيبو، وقد أنشئت العديد من حظائر تربية الماشية في الكونغو الأدنى ومنطقة كوانجو[3].

ب . التركيبة السكانية :

تعد الكثافة السكانية في هذا الإقليم منخفضة جدا حتى تكاد لا تذكر في إقليم الغابات الاستوائية و السافانا العالية المنتشرة بكثرة في الكونغو وذلك نظرا لطبيعة المنطقة، بالإضافة إلى تعرض هذا النطاق أكثر من أي إقليم آخر لعملية التفريغ السكاني نتيجة تجارة العبيد الدولية[4]، ويمكننا أن نعلل الانخفاض العام في الكثافة السكانية أيضا لانتشار المرض باعتباره أهم الأسباب حيث تكثر ذبابة تسي تسي ونجد معظم السكان يتمركزون حاليا في النطاق الممتد بين مصب الكونغو عبر كينشاسا وكاساي والمنطقة بين نهري الكونغو وأوبانغي [5].

وينتمي سكان الكونغو من ناحية الأصول السلالية إلى مجموعات متباينة حيث يصل عددهم إلى ما يقارب أو يفوق مائتي قبيلة أغلبهم من زنوج البانتو أو البانتو حيث يشكلون أكثر من ثلثي الكثافة السكانية ونذكر أهم هذه الأجناس :

. **البانتو :** قدموا من جنوب غرب إفريقيا على طول الحدود الشمالية الذي يعيش أكثرهم في مجتمعات القرى الزراعية وتعد قبيلة الفانغ من أكثر المجموعات عددا وكثافة[6]، كما يعتقد أن

---

[1] . عبد القادر مصطفى وآخرون ، مرجع سابق ، ص 187 .

[2] . **ذبابة تسي تسي** ، تعيش في إفريقيا بين خطي عرض 15° شمالا و 30° جنوبا وتسبب انتقال مرض النوم ، اسمها العلمي هو كلوسينا.

[3] . علي موسى ومحمد الهادي ، مرجع سابق ، ص 442 .

[4] . المرجع نفسه ، ص 439 .

[5] . العقاد عبد الغني ، مرجع سابق ، ص 243 .

[6] . نفسه ، ص 233 .

أصولهم امتزاج بين الزنوج مع شعب آخر من أقصى الشمال الإفريقي وينتمون إلى عدة قبائل أهمها الباكونغو [1] و الباكوبا ، البالويا ، البالوندا بالإضافة إلى أنهم يحتلون القسم الجنوبي منها ونجدهم يتميزون بكونهم أقل سودا من سكان غربي إفريقيا [2].

. البيغمي : وهم شعب قصار القامة لا تقل أطوالهم عن خمسة أقدام، واشتهروا بمهارة الصيد ، لا يزيد عددهم على 200 ألف نسمة يعيشون في غابات ايتوري الكثيفة في الشمال الشرقي وفي مناطق المستنقعات قرب بحيرة ليوبولد الثاني، وتوجد جماعات التوتسي بالقرب من غابات ايتوري إلا أنهم يختلفون عن البيغمي بكونهم ذوي قامة طويلة نوعا ما .[3]

. الأوروبيون : بسبب اعتدال حرارة هضاب وبعدها المتزايد عن خط الاستواء بالإضافة إلى تاريخ الكونغو المليء بالتنافس الاستعماري وقبل ذلك الكشوفات الجغرافية، كل ذلك أدى إلى استقرار الإنسان الأبيض ويعيش حتى اليوم الكثير منهم في إقليم كاتنغا واستطاعوا أن يؤسسوا الكثير من المدن كـ لوبيتو التي هي عبارة عن مرافئ و لوبومبا سابقا كان يطلق عليها إليزابيث فيل أيضا نجد ليفينجستون و ساليزبوري.

. زنوج البانتو: من أشهر مجموعاتهم الباروتسي والماشونا[4] ، ويستوطنون أيضا حوض الأوبانجي الأعلى وحوض الأويلي أي القسم الشمالي من الدولة الذي يعتبر موطنهم الرئيسي ويبلغ عددهم قرابة أربعة ملايين .

. النيليون: استوطنوا أساسا أوغندا وتمتد مجموعات منهم إلى داخل الكونغو بالقرب من بحيرة ألبرت ومن أهم قبائلهم نجد الألور.

بالإضافة إلى الحاميين الذين يعتبر البانتو المزارعين فرعا منهم، ويمتدون في إقليم كيفو ويعرفون هؤلاء بإسم الواتوتسي الذين يشتهرون بطول القامة والبأس في القتال، كما أننا نجد أيضا الساميين الموجودين في الكونغو وهم بقايا الأسر العربية التي استقرت في شرق الكونغو

---

[1] . **الباكونغو** ، يسكنون القسم الأدنى من الكونغو بداية من العاصمة كينشاسا والكونغو برازافيل حتى المحيط ويعيش أغلبهم في شمال غرب أنجولا حيث توجد هناك عاصمتهم القديمة سان سلفادور ، للمزيد أنظر محمد رياض و كوثر عبد ، مرجع سابق ، ص 439 .

[2] . نفسه ، ص 440 .

[3] . علي موسى و محمد الهادي ، مرجع سابق ، ص 440 .

[4] . العقاد عبد الغني ، مرجع سابق ، ص 245 .

حينما كانت هذه المنطقة مجالا لنفوذ التجار العرب القادمين من زنجبار والساحل الشرقي ويتمركزون الآن في ستانلي فيل وكاسونجو بالقرب من لوالابا ويبلغ عددهم قرابة مائة ألف شخص .[1]

[1] . رياض وكوثر عبد الرسول ، مرجع سابق ، ص 442 .

2. أهم الكيانات السياسية في منطقتي تنزانيا والكونغو (زنجبار ، بحيرة تنجانيقا) .

1- زنجبار:

زنجبار هي كلمة فارسية الأصل تعني "ساحل الزنج" (أو برُ الزنج)، حيث أن كلمة بار تعني بر أو ساحل، كما لها مدلول عربي أيضا يشير إلى أرض الزنج، وتسمى باللغة السواحلية " أنغوجاء" لكن تغير اسمها في القرن الأول ميلادي إلى "منشونيا أو منشونياس"،فقد ارتبطت هذه الكلمة في كتابات المسلمين والجغرافيين بمعنى ساحل افريقيا الشرقي،ولكن في التاريخ الحديث أصبح المقصود بكلمة زنجبار هي تلك الجزر الصغيرة المقابلة لشاطئ تنجانيقا وأكبرها جزيرة زنجبار وبمبا [1].

وهي تقع في المحيط الهندي تبلغ مساحتها6400 ميل/ **10299.8**كم²، وأكبر أنهارها هو نهر "مويرا" الذي يقدر طوله بـ 5 أميال/ 8.05 كم²، وقد عرفت زنجبار بأرضها المعمورة من أشجار القرنفل وجوز الهند والبرتقال والنارجيل التي عمرها العرب بها [2] .

كما يتميز خليجها بمنارات لإرشاد البواخر عند دنوها منها، أشهرها "منارة إموانة" و"منارة برميتوني" بالإضافة إلى منارة "مانغ بواني" والتي تعني الساحل العماني، فحسب ما يذكره المقدسي شهدت زنجبار ترددا كبيرا للسفن العربية العمانية منذ القدم للتجارة، رغم المخاطر هناك [3].

ويذكر المسعودي أنه سافر إلى عدة بحار لكنه لم يشهد أهول من بحر الزنج، وأن التجار العمانيين كانوا يتجهون لسفالة وبلاد الواق واق من أقاصي أرض الزنج [4].

كان المجتمع الزنجباري في العصور القديمة كغيره من المجتمعات الإفريقية يعتنق الوثنية، ولكن بعد دخول الإسلام شهد تغيرا في النواحي الدينية والاجتماعية واستمر ذلك حتى القرن

---

[1] . سعيد علي المغيري، **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**، التح محمد علي الصليبي، ط4 ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، 2001 ، ص73 .

[2] . نفسه .

[3] . المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تح دي غويه ، مكتبة دبولي ، القاهرة ، ط3 ، 1411 هـ / 1991 م ، ص11 .

[4] . المسعودي،، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الأندلس، بيروت ، الج1 ،1973 م ص122.

الخامس عشر للميلاد عندما تعرض للغزو البرتغالي[1]، ومن ثم انتقال العرب العمانيين للحكم وبدأ الوجود الفعلي لزنجبار وتحوّلت إلى سلطنة. ومن أشهر العائلات العربية العمانية التي حكمت زنجبار عائلة "آل بوسعيد"، فبعد انتقالهم للحكم في مسقط، تولى السلطان سعيد منصب الحكم فيها سنة 1806م، و ذلك بعد أزمات عديدة واجهته منها هجومات الدولة السعودية التي اتحدت مع القواسم وأصبحت تشكل تهديدا مستمرا للدولة البوسعيدية، بالإضافة إلى وجود صراعات داخلية على الحكم، أما المشكل الأكبر الذي واجه هذه الأسرة فقد كان الفرس، ذلك أن الظروف لم تكن ملائمة لتسيير السلطة وممارسة الحكم وبهذا نقل سلطنته إلى زنجبار سنة 1832م .[2]

ومن أهم الأسباب التي جعلت السلطان سعيد يختار زنجبار كعاصمة لحكمه رغم أن كلوة ومباسة كانتا أكثر أهمية في ذلك الوقت، هو موقعها الهادئ وتربتها الخصبة التي تشهدها على عكس مسقط ذات الصخور المتوهجة والرمال والأراضي القاحلة، بالإضافة إلى كونها المنفذ الطبيعي للثروات القادمة من منطقة شرق افريقيا مما جعلها مركز لتجمع وتوزيع السلع التي تأتي من الساحل دون أن نغفل على العامل الاقتصادي، فالمناخ السائد فيها مناسب لزراعة عدد كبير من التوابل، كما شجع زراعة القرنفل الذي تحول إلى المورد الاقتصادي الوحيد للسلطنة بعد إلغاء تجارة الرق[3] .

بعد استقرار السلطان في زنجبار اشتغل على تحسين وتسيير حكمه، فعمل على التخلص من الحركات الانفصالية التي قادتها أسرة المزروعي في ممباسة ورفضت تقديم الولاء له[4]، كما عمل على سك عملة نحاسية خاصة به واهتم بتبسيط الرسوم الجمركية مما أدى إلى تضاعف إيرادات السلطنة فتحولت من مدينة صغيرة لصيد السمك إلى الميناء الرئيسي على السواحل

---

[1] . فاطمة السيد علي سمباك، **التاريخ السياسي لسلطنة زنجبار**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،جامعة أم القرى، السعودية، 1979، ص391 .

[2] . **القواسم** ، هي قبيلة عربية موطنها الأصلي نجد هاجرت لعمان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر واشتغلت بالملاحة ، أنظر : المرجع نفسه .

[3] . علي حسين فليح، **زنجبار دراسة تاريخية للوجود العماني في شرق افريقيا**، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، بغداد، الع64،2001م، ص45 .

[4] . Reginald Copland, **east Africa and its invaders from the earliest times to the death of seyid said**, *the Clarendon press, Oxford, London, 1938,* p218.

العربية في المحيط الهندي. وصادف السلطان في هذه الجزيرة مجتمعا جديدا ساهم في تكوينه فعمل على تشجيع التجار العرب على الوفود إلى مملكته وأصبحوا يشكلون الطبقة الأرستقراطية هناك، كما توافد الهنود والفرس والتجار الأمريكيين، وكمثال على ذلك أبرمت معاهدة تجارة بين أمريكا وزنجبار في سنة 1833م،حيث كانت أول اتفاقية بين حاكم من حكام العرب مع قوة دولة كبرى، وعقدت معاهدة أخرى مع بريطانيا من نفس العام حيث قامت بين السلطان سعيد والكابتن هارت، فقد برز اهتمام السلطان بالتجارة وافتخاره بها حيث قال لأحد الرحالة الفرنسيين يدعى "جوبيتو" "...إنني تاجرا قبل أن أكون سلطانا..." [1]

فقد ساهم الوجود العماني العربي في شرق افريقيا في ازدهار سلطنة زنجبار حيث انصهر مع الكيان الإفريقي وأصبح يشكل قوة ونفوذ على طول الساحل الشرقي الإفريقي.[2]

3 ـ جزيرة بمبا (Pemba) :

جزيرة بمبا أو كما يسميها المغيري "الجزيرة الخضراء"، تقع على طول الساحل الشرقي لإفريقيا وتطل على المحيط الهندي شمال أنغوجاء (زنجبار)، وهي الجزيرة الرئيسية لأرخبيل زنجبار حيث يحتوي على ثلاثة جزر رئيسية هي بمبا، أنغوجاء، مافيا، وتسمى ب جزر البهار والقرنفل أو بستان افريقيا الشرقي[3].

ويذكر المغيري أن بمبا كانت جزيرة معمورة بها أربعة عشر قرية ويسكنها مزيج من العرب والأفارقة، كما أنها عرفت إنتاج زراعي متقدم وعرفت بإنتاجها لأحسن أرز وتصديرها لمقادير عظيمة منه إلى جانب زراعة السمسم والفلفل والفواكه ، وكانت غنية بالمواشي والغنم لدرجة أن أهل ممباسة والموزمبيق كانتا تستمدان منها مئونتهما من الأرز واللحم والسمسم [4] كما كانت تحتوي على بلدة تسمى "شواكة" تقع في الشمال منها وكانت مكانا عامرا أيام دولة آل

---

[1] . فاطمة علي السيد، مرجع سابق، ص 58 .

[2] . نفسه .

[3] . Adam Augustin, **Patricia bauree and others: Pemba Island**, *Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britanica. INC, Sep18.2015* .

[4] . المغيري ، مصدر سابق ، ص 183 .

سعيد ومركزا من مراكز حكم المزاريع، و بها مسجدان مشهوران "مسجد الجمعة" و"مسجد شروك" ومعناه الماش وهو نوع من أنواع الذرة أسود اللون[1].

4 ـ بحيرة تنجانيقا (أوجيجي و تابورة):

أ ـ أوجيجي:

هي أقدم مدينة في غرب تنزانيا، تقع على بحيرة تنجانيقا جنوب أورندي، وتعتبر من أهم المستوطنات العربية [2]، وكان يشار إليها أحيانا ب " نكالينزي " أو " مانيوفو"، يحدها من الجنوب المنطقة الجبلية كيب كابوجو (جنوب مدخل نهر مالغاراسي إلى بحيرة تنجانيقا) والجزء الجنوبي من جبال ماهال [3]، وتعتبر المكان الذي وصل إليه المستكشفان سبيك وبيرتون لأول مرة عام 1858م، كما أنها الموقع الشهير الذي عثر فيه ستانلي على ديفيد ليفينجستون.

ب ـ تابورة:

تقع في الجزء الجنوبي الغربي من تنزانيا، وتشترك في الحدود الغربية مع منطقة "كيغوما" وفي الشمال مع منطقة " شيناغا" وفي الشرق مع "سنجيدا" ومبيا وركوة في الجنوب [4]، أسسها العرب العمانيون سنة 1852 بهدف التجارة ونقل السلع والعبيد حيث يقول عنها المغيري: «... في تابورة تشبعت الطرق وتفرقت الأسفار جنوبا وشمالا ومغربا...» [5] ، كما كانت أهم مركز تجاري ومحطة لمرور القوافل وتسويق العاج إذ كانت ذات نفوذ كبير في عهد سلطان زنجبار السيد سعيد حيث استعان بعرب تابورة لتمثيلات سلطنته السياسية في الخارج[6].

كما كان لمحمد بن جمعة المرجبي (والد حمد المرجبي ، تيبوتيب) نفوذ كبير وسلطة فيها خاصة وأنه كان مقربا من حاكمها فوندي كيرا، وامتهن فيها تجارة العاج ولاحقا أصبح حمد

---

[1] . المغيري ، مصدر سابق ، ص 183 .

[2] . رأفت غنيمي الشيخ، دراسات افريقية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار الكلمة، القاهرة ، 2011 ، ص65 .

[3] . Philip Gooding , **lakeTanganyikac1880.1890**, The sissubmitted for the degree of PHD, department of history, university of London SOAS, 2017 , Pp 5-6.

[4] . Nasor.w.malocho, **Tabora region socio**, joint publication by: the planning commission Dar Es Salam and regional commission of in Tabora,Tanzania, 1998, P1.

[5] . المغيري، مصدر سابق، ص147 .

[6] . John E Flint , Johnar Edgar, **the Cambridge history of Africa** , Cambridge press,Vol5 , 1999, Uk , P277.

الدين المرجبي يخلف والده فكان ينتقل بين تابورة وأوجيجي وأوروا والمناطق المجاورة للتجارة ولاحقا أصبح له نفوذ كبير هو الآخر[1].

ج ـ بحيرة تنجانيقا:

تقع وسط القارة الإفريقية، حيث تمتد بين تنزانيا والكونغو(الحديثة) وبوروندي وزامبيا، وتمثل أقصى نقطة للطرف الجنوبي لصدع البرتين الذي يمتد في الإتجاهين الشمالي الغربي فوق بقية البحيرة ثم في الاتجاه الشمالي الشرقي على بحيرة إدوارد وألبرت، يبلغ عمقها 1435م² وهي تقع ضمن ما يعرف اليوم بتنزانيا [2] .

تقطنها المجموعة الإثنية المعروفة بالأقزام، بالإضافة إلى الزنوج وشعوب البانتو الممثلة في قبائل الماساي والناندي، كما يسكنها العنصر العربي الذي توغل في هذه المنطقة أين أقام مراكز تجارية على سواحلها في القرن السابع ميلادي، واتخذها العرب محطة لتجارتهم، بل وعينوا عليها حاكما من حكامهم يقرره سلطان زنجبار[3].

كما توغل التجار العرب غرب بحيرة تنجانيقا وأقاموا مراكز لهم في الكونغو من أشهرها " كاسونجو و أونيانزي " وكان حمد الدين المرجبي من أشهر الولاة في تلك المنطقة، وبحلول سنة1811 كان التجار من الساحل الشرقي في المناطق الداخلية وسط تنزانيا وسرعان ما سافروا حول الطريق الجنوبي لبحيرة تنجانيقا وأنشئوا قاعدة تجارية في أوجيجي 1831، كما توغلوا في وسط بلد نيامونزي وسياستها عندما أسسوا تابورة عام 1852 حيث كانت محطة لتوقف القوافل المتجهة نحو أوجيجي وشمال بوغندة [4].

5 ـ مملكة الكونغو:

تقع في الجزء الجنوبي الغربي من إفريقيا الوسطى، وإلى الجنوب من الغابات الاستوائية ونهر الكونغو، ووفقا للروايات الشفوية يعد "نيمي لو كيني" هو المؤسس الحقيقي هذه المملكة

---

[1] . Philip Gooding, Op. cit, p115.

[2] . المرجبي حمد بن محمد ، "**مغامر عماني في أدغال إفريقيا (1840 . 1905) سيرة ذاتية** " ـ حياة حمد بن محمد بن جمعة المرجبي ، ترجمة محمد المحروقي ، منشورات الجمل ، كولونيا ألمانيا . بغداد ، ط 2 ، 2006 ، ص 24 .

[3] . محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 51 .

[4] . Reene Tantala , **East Africa the western Indian Ocean** , Basin And World Economy 1760 To 1850, college Entrance Examination Board, New York, 2012, P3.

وذلك بالتحالف مع الزعيم المحلي في هذه المنطقة و المدعو "كابونغا" وذلك حوالي 1390م وقد شملت ست مقاطعات هي: مباتا، سويو، نسوندي، مبانغو، مبامبا، وأخيرا مبيمبا وعاصمتها مبانزا كونغو وسكانها ينتمون لشعب البانتو[1].

هيمنت الكونغو بين القرنين الخامس والسادس عشر على كامل المنطقة الممتدة بين هضبة بنغويلا وما وراء نهر كوانغو حيث شملت نهر "أنكيسي" وحتى نهر "لوجي" وسيطرت على جميع الكيانات السياسية آنذاك ما عدا مملكة "توا". وقد عرفت هذه المملكة الطبقية الاجتماعية حيث انقسمت إلى ثلاث طبقات هي طبقة النبلاء وطبقة القرويين، بالإضافة إلى طبقة العبيد، حيث شكل النبلاء هيكل بناء المملكة وكانوا يقطنون المدينة وهم من أقارب الملك أو أسلافه ويشتغلون أهم الوظائف الإدارية [2].

اتبعت الكونغو نظام الحكم المركزي على مستعمراتها، وقد ساعدها في ذلك عدة عوامل منها إصدارهم لعملة تحت رقابة الملك، والتي تتشكل من أصداف بحرية تسمى "نزيمبو" التي تجلب من جزيرة لواندا، بالإضافة إلى وجود قوة عسكرية من حرس ملكي، وجنود مسلحة وهو الأمر الذي جعل المملكة ترتكز على أعمدة قوية [3] .

اشتهرت مملكة الكونغو بطابعها الوثني المتمثل في عبادة الأسلاف والأرواح، واستمرت بذلك إلى أن وصل التدخل البرتغالي بقيادة ديو فوكا، وهو أحد الرحالة البرتغاليين الذين دخلوا المنطقة بهدف التبشير الديني 1482م، فاعتنق ملك الكونغو "نزينغا نكو" المسيحية وتغير اسمه إلى "جواو الأول" تيمنا باسم الملك البرتغالي، وأصبحت المسيحية حكر على الطبقة النبيلة والمثقفة [4].

كما ازدهرت هذه المملكة بفضل تجارة العاج والنحاس والملح وجلود الماشية والعبيد، حيث كانت هذه الأخيرة مربحة بشكل كبير وبدأت اعتبارا من عام 1514[5].

---

[1] . Ensyclopedia Britannica , Op.Cit, P3.

[2] . ج،فانسينا ، " **مملكة الكونغو وجيرانها** " ، مرجع سابق ، ص 616 .

[3] . مرجع سابق ، ص 717 .

[4] . Mark Cartwright, **Kingdom of Congo,** Ancien History Encyclopedia, Unesco archives, Chicago, 2march2019, P3.

[5] . Mark Cartwright,Op Cit , P4 .

3. الاستعمار البرتغالي ودور العمانيين في تحرير الساحل الشرقي لإفريقيا.

مما لا شك فيه أن العرب قد عرفوا طريقهم إلى سواحل شرق إفريقيا منذ أزمنة غابرة قبل ظهور الإسلام، حيث ربطتهم مع الأفارقة علاقات تجارية، إذ لا يفصل بينهم سوى مساحة من الماء البحر الأحمر [1]، وأدى هذا التواصل التجاري إلى امتزاج حضاري بين الضفتين وانصهار المجتمع الإفريقي داخل الكيان العربي، وأخذ بالتأثير الكبير داخل القارة حيث نتج عن هذا قيام عدة ممالك وسلطنات يعود أصلها للعنصر العربي (سلطنة مقديشو، كلوة، زنجبار...) لتصبح محل طمع البرتغاليين، فقد كانت هذه الأخيرة في طليعة الأمم التي ألقت بنفسها في غمار الاكتشافات البحرية[2].

بدأ ظهور البرتغاليين في سواحل شرق إفريقيا في القرن الخامس عشر ميلادي بقيادة فاسو دي غاما، ومع ذلك لم يخضعوا هذه السواحل والجزر المحيطة بها إلا في القرن السادس عشر، حيث امتد نفوذهم للموزمبيق، وكانت ممباسا هي عاصمة مستعمراتهم في إفريقيا وعملوا على ترسيخ أقدامهم فيها بإنشاء قلعة اليسوع، كما عملوا على نشر الدين المسيحي وجلب عدة طوائف لذلك مثل طائفة الأوغسطيين للتنصير، وطائفة الآباء اليسوعيين المدعوة بالجزويت[3].

وسرعان ما بدأت المناوشات بين مسلمي الساحل والبرتغاليين عندما شنوا هجماتهم على كلوة في 1502م ودخلوا مرفأها بالقوة، بالإضافة إلى أعمال القرصنة والسلب التي كانت تتم في زنجبار واستخدام القوة فيها لفرض الجزية سنة 1505م، هذا دون أن نغفل عن ذكر أسطول "دي ألميدا" الذي دمر وحرق ممباسة عند دخوله إليها من نفس العام في الثالث عشر من شهر أوت ، كما وصل نفوذهم لحوض الكونغو. [4]

---

[1] . مين أبو منقه محمد ، **التراث العربي الإسلامي في شرق افريقيا وغربها**، مجلة دراسات افريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الخرطوم، الع34، 21 ديسمبر 2005، ص43 .

[2] . جيان (ربان سفينة)، **وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية عام 1865**، تر يوسف كمال،دن، ط5، القاهرة ، 1962، ص201 .

[3] . ي فانسيا ، **تحركات السكان وظهور أشكال جديدة للتنظيم الاجتماعي السياسي في إفريقيا** ، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام ، ج 5 ، مرجع سابق ، ص 83 .

[4] . فاطمة السيد علي، مرجع سابق، ص 108.

وفي ظل هذه الظروف والاستغلال البرتغالي، استنجد الأهالي بالعمانيين لإنهاء الهيمنة العسكرية والقمع الذي تمارسه البرتغال، وبدأ ظهور المراكب العمانية أمام سواحل إفريقيا سنة 1650م بقيادة الإمام سلطان ابن سيف اليعربي[1] الملقب ب "قيد الأرض"، والذي استطاع فتح ممباسة بعد حصار طويل، وكان هذا بداية لزعزعة الوجود البرتغالي حيث طردهم العمانيون منها سنة 1661 بل وتبعوهم حتى لسواحل الهند [2].

كما هاجم العمانيون الموقع البرتغالي في زنجبار سنة 1652م ووصلت الغارات العمانية إلى موزمبيق عام 1669م، وكانت "مسقط" في ظل هذه الظروف تشهد فتن داخلية وانقسامات ما أدى إلى توقف الغارات العمانية سنة 1694م ورجوعها بعد عامين بسبعة سفن وثلاثة آلاف رجل، فاحتلوا ممباسة مرة أخرى بعد أن أخذها البرتغاليون، كما فرضوا الحصار على حصن يسوع وقاموا بقطع الإمدادات والمساعدات على البرتغال، فانتشرت بينهم أمراض نتيجة سوء التغذية ونقص الموارد وهو ما جعلهم يستسلمون في الأخير سنة 1698[3].

[1] . **الإمام سلطان ابن سيف اليعربي** بن أبي العرب من بني نصر بن زهران بن كعب ، ثاني الأئمة من دولة اليعاربة ، تولى الإمامة سنة 1050هـ/ 1640م ومات على أرجح الأقوال سنة 1090هـ/ 1680م ، قام بتحرير مسقط من حكم البرتغاليين وطردهم من مطرح حيث قاتلهم في البر والبحر ، أنظر : المغيري ، مصدر سابق ، ص.ص 107 ـ 110 .

[2] . فاطمة السيد علي، مرجع سابق ، ص 18 .

[3] . نفسه ، ص 20 .

- **ثانيا : حمد بن محمد المرجبي (تيبوتيب) .**

1 . نسب حمد بن محمد المرجبي .

اختلف المؤرخون في تحديد معالم شخصية حمد بن محمد المرجبي المعروف بلقب "تيبوتيب" كما اختلفوا في تحديد اسمه إلا أنه معظم المصادر ترجع أصل قبيلة المراجبة بالتحديد ' الخناجرة ' وهم من نسب آل حارث اليمنيين، فحسب القلقشندى فإن آل حارث هم بطن من بطون الخزرج القحطانيين ونسبهم كالآتي: بني أسد بن خزيمة بنو الحارث بنو ثعلبة بن أسد بن مدركة وذكر أيضا في نسبهم:الحارث بن كعب من مذحج [1]بن أدد بن زيد بن يشحب بن عريب بن يزيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان بينما يرى سالم السيابي أنهم من قبائل الأزد بعمان وهم آل حارث بن كعب بن اليحمد وهم بطون عدة من براونة ودغشة وخناجره وطوقيين وغوثين وغيرهم[2].

فالخناجرة هم فخذ من أفخاذ قبائل آل حرث التي استوطنت عمان بعد تصدع سد مأرب الذي فرق قبائل الأزد، والخناجرة هم أبناء رجب بن محمد بن خنجر بن الحارث بن كعب بن اليحمد أصولهم من نجران (الواقعة جنوب السعودية) هاجروا إلى شمال واد بيجان في غرب اليمن. [3]

وتعتبر قبيلة المراجبة من القبائل العربية العمانية التي هاجرت لشرق افريقيا، وساهمت في تصفية الوجود البرتغالي في أرض الزنج [4] ، وكان موطن استقرارها بجنوب مدينة السلام الحالية (افر زيما قديما) وأسهمت بشكل فعال في توطيد نفوذ اليعاربة في المنطقة بعد استعانتهم بهم

---

[1] . هي قبيلة يمنية سبئية كبيرة يعود ذكرها للقرن الرابع ق.م كانت تابعة لمملكة سبأ وصفتها النصوص بأعراب سبأ ، انظر : عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وصدعا صدهم منذ دوي السلطان الأكبر** ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971م ، ص 273 .

[2] . سالم بن حمود السيابي ، **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان** ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1965م ، ص 32 .

[3] . أحمد محمد طنش ، " **حمد تيبوتيب ودوره السياسي في وسط إفريقيا**_" ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، جامعة القادسية لكلية الآداب ، الع 2.1 ، المج 7 ، 2008م ، ص 118 .

[4] . أحمد محمد طنش ، مرجع سابق ، ص 119 .

للوقوف بوجه المحاولات البرتغالية في السيطرة على شرق إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر[1].

أما بالنسبة إلى جذور عائلة حمد المرجبي فترجع المصادر الأجنبية نسبه وأصوله إلى جمعة بن محمد النبهاني، الذي كان يعيش في مسقط وانتقل إلى ساحل شرق إفريقيا في رحلة تجارية انتهت باستقراره في مباواماجي، وهي قرية صغيرة تقع بالقرب من دار السلام في زنجبار، ليتزوج جمعة بن محمد من إحدى نساء العبيد التي كان يتم بيعهن في سوق زنجبار قد نتج عن زواجهما ثلاثة أطفال ابنتين وولد سمي ب محمد [2].

بعد إنهاء جمعة بن محمد النبهاني لتجارته عاد إلى مسقط رفقة أبنائه، إلا أن ابنه محمد فضل العودة إلى زنجبار وهذا ما فعله رفقة صديقه رجب بن محمد بن سعيد المرجبي، الذي تزوج من ابنة جمعة بن محمد النبهاني المدعوة بـ موانا أرابو، ومن خلال هذه المصاهرة ولد جمعة بن رجب قائد القوافل التجارية لتابورة و أوجيجي و حامل الصيت والشهرة في ساحل شرق إفريقيا[3] .

وفي مطلع القرن التاسع عشر غادر جمعة بن رجب بن سعيد المرجبي بلدته في عمان متجها إلى الساحل الشرقي وحط رحاله في مدينة صغيرة تسمى مباواماجي (Mbwa Maji) على ساحل المريما[4] جنوبي دار السلام، وتزوج فيها بإحدى بنات هذه البلدة التي أنجبت له ثلاث بنات وصبيا واحد أسماه محمدا، واستطاع جمعة من خلال العمل في التجارة أن يكون لنفسه ثروة كبيرة عاد بها إلى عمان، فمكث فيها لفترة غير معلومة إلى أن يقرر العودة إلى إفريقيا مع ابنه محمد الذي كان في سن الشباب .[5]

---

[1] . رأفت غنيمي الشيخ ، مرجع سابق ، ص 66 .

[2] - Heinrich Brode **, Tippo Tip The Story of His Career In Central Africa** . Translated By H. Havelock & Edward Aebold , 41 & 34 Maddox Street , Bond Street W , London 1907.. P 12 .

[3] - Idem**,** p.13.

[4] . **المريما:** و تجمع في مرائم و هو الاسم الذي أطلق عليه العرب للإشارة إلى المدن المطلة على الأخدود الإفريقي العظيم المار ببحيرة تنجانيقا و قد يكون أصل الكلمة من رام و يروم و يعني ' القدرة ' ذلك لأن الوصول إليها كان يكلف الكثير من المشاق خلال تلك الفترة ، أنظر : Heinrich Brode , Op Cit , P 14 .

[5] . الريامي ناصر بن عبد الله ، **زنجبار:شخصيات و أحداث (1828.1972م)**، بيت الغشام للصحافة و النشر ، ط 3 ، 2013 ، ص 342 .

نشأ محمد بن جمعة ـ وهو والد تيبوتيب ـ ممتهنا للتجارة كأجداده، وقد وصل إلى تابورة في داخل افريقيا، أين التقى بزعيمها (فوندي كيرا) الذي قام بتزويجه ابنته كاروندي[1]،وقد ذكر حمد بن محمد المرجبي زواج والده منها عندما كان في الثامنة عشر من عمره، وتشير المصادر إلى أن والد تيبوتيب قد أتخذ أكثر من زوجة واحدة له حيث كانت خياراته غير مشروطة أو محدودة، إذ اتخذ من عبيده زوجات عديدات، أما والدة تيبوتيب فقد كانت من أسرة عريقة تنتمي إلى مسقط، تزوجها عندما كان في زنجبار، وهي ابنة حبيب بن بشير من قبيلة الوردي، والتي سبق لها الزواج من قريب لها و هو (مسعد بن محمد) لكنها طلقت منه، ومن خلال هذه المصاهرة ولد حمد بن محمد المرجبي الملقب بـ تيبوتيب، وقد ولد في منطقة يُطلق عليها اسم (شامبا كوارارا) و هي موجودة في زنجبار . [2]

أما نسبه من حيث الأم فنذكره لأهمية هذا النسب في حصوله على السلطة التي خولت له الحكم، حيث أن جده من أمه (حبيب بن بشير الوردي) اشترى من سوق زنجبار للعبيد أسيرة من أوروا تدعى بـ(ديربومبا موانا بونجا) حيث تزوجها وأخذها معه إلى الساحل وتنتمي جدته إلى بيت الزعامة حيث أن أخيها كان سلطانا قويا اسمه كاسونجو روشي موانا مبونجا تحت إمرته جميع رجال الواتيريرا والكوسو وقد كانت قبيلتها هي الأكبر والأقوى . [3]

[1] - Heinrich Brode, Op Cit . P 13 .
[2] - Ibid .p 14.
[3] . المرجبي ، **مصدر سابق** ، ص . ص 91-98 .

2 . مولده و نشأته الأولى .

أ . مولده :

هو حمد بن محمد بن جمعة بن رجب بن محمد بن سعيد المرجبي من أشهر التجار العمانيين في شرق إفريقيا خلال مطلع القرن التاسع عشر، ورد اسمه الأول في المصادر العربية بحميد، بينما في المصادر الأجنبية بـ حمد، والمرجح لدينا هو حمد ذلك بالاستناد إلى رسالة كتبها بنفسه وذكر الاسم حمد، أما بالنسبة إلى استعمال البعض لاسم حميد فيمكن أن يفهم في السياق أنه مجرد صيغة مصغرة لحمد تكون قد ألصقت به في صغره وشاعت بين سكان زنجبار، والواقع أنه في عمان كان كلتا الصياغة الاسمية تنمي إلى جذر لغوي واحد، حيث أن أحدهما تستخدم للخطاب الشفوي وهي حميد أما الثانية ف للخطاب الكتابي وهو حمد[1] .

ولد في زنجبار و تحديدا دار السلام بالقرب من منطقة يطلق عليها موماميي في قرية شامبا كوارارا[2]، وهو المكان الذي استقرت به عائلة المراجبة[3]، أما بالنسبة إلى تاريخ ولادته فلا يوجد تاريخ محدد بذلك حيث تذكر بعض الكتابات أنه ولد سنة 1840م [4]، بينما يرى الرحالة الانجليزي هنري ستانلي أنه من مواليد 1832م، و ذلك تأسيسا على أنه في عام 1876 قدر عمره في الأربعينيات [5] وقد يكون الرأي الأول هو الأقرب إلى الدقة لاتفاقه مع تقدير أقرب الكُتاب إليه وهو الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي صهر حمد المرجبي الذي أشار بكونه مواليد 1248هـ الممكن تقريبه لسنة 1832م [6].

---

[1] . المحروقي محمد ، في تقديمه لكتاب "**مغامر عماني في أدغال إفريقيا**، مصدر سابق ، ص . ص20 – 23.

[2] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص . ص 341 . 342 .

[3] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، " **تيبوتيب حميد بن محمد بن جمعة المرجبي 1832 . 1905**" ، مجلة النهضة الإفريقية للثقافة الإفريقية ، الع 1 ، 1957م ، ص 13 .

[4] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 22 .

[5] . هايند سيندي لانجفورد، **سقوط عرب الكونغو**، تر أحمد العبيدلي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط 1 ، 2010، ص 16 .

[6] . جورجي زيدان ، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**" ، الج 1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 ، ص . ص 216 . 217 .

كما عُرِف حمد بن محمد المرجبي بروح التحدي والبأس الشديد والزعامة، مما جعل الزنوج يطلقون عليه عدة ألقاب، وقد كان أولها هو كينجوجوا (kingugwa) ومعناه الضَّبع الأرقش، أما اللقب الذي اشتهر به أكثر من اسمه فهو تيبوتيب(Tippu Tip) وهو محاكاة صوتية لصوت إطلاق البندقية، وقد أُطلِق عليه هذا اللقب خلال معركته ضد أحد زعماء القبائل الإفريقية، إذ و خلال نقل السكان لأحداث المعركة كانوا يشيرون إلى حمد المرجبي بالصوت الذي تصدره بندقيته[1]، بينما يرى هانريش برودي ـ الذي كان وكيلا للملكة فيكتوريا ـ عندما رأى حمد المرجبي للمرة الأولى أن السبب وراء تسميته بذلك يعود لرجفة عينه التي لا يستطيع أحد أن يغفل عن رؤيتها[2]. كما لقب بلقب ثالث وهو مكانجوانزارا (Mkangwanazara) وتعني الذي لا يرهب أحدا [3] .

كان حمد المرجبي مثلا للرجل العربي النبيل، حيث كان يُظهر رقيا في مظهره من خلال وصف الكتابات الأوروبية التي أكدت ذلك حيث وصفه هنري مورتون ستانلي بقوله: « أن ملابسه ناصعة البياض وعمامته جديدة وحول وسطه حزام مرصع و فيه خنجر من فضة ، مظهره العام دل على أنه السيد العربي الذي يعيش في رغد ، أما هانريش فقد وصفه بأنه ذو ملامح زنجية وهذا ما استغربه نظرا لكونه قد أتى من عائلة عربية عريقة إلا أنه يعيل سبب ملامحه هذه يعود لنسبه الإفريقي النصف زنجي من جدته»[4].

ب/ . أسرته :

المعروف عن حمد بن محمد المرجبي كونه دخل في زيجات كثيرة أغلبها في القارة الإفريقية، ومنها زيجاته من فتيات زنجيات لم يكن أهله في زنجبار يعرفون عنهن أي شيء[5].

---

[1] - Michelle Decher , **The Autobiography of Tippu Tip,** Interventions. *International Journal of Postcolonial Studies. USA ,03 Dec 2014* . P 3

[2] - Heinrich Brode**,** Op cit. Pov. PP 18 -19 .

[3] . المحروقي محمد ، في تقديمه لكتاب "**مغامر عماني في أدغال إفريقيا (1840 . 1905) سيرة ذاتية**" . حياة حمد بن محمد بن جمعة المرجبي ، مصدر سابق ، ص 17 .

[4] - Heinrich Brode, Op cit . P 15 .

[5] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 341 .

و من زيجاته في التي تمت في جزيرة زنجبار زواجه من فتاة تدعى أونجوجا، وهي معروفة عندهم إلى غاية عصرنا الحالي، بالإضافة إلى زواجه من شريفة بنت مسعود بن عبد الله بن سالم من أولاد سالم بن حجّي الحارثي، وقد نتج عن هذا الزواج ولد واحد وهو مسعود[1]، وتزوج أيضا من كريمة وهي ابنة الشيخ سالم بن عبد الله البرواني، إذ ذكر حمد المرجبي زواجه هذا في سيرته الذاتية[2]، ومن أبنائه المعروفين نجد مسعود و سيف و راشد و سليمان و ثابت و سليم[3].

ج/ . نشأته الأولى :

نشأ حمد بن محمد في زنجبار نشأة عربية إسلامية، وعندما بلغ من عمر الخامسة من عمره سُلِّم إلى معلم ليبصِّره بمبادئ القرآن الكريم ويعلمه القراءة والكتابة العربية وأوليات الحساب، غير أنه لسبب غير واضح لم يحرز حمد المرجبي أي تقدم في تعليمه، الأمر الذي جعل والده يضطر أن يرسله إلى معلم ثان، إلَّا أن فترة تعليمه الأولية كانت في مسار نهايتها لتم صرفه من المدرسة بسن الثانية عشر كرجل متعلم. وهناك من يعزو عدم نجاحه في دراسته لطبيعته التي كانت تميل إلى الحركة منذ نشأته المبكرة، و أن الجلوس والقراءة لم تكن تنسجم مع طبيعته [4]، أما هانريش برود فيعزو ذلك إلى قصور المعلم لا المتعلم، حيث أشار إلى أن المعلم كان جاهلا بدليل أن المعلم الثاني قد نجح في تحقيق أهدافه[5] .

وعندما بلغ حمد المرجبي الثانية عشرة من عمره بدأت رحلاته وصراعه لنيل قوته بصبر ، وخلال هذه المرحلة من نشأته اختلفت المصادر حول نشأته الأولى لنجد روايتين متباينتين .

حيث تذكر الرواية الأولى أنه ولما بلغ الثانية عشر وإثر مغادرة والد حمد المرجبي تاركا خلفه كل من ابنه وزوجته بحثا عن رزقه قرر حمد أن يتخذ لنفسه مسارا آخر متمثلا في التجارة محاولا جعل نفسه مفيدا[6]، فاقترض اثني عشر ريالا واشترى بها مادة الملح سافر به إلى دار

---

[1] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 341.

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 89 .

[3] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 349 .

[4] . نفسه ، ص . ص 344 . 345 .

[5] - Heinrich Brode, Op Cit, P 18.

[6] - Idem .

السلام بتنزانيا، و منها إلى داخل البلاد للاتجار، حيث لَبِث هناك شهورا يتردد في بيع الملح فذاق ثمار الجد و الاجتهاد، و خلال هذه الفترة كانت أسفاره لا تزيد عن مسيرة يومين أو ثلاثة برفقة أقاربه من جهة والدته برفقة أخيه محمد بن مسعود الوردي وبشير بن حبيب وعبد الله بن حبيب الورديين بشير بن حبيب، ثم طال سفره شيئا فشيئا و اطمأن إليه التجار بأموالهم، فاتسعت تجارته لتشمل الثياب و المأكولات والكوتشوك(المطاط الطبيعي) وغيرها، حتى اجتمع عنده شيء يسير من المال[1].

وعند بلوغه سن الثامنة عشر أي في حدود 1850م أتته أخبار أن والده وصل إلى مدينة تابورة، وتزوج بابنة السلطان الأونيامونزي وهو فوندي كيرا فعزم على اللحاق به في إلى تلك البلاد[2] .

سافر من باجمويو إلى مباوافوا ومنه لمدابوبو إلى غاية وصوله لتابورة، قد كان ذلك بعد مسير ثمانين يوما فوجد فيها من العرب ما يقارب الخمسمائة لكي يواجه السلطان الذي هو صهر والده فلقي منه إكراما وأهداه العاج ليقوى نفوذه[3].

أما الرواية الثانية فلما كبر حمد المرجبي حاول أن يجعل من نفسه مفيدا فاستعان ببضعة أموال تعود لوالدته وقام بأولى رحلاته خلال سنة 1847م وقد كان بحوالي عمر الخامسة عشر فسافر رفقة أقربائه من جهة والدته منهم خاله بشير بن حبيب الوردي وأخيه منتقلا إلى الساحل المقابل للجزيرة متاجرا للملح بداية في مسافات صغيرة [4].

وعندما بلغ سن الثامنة عشر استدعاه والده الذي كان يعيش آنذاك في تابورة وجعل منها مستقرا له بعد أن تزوج من ابنة سلطان المنطقة ، فحاول أن يجعل حمد يشاركه تجارته ليستجيب حمد لرغبته وعملا سويا في رحلة إلى أوجيجي بغرض جلب العاج أصيب خلال هذه

---

[1] . اللمكي ناصر بن سليمان بن ناصر، **أشهر الحوادث و أعظم الرجال حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو**، مجلة الهلال المصرية، الج 10 ، 1 جوان 1906، ص 573 .

[2] . المصدر نفسه .

[3] . اللمكي ناصر بن سليمان بن ناصر ، مصدر سابق، ص 574 .

[4] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 350 .

الرحلة بالجدري والذي كان مرضا مستوطنا هناك فانتظر والده شفائه وقد استغرق ذلك أربعة أشهر شفي خلالها من مرضه بدون أثر، ثم عاد رفقته إلى تابورة [1].

وبهذا اتفقت كلتا الروايتين على مغادرة محمد بن جمعة المرجبي لزنجبار متجها إلى دواخل القارة الإفريقية وطيلة مدة غيابه ظنت والدة حمد المرجبي أنه لم يعود ما دفع حمد بالاعتماد على نفسه واتخاذ التجارة والترحال عملا له [2].

بعد ذلك بدأت رحلاته وسط القارة الإفريقية فعمل كثيرا ساعيا لنيل رزقه ، فتمكن خلال سفراته العديدة من الحصول على معلومات واسعة عن مسالك وطرق القارة وذاع صيته في الأرجاء[3].

[1] - Heinrich Brode, Op Cit. P 18

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص.ص 17 ـ 18 .

[3] . زيدان جرجي ، مصدر سابق، ص . ص 217 . 218 .

- **ثالثا : رحلات حمد بن محمد المرجبي في دواخل القارة الإفريقية .**

اضطلع العرب عامة بمهمة التوغل في دواخل القارة الإفريقية، إلَّا أن أعدادهم كانت قليلة وقوافلهم صغيرة الحجم وضئيلة العدد، ومع ازدياد الحاجة إلى الموارد تطلب ذلك الولوج إلى وسط القارة وتعديها، وقد كان حمد المرجبي من بين أوائل العرب الذين استطاعوا التوغل إلى داخل القارة الإفريقية لمسافات بعيدة، بداية بقوافل تجارية صغيرة لتصبح فيما بعد أكبر حجما وأكثر تمويلا وتسلحا لمواجهة أخطار المناطق الداخلية .[1]

ومن العوامل التي ساعدت على إنعاش رحلات حمد المرجبي التجارية هو ربطها بشبكة من الطرق البرية للحفاظ على استمرار وصول الإمدادات من السلع التجارية إلى زنجبار المركز الرئيسي للتجارة في شرق إفريقيا، حيث سلك حمد المرجبي عدة طرق من ساحل شرق إفريقيا متجها إلى قلب القارة، ولعل من أهم الطرق التجارية التي تمكن العرب العمانيون عامة وحمد المرجبي خاصة من تأسيسها في الكشف عن مجاهل القارة الإفريقية ثلاثة طرق رئيسية نذكرها[2]:

1 . **الطريق الشمالي** حيث كانت القوافل تنطلق من ممباسا وماليندي إلى هضبة البحيرات أو المناطق الشرقية لبوغندا متخللا الداخل نحو جبال كلمنجارو قاطعا كينيا الحالية إلى غاية الوصول ناحية بحيرة فيكتوريا وحدود أثيوبيا الحالية وهذا الطريق كان تحت سيطرة قبائل الأكامبا ' Akamba ' وقبائل الميجكندا ' Mijikenda ' ثم تحولت السيطرة في عهد السيد سعيد إلى العرب [3].

---

[1] . محي الدين محمد مصيلحى ، **النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة**، سيمنار للتاريخ **(العرب في إفريقيا الجذور التاريخية و الواقع المعاصر)**، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دار الثقافة العربية ، القاهرة، 1987م ، ص 179 .

[2] . المحذوري سليمان بن عمير بن ناصر، **دور التجار العمانيين في توصيل الدعوة الإسلامية إلى شرق و أواسط إفريقيا : الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري نموذجا** ، أعمال مؤتمر الدولي للدور العماني في وحدة الأمة، الجامعة الإسلامية العالمية . ماليزيا، 18–20 فيفري 2014م، ص . ص 11 – 12.

[3] . المحذوري سليمان بن عمير بن ناصر ، مرجع سابق ، ص 13 .

2 . طريق الأوسط أو المركزي والذي ينقسم إلى مرحلتين الأولى تبدأ من الساحل إلى ضفاف بحيرة تنجانيقا و تشمل على طريق من باجمويو يتجه جنوبا ليصل إلى أولى المحطات العربية في الطريق وهي تابورة وعلى بعد 600 ميل من الساحل الشرقي لإفريقيا بالتحديد نحو أوجيجي ثم ينتهي إلى شواطئ تنجانيقا وطريق ثان جنوبا يبدأ من كلوه إلى بحيرة نياسا ثم يدخل وسط القارة إلا أنه لم يستعمل من قبل تيبوتيب إلا نادرا أما طريق المرحلة الثانية فسار فيها غربا إلى داخل الكونغو مستعملين أفرعه كنهر اللوالابا أو شمالا فرع أرويمي ليصل به إلى شمال شرق الكونغو الغني بالعاج و لم تكن هذه الطرق سهلة إذ كانت تجوس داخل الغابات الاستوائية الكثيفة فضلا عن بعض القبائل الإفريقية شديدة المراس[1] .

3 . الطريق الجنوبي من كلوه عبر جنوب تنزانيا الحالية وشمال موزمبيق إلى بحيرة نياسا ، ولم يكن العرب يسيطرون عليه إلى حد كبير لأن جزءا منه كان يقع تحت سيطرة الإدارة البرتغالية ، ومع ذلك كانت قبائل الياو تجلب الرقيق والعاج لتبيعها إلى تجار القوافل العربية[2].

وقد قام حمد المرجبي بثلاث رحلات في السنوات الممتدة ما بين 1850 إلى غاية 1874م[3] ولا يوجد تاريخ مؤكد حول موعد قيامه برحلاته إذ يعوز ذلك لاختلاف المصادر في سنة ولادته الأمر الذي جعل الكثير من الكتابات تختلف أيضا في ضبط تاريخ رحلاته ، حيث كانت اثنتان منها في أرض أونيامونزي [4] والثالثة دخل فيها بالعرب إلى الكونغو في المنطقة التي تقع ما بين لوالابا و لومامي وتمركز في منطقة أوتيتيرا مزاولا نشاطه هناك، اختلفت غاياته خلال كل رحلة لكنها في معظمها كانت بهدف الاتجار في العاج ومحاصيل مختلفة وسط القارة الإفريقية ، تمكن خلالها من توطيد علاقات عديدة مع المستكشفين والرحالة الأجانب كما أنه استطاع أن يقوم بتأمين نفوذ سلطنة زنجبار الاقتصادية على المنطقة

---

[1] . يواقيم رزق مرقص، **العرب والكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر**، سيمنار للتاريخ (**العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر**)، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دار الثقافة العربية ،القاهرة، 1987 م ، ص 222.

[2] . مصيلحى محي الدين محمد ، مرجع سابق ، ص 180 .

[3] . يواقيم رزق مرقص، مرجع سابق، ص ـ ص 224 . 225.

[4] . **الأونيا مويزي** ، المقصود بها هو أرض القمر بلغة قبائل البانتو ، وقد تفرق العرب والبانتو في هذا الإقليم ليؤسسوا عاصمة لمركز تجارتهم وأسفارهم المتمثلة في مركز تابورة ، أنظر : سعيد بن علي المغيري ، مصدر سابق ، ص 325 ـ 326 .

خصوصا خلال الفترة الممتدة من 1883.1886م مما يعني أن حمد المرجبي استطاع بفضل رحلاته التجارية والاستكشافية في نفس الوقت أن يؤسس نظاما إداري وسياسي متماسك على ناصية التجارة في تلك المناطق [1]، لينشئ وجودا عربيا منظما في داخل منطقة حوض نهر الكونغو حتى وصف بكونه الملك الغير متوج للكونغو.[2]

1 . رحلته الأولى(ما بين 1850 و 1855).

نذكر أن تاريخ رحلته هذه غير محدد فحسب ما ذكره صهر تيبوتيب اللمكي فإن تاريخ رحلته الأولى كان في سنة 1850م وهذا ما رجحه المؤرخ يواقيم مرقص[3] أما فحسب ما ذكره حمد المرجبي خلال سرده أحداث رحلته فإن الفترة إذن تتراوح ما بين سنة 1855 و1856 إذ ذكر الصراع الذي قام بين السيدين ماجد و برغش الذي حدث إثر وفاة والدهما والذي حدث في نفس العام [4].

عند بلوغ حمد المرجبي سن الثامنة عشر استدعى من طرف والده محمد بن جمعة الذي كان يعيش في تابورة، الذي طلب منه أن يرفقه في رحلته إلى أوجيجي شمال شرق بحيرة نياسا، مرفقين بقافلة كبيرة تخللها الكثير من العرب، فاتجه رفقة والده محمد على رأس القافلة قاصدين في البداية مدينة أوروا (Urua) الواقعة على ساحل بحيرة تنجانيقا، لتوصيل بضاعة عظيمة من الأساور والخرز وفي نفس الوقت شراء ما تيسر لهما من العاج من مدينة أوجيجي[5] .

دامت مسيرتهما شهرين كاملين إلى غاية وصولهما إلى مدينة أوجيجي، حيث أضطر محمد المرجبي أن يترك القافلة بعدما تم استدعائه من طرف فوندي كيرا، ولم يكن محمد المرجبي يستطع أن يترك بضاعته في يد ابنه تيبوتيب نظرا لعدم خبرة هذا الأخير التي لا تخول له قيادة القافلة، فعهد بضاعته إلى رجل من رجال المريما الذين يثق في قدراتهم

---

[1] . انظر خريطة توضح مجال سيطرة حمد المرجبي في الفترة الممتدة ما بين 1871 ـ 1881م ، ملحق الخرائط رقم 2، ص 174 .

[2] . موسى العزب عايدة ، **تجارة العبيد في إفريقيا** ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1 ، 2007م ، ص 177 .

[3] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 225 .

[4] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 37 .

[5] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 346-347 .

لإيصالها إلى مقصدها، وقد كان يدعى بمويني بكار بن مصطفى[1]، وهو الأمر الذي رفضه تيبوتيب، و هنا ظهرت عليه أولى معالم القيادة والزعامة، حيث أبى أن يكون تابعا لغيره في رعاية ممتلكات والده، ففضل العودة رفقته إلى تابورة وبالرغم من رفض محمد بن جمعة المرجبي لرغبة ابنه نظرا لنقص خبرته و كون هذه رحلته الأولى إلا أنه رضخ له في نهاية المطاف وسلم له رئاسة القافلة قد كانت هذه بمثابة فرصة لإثبات نفسه [2].

عَبَر حمد المرجبي بحيرة تنجانيقا بطوافة أهلية [3] للوصول إلى أوروا المطلة على الضفة الغربية للبحيرة، مصرا على فتح مصادر جديدة للربح في بلد جديد وبالفعل استطاع تيبوتيب أن يعقد اتفاقية مع مواوتامبو وهو سلطان ذو تعاملات مسبقة مع العرب يتاجر بالعاج فاشترى حمد المرجبي ما تيسر له وما رآه مناسبا ليعود أدراجه إلى تابورة . [4]

وفي طريق العودة بلغ حمد المرجبي خبر وفاة سلطان تابورة فوندي كيرا فنصيب محمد المرجبي مكان السلطان الراحل ابن أخيه منيوا سيري[5]، هذا الأمر الذي لم يعجب أحد أقارب السلطان 'مكاسيوا' فثار ضد الزعيم الجديد[6].

قام مكاسيوا بالتحضير لاسترجاع سيادته المغتصبة ولم ينتظر منيوا سيري الهجوم عليه حيث قرر القضاء على خصمه قبل أن تشتد قوته ليستمر هذا الصراع لمدة عشرين يوما لم ينتهي بشكل حاسم فلم يكن منيوا سيري يملك من القوة ما تسمح له بالقضاء كليا على مكاسيوا الأمر الذي جعله يطلب المساعدة من محمد بن جمعة المرجبي الذي أعطى مجموعة معتبرة من العاج لجميع العرب من حوله كهدايا مقابل المشاركة في الحرب ضد مكاسيوا وخلال أقل

---

[1] . **مويني** ، لقب باللغة السواحلية يشير إلى مكانة الخاصة ومعناه السيد أو الشيخ أو الشريف إذا كان من آل البيت ، أنظر : المرجبي ، مصدر سابق ، ص 35 .

[2] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 347 .

[3] . **طوافات**، من وسائل النقل النهري البدائية التي لا محرك لها وهي عبارة عن ساق شجرة نزع من وسطه ويدفع بالمجداف وهي السواحلية Mashua ولعل التسمية السواحلية عربية الأصل من المصدر المشي ، أنظر : المرجبي ، مصدر سابق ، ص 35 .

[4] -Heinrich Brode. Op Cit.Pp 19 - 20.

[5] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 36 .

[6] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص . ص 347 . 348 .

من شهر مكاسيوا هزم وقتل العديد من أتباعه ليضطر إلى مغادرة تابورة متجها إلى أورياكورو (Uriakuru) [1].

هذا النصر الصغير جعل منيوا سيري يغتر بنفسه ليفرض ضريبة على العرب القادمين من الساحل تلزم القوافل بتسليم جزء من بضائعهم على عكس فوندي كيرا الذي كان جد متساهل في تعاملاته التجارية معهم [2]، كما أنه قام بالمساس بحقوق العرب القاطنين في تابورة وفرض ضرائب على العاج هذا الذي لم يمس بحقوق العرب فقط وإنما كان سببا في تراجع كبير لاقتصاد زنجبار[3].

مع تزايد طغيان منيوا سيري، إذ مع مرور الوقت قام بتعذيب أم زوجة محمد بن جمعة المرجبي وأخاها، قد كان ذلك بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، فعمل كل العرب على الانتقام منه رفقة محمد المرجبي، إلا أنهم انتظروا عودة تيبوتيب من رحلته للمشاركة في المعركة، وفي نفس الوقت قام عرب تابورة بإرسال مبعوث يدعى سالم بن سيف البحري الملقب بـ (الصَّبُور) إلى مكاسيوا بغرض تنصيبه عوض منيوا سيري[4].

وعند عودة حمد المرجبي من رحلته أعلن كل من محمد بن جمعة المرجبي رفقة سلاطين المنطقة من سالم بن حمد وثاني بن عمر بيانا ينص على وجوب الحرب[5].

بالرغم من القوة التي كان يحوز عليها منيوا سيري إلا أن المعركة بينه و بين العرب كانت متعادلة، فدامت الحرب أربعة أشهر بين المد والجزر منتظرين وصول مكاسيوا الذي لأجله قد بدأت هذه الاستعدادات، وتم التخريب والحرق و النهب طوال تلك المدة إلى غاية وصول الأخير إذ بعد وصوله بخمسة عشر يوما هزم العرب منيوا سيري وتم تعيين مكاسيوا كزعيم لتنتهي رحلة تيبوتيب بعد معركته هذه مقررا العودة إلى الساحل وبالتحديد ناحية زنجبار.[6]

---

[1] - Heinrich Brode, Op Cit . Pp 21 – 23 .

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 36 – 38 .

[3] . المصدر نفسه .

[4] - Heinrich Brode, Op Cit. P 23.

[5] - Idem .

[6] - Ibid,P 24 .

2 . الرحلة الثانية لحمد المرجبي.

هناك اختلاف حول تاريخ هذه الرحلة، وهذا ليس غريبا نظرا لمدى الاختلاف في السنوات التي عرفتها الرحلة الأولى، حيث يذكر اللمكي أن تاريخ رحلته هذه كانت ما بين سنة 1862 و1863م[1]، مرجحا ذلك للقاء الذي حدث بين حمد وأخيه حبيب بن بشير الوردي الذي لم يره منذ اثنتي عشر سنة أي منذ رحلته الأولى، أما هانريش فيذكر لقاء حمد بالمستكشف ديفيد ليفينجستون في سنة [2] 1867م، وهذا ما نرجحه مرجعين تاريخ هذه الرحلة إلى الفترة الممتدة ما بين 1866 و 1867م .

بعد عودة حمد المرجبي من رحلته الأولى إلى زنجبار قام ببيع بضاعة والده الذي ائتمنه عليها وباع عاجه الخاص، ثم قام بإرسال المال الناتج تلك التجارة إلى محمد المرجبي إلا أنه لم يعد إلى أونيامونزي حيث قرر السفر على حسابه الخاص، لكن المبلغ الذي كان بحوزته لم يسمح له بذلك فحاول أن يقترض بضاعة قدرها ألف دولار[3] من الثياب والخرز والبارود والرصاص[4].

في البداية كانت سفرياته صغيرة و إلى مناطق قريبة من الساحل محاولا أن يوسع من علاقاته التجارية عبر تعهدات صغيرة مع وكلاء تجاريين في زنجبار، وقد استمر الحال على ما هو عليه إلى غاية تمكنه من اقتراض مبلغ قدره بين 4000 إلى 7000 دولار، ليقوم بتمديد رحلاته أكثر نحو المناطق الداخلية[5]، الأمر الذي أتى مرافقا بتعهدات لفترات أطول وسمح له

---

[1] . اللمكي ، مصدر سابق ، ص 573 .

[2] - Heinrich Brode, Op Cit. P 36 – 37 .

[3] . **الدولار**، ضمن عملات كثيرة تعامل بها العرب في شرق إفريقيا بسبب تعاملاتهم مع كثير من التجار متعددي الجنسيات وقد قسم الدولار إلى 4 روبا (Roba) ، بايزا (Baisa) هندية ، 8 بايزا هندية = 50 آنا (Anna) وكانت آنا = 25 سنتا = 1 روبا = ربع دولار ، 2 روبا قطعة مما كان يتعامل بها الوطنيون في الداخل حيث كانت تعادل 50 سنتا .والتي تعادل نصف دولار ، وكان العرب يسمون الدولار أبو مدفع حيث كانت قيمته تزيد في شرق إفريقيا من 6 إلى 8% عن الريال ماريا تريزا وهو عملة فضية نمساوية يطلق عليها عدة تسميات منها الريال ، أما الدولار في زنجبار فكان سعره متقلبا نظرا لكونها بلدا تجاري مفتوح ، ويبدوا أن القرش والدرهم كان من الفضة أما قيمة القرش فقد كانت غالية حيث اشترى أحد الأغنياء غنما للعيد بمبلغ 400 قرش ، ويبلغ ثمن العيد 140 قرشا ، أنظر : المرجبي ، مصدر سابق ، ص 40 .

[4] . زيدان جرجي، **تراجم مشاهير الشرق**، مصدر سابق ، ص 218 .

[5] - Angela Downing, '**The autobiography of Hamed Bin Muhamed el Murjebi', " Tippu Tip** " , In *Barcelona English Launguage and Literature Studies*,1989,Bd, P63 .

بالتوسع في مناطق المحيطة بتنجانيقا فاستطاع بذلك أن يحقق أرباحا واسعة عبر تجارته التي شملت على نحو كبير العاج والعبيد[1]، تلك الأرباح جعل منه رجلا غنيا بعد مرور اثنتي عشر سنة أي في حدود عام 1862م، وهذا ما استنتجناه من خلال ذكر حمد المرجبي لقائه بأخيه من والدته محمد بن مسعود الوردي الذي لم يره منذ رحلته الأولى نحو تابورة[2] .

بعد أن قام حمد المرجبي بجمع مبلغ بقيمة 30000 دولار قرر أن يبدأ رحلته الثانية برفقة أخيه محمد بن مسعود الوردي، واختار حمد المرجبي بدلا من أن يمر بالطريق العادي من أوسوغارا (Usagara) و أجوجو (Ugogo) أخذ الطريق الجنوبي إلى أورووري (Urori) والتي كانت قليلة الاستخدام، إلا أنها غنية بالعاج كما أنه قرر إرفاق قافلته بعدد من حمالين يتم تزويدهم إياه عادة من قبل قبائل وانيامويزي[3] إلا أنها رفضت نظرا لكون الطريق الذي كان سيسلكه حمد المرجبي محفوفا بالمخاطر وغير معروف .[4]

داهمت المجاعة منطقة شرق إفريقيا خلال تلك الفترة الأمر الذي كان لصالح حمد المرجبي، إذ إثر ذلك استطاع أن يحصل على عدد من الحمالين من قبيلة الواسارامو (Wasaramo) والتي كانت لترفض طلبه لولا حاجتها الملحة للمال، فتم تزويده بمائتي رجل قام حمد المرجبي بدفع قرابة الثلث من المبلغ الأصلي لهم، وقبل الرحيل استطاع حمد أن يتزود بما يقارب سبعمائة رجل[5].

بدأت رحلة حمد من مدينة مباواماجي (Mbwa Maji) التي تقع في الساحل جنوب دار السلام، من هناك اتجه جنوبا نحو روفيجي(Rufiji) عابرين نهر ميزي وبعد مرور ثلاثة أيام استطاع الوصول إلى مكامبا، حيث اضطر إلى التوقف وتجهيز نفسه لمسيرة ستة أيام عبر مناطق خالية من الطعام، معطيا لكل حمال نصيبه من الأكل والراحة، وبعد مرور مدة كافية

---

[1] - Heinrich Brode, Op Cit. Pp 24 – 25 .

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 40 . 41 .

[3] . **الوانيامويزي** ، من بين القبائل المكلفة بتزويد القوافل التجارية بالحمالين عبر عقود تحمل المدة والمبلغ الواجب دفعه بالإضافة إلى المكان المحدد الوصول إليه وعادة ما يكون حمالي قبيلة وانيامويزي أفضلهم ، انظر : إ.ن.كيمامبو ، **ساحل إفريقيا الشرقي والمناطق الداخلية من 1845إلى 1880م** ، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام ، ج6 ، ص 279 .

[4] - Heinrich Brode, Op Cit. P 25 .

[5] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 43 .

تابع المسير نحو أوروري واستطاع مقايضة الخرز والقماش والصابون بالعاج حيث أن كل خرزة تعادل فرسيلة [1] من العاج أما القماش فمن 12 إلى 15 قطعة مقابل فرسيلة واحدة من العاج [2]، تمكن حمد من تكوين مبلغ كبير إثر التجارة في أوروري، فقد كانت قطع العاج أقل ثمنا بها ما دفعه لترك أحد رجاله بها للإشراف على بضاعته، أما هو فقد أكمل مسيرته نحو منطقة رويمبا، ومن ثم إلى أيتاوا الواقعة خلف بحيرة تنجانيقا التي كانت تحمل سمعة سيئة، حيث أن زعيمها سامو كان يقوم بإغراء العرب بالعاج مقابل بضاعتهم، غير أنه سرعان ما كان يقوم بقتل التاجر ومن معه ليستولي على قافلته.

وبالرغم من ما سمعه حمد المرجبي قرر إكمال مسيرته نظرا للعاج التي تحوزه المنطقة، فواصل المسير إلى أرض أرونجو عابرا بحيرة تنجانيقا في سنة 1866م[3] إلى غاية إيتاوا الواقعة بالغرب منها، وقد كانت تحتوي على ستمائة قرية، أي أنها كانت بمثابة مملكة أذعنت المناطق الأخرى كأورونجو و رويمبا لولائها له، فحاول حمد استمالة حاكمها عبر تقديم هدايا مقابل العاج، و بالفعل تم قبول الهدايا إلا أن العاج كان بعيد المنال وتعرضت القافلة للإساءة والاستهزاء[4] .

1 . حملة حمد المرجبي على أيتاوا وسلطانها نساما :

في صباح اليوم الموالي قام الزعيم قبيلة سامو المدعو بنساما [5] باستدعاء حمد المرجبي رفقة بعض من حاشيته المكونة من عشرين شخصا أغلبهم تجارا عربا وعشرة من العبيد بغرض إعطائهم العاج لكن وفي الطريق المؤدي إلى وجهتهم احتشد عدد كبير من الجنود على أهبة الاستعداد وقد كان ذلك منذرا ببداية المعركة ، لم يكن حمد المرجبي يعلم بنوايا الزعيم سامو إذ

---

[1] . **الفرسيلة** ، هي وحدة وزن تساوي رطلا ، وهذه الوحدة مستخدمة في اللهجة العمانية أو الفارسية ، أنظر : المرجبي ، مصدر سابق ، ص 39 .

[2] - Angela Downing, Op Cit , P 63 .

[3] . اللمكي ، مصدر سابق ، ص 574 .

[4] - Heinrich Brode, Op Cit. Pp 28 – 31.

[5] . **نساما** ، هو زعيم قبيلة السامو الذي عانى منه الوطنيون والعرب المقيمون هناك من المعاملة السيئة والقسوة التي فرضها عليهم ويذكر حمد المرجبي في سيرته أن إسم الزعيم هو السامو بينما يذكر هانريش برود أن الزعيم اسمه نساما والراجح هو كما ذكر برود وأن إسم السامو يعود إلى القبيلة الزنجية التي حكمها هو ، أنظر : المرجبي ، مصدر سابق ، ص 47 .

حين وصلوا تعرضوا إلى الهجوم بمجموعة من الأسهم استطاعت إحداها أن تصيبه بينما تعرض عبدين للموت وبالرغم من عنصر المباغتة تمكن حمد ومن معه استغلال بنادقهم المحشوة لإطلاق النار ولم يتطلب ذلك سوى وهلة من الزمن خصوصا أمام عدو لم يكن يعرف البندقية من قبل حيث سقط أتباع نساما في حين فر هو الأخير هاربا وتُركت المملكة على وسعها [1].

نظرا لكون القوة من حيث الأسلحة غير متكافئة استطاع حمد المرجبي ومن معه قتل أكثر من مائتي شخص في حين هرب الآخرون ولم يبقى في المدينة إلا بعض سكانها من سبلت أعينهم وقطعت أجزائهم جراء جرم ارتكبوه ، وقد استمرت المعركة مع سامو بين الكر والفر حيث عاد صباحا إلا أنهم سرعان ما غادروا لما اشتدت الطلقات النارية مخلفين وراءهم مائة وخمسين قتيلا[2].

حيث استمرت الحرب لمدة شهرين كاملين لم يشارك فيها حمد إلا أن أتباعه تمكنوا من الفوز ضد سامو وبالتالي تم فرض على منطقة إيتاوا دفع ضرائب والإتاوات وكسب حمد ولاء سلاطين المناطق التي كانت خاضعة سابقا لسامو ومن خلال حربه هذه عرف حمد المرجبي بين سكان المحليين باسم تيبوتيب لصوت الذي تطلقه بندقيته في المعركة [3].

وخلال بقاءه في أرونجو التقى حمد المرجبي بالمستكشف الانجليزي ديفيد ليفينجستون الذي كان في رحلته الأخيرة حيث ساعده في إيجاد طريقه نحو بحيرة مويرو وقام بمده بالمئونة اللازمة لإكمال مسيرته ليفترقا [4]، وبعد فترة وجيزة من الراحة بدأ حمد المرجبي مسيرته إلى الساحل عابرا من طريق أورونجو(Urungu) إلى مامبوي (Mambwe) ثم زار مدينة رويمبا للقاء أخيه حيث افترق الأخوين سابقا لاختلاف المصالح المتجه نحوها وخلال سير حمد في البلدان التي كان يمر بها تمت مقابلته بود شديد من قبل السكان المحليين حيث كانوا يعرضون

---

[1] - Heinrich Brode,Op,cit,P 32.

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 48 . 53 .

[3] . مصدر نفسه ، ص . ص 55 – 56 .

[4] . المصدر نفسه .

عليه خدماتهم دون تردد ساعيين لكسبه ويعود ذلك لمدى وقع خبر هزيمة حمد المرجبي للزعيم سامو والذي اعتبره آنذاك ليفينجستون بنابليون مملكته نظرا للقوة والسلطة التي كان يتمتع بها[1].

ثم أكمل طريقه من أونيامواناغا(Unyamwanga) و أوجيكا (Ujika) و أوسافا (Usafa) حتى وصل أخيرا إلى أوروري ونظرا لكون غنائمه وبضاعته كثيرة صعب عليه السير فانتقل إلى تابورة للحصول على حمالين آخرين من قبيلة نياموزي مكث بها لمدة شهرين ومنه عاد إلى أوروري مجددا ثم الساحل نحو دار السلام [2] .

[1] - Heinrich Brode, Op Cit. Pp 36 – 38 .
[2] - Ibid, pp 42 – 43 .

3 . رحلة حمد المرجبي الثالثة .

تعتبر الرحلة الثالثة لحمد المرجبي من ابرز الرحلات التي قام بها، فلقد كانت لها آثارا على مختلف الأصعدة والمجالات الحضارية، اكتسب حمد بفضلها لقب الفاتح وأشتد من نفوذه لتبرز زعامته، كما أن هذه الرحلة يمكننا أن نقسمها إلى مرحلتين أساسيتين الأولى المتمثلة في توسعه في أرض أونيامونزي أما الثانية ففي عبوره بحيرة تنجانيقا ليتوسع في منطقة حوض الكونغو .

بعد عودة حمد المرجبي إلى زنجبار من رحلته الثانية التي حققت مكاسب كثيرة ازدادت من خلالها ثروته وعززت من مكانته قرر الاستقرار لفترة من الزمن ،عمل فيها على إعادة ما اقترضه من مال وزيادة حمولته إلى ما يسمح له بالتخطيط لسفرة أخرى ، وهذه المرة كانت رحلته مدعمة من قبل سلطان زنجبار الذي شجعه على التوغل في أواسط القارة الإفريقية بغرض زيادة النفوذ السياسي لزنجبار وتأثيرها على باقي المناطق الداخلية نهيك عن فوائد الناتجة من العاج والعبيد لذلك عرض السيد ماجد على حمد المرجبي الدعم المالي الغير مشروط وإلى المدى المرغوب فيه وطلب منه التوجه نحو البانيما[1].

حيث تم تزويده بما يعادل خمسين ألف دولار كما أنه وخلال هذه الفترة تزوج حمد من ابنة سليمان بن عبد الله البرواني صاحبة الثروة الكبيرة التي عادت له بالفائدة أيضا إذ لما أعد حصيلته وجد ستين ألف دولار كما أنه تسلم بضاعة من قبل تاريا توبان[2] وكيل تجاري هندي ذو نفوذ في زنجبار فقد كان يحاول جمع ما يتيسر له من مال لبدأ رحلته[3].

---

[1] . **بانيان** ، أو البانيما هو إسم عام في شرق إفريقيا يطلق على جميع الهنود الوثنيين و ينقسمون إلى عدة طبقات منها الكهنة والبراهمة وباتياس ووانيانس يتمتعون بثروة كبيرة بالغالب يتم كسبها عن طريق الفائدة وتجارة العبيد ، إذ ونظرا لكون العرب يفتقرون لرؤوس أموال الكافية التي تسمح لهم بدفع النشاط التجار لجأ السيد سعيد سلطان زنجبار (1791 ـ 1856م) إلى ضرورة الممارسة السياسية التجارية مما سمح للعديد من الهنود بالاستقرار في زنجبار وشرق إفريقيا وقد كان لهؤلاء الهنود علاقات واسعة جعلتهم يبرزون في ميدان المال والتجارة واشتهروا بدورهم في أعمال الوساطة التجارية وإقراض الأموال ، أنظر : مصيلحى محي الدين محمد ، مرجع سابق ، ص 173 .

[2] . **تاريا توبان** ، تاجر هندي الأصل استقر بزنجبار ووكيل أعمال تيبوتيب والذي يقوم بتصريف أعماله هناك ، قام بإقراضه 7 ألاف دولار لتمويل قافلته التجارية إلى الداخل ، أنظر : مصيلحى محي الدين محمد ، مرجع سابق ، ص 177 .

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 59 – 62 .

أ / . المرحلة الأولى : توغل حمد المرجبي في أرض الأونيامونزي .

بعد مرور أكثر من أسبوع قرر بدأ رحلته فلحق بقافلته المنتظرة في أوساغارا (Usagara) ومنه إلى أغوغو (Ugogo) حيث كانت تعاني هذه المناطق من داء الكوليرا والذي استطاع أن يلحق بقافلة تيبوتيب إذ خلال ظرف وجيز تمكن من القضاء على معظم حماليه ولم يكن بمقدرة تيبوتيب إكمال رحلته لنقص المؤونة التي زادت من شدة الوضع ما جعله يحاول بيع بعض البضائع في منطقة أوساغارا معروفة بشدة عدائها إلا أن محاولاته باءت بالفشل حيث خرج محاربيها طالبين منه المغادرة وتغيير مسيرته ما استوجب على تيبوتيب أن يعبر الأدغال لغاية وصوله إلى مجوندا مكالي(Mgunda Mkali) ، ومن هناك يستطيعون الوصول إلى الطريق الرئيسي الذي تمر به القوافل ما لم يعجب حمد المرجبي خصوصا أن هذه المسيرة قد تستغرق أياما عديدة في ظل داء الكوليرا والمجاعة التي تعاني منها قافلته. [1]

وفي رويوغا (Rubuga) وجد حمد والده محمد بن جمعة المرجبي وقدا كان هذا لقائهم الأول بعد معركة منيوا سيري واضطر حمد العودة إلى إتورو إذ بسبب انتشار السريع للطاعون في شرق افريقيا اضطرت العديد من القوافل إلى خسارة رجالها بالإضافة إلى بضاعتها [2]، خلال إقامته في إتورو صادف رجال حمد المرجبي فيل فقاموا بقتله واقتلاع العاج منه الذي كان يبلغ مائة وثمانين رطلا فبعث سلطان مكاسيوا إلى حمد مطالبا إياه بتسليم العاج نظرا لكون الفيل قد قتل في مقاطعته الأمر الذي رفضه حمد وهنا نشأ نوع من سوء الفهم بينهما وصارت الحرب بين قوسين[3]، ومما زاد الطين بلة هو زواج محمد بن جمعة المرجبي من نياسو ابنة فوندي كيرا حيث يُذكر كون العلاقة كانت بالفعل متوترة منذ حكم فوندي كيرا وأن السبب الحقيقي وراء النزاع يرجع لوفاة زوجة محمد بن جمعة كاروندي في الوقت الذي أراد فيه مكاسيوا أن يكسب محمد بن جمعة ويدخله إلى كنف أسرته بتزويجه من إحدى بناته بالإضافة إلى زعامة منيوا سيري وكان هذا بمثابة نذير العداوة بينهما [4] ، في الوقت نفسه هددت قبيلة وانغوني

[1] – Heinrich Brode .Op Cit. PP P 54 – 55.

[2] - Idem.

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 68–67 .

[4] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص . ص 347 . 348 .

(Wangoni) أحد القبائل الواهيهي القوية لغزو البلاد وقد تم استدعاؤهم من طرف مشاما وهو ابن أخ مكاسيوا الذي كان يستهدف العرش وبالتالي اضطهد من قبل عمه ففر إلى قبيلة الواهيهي ثم ظهر مجددا للانتقام [1].

دخل جيش العدو في نجومبو مقاطعة تبعد ثلاث ساعات عن تابورة كما تم حشد الرجال في كويهارا [2]بقيادة عبد الله بن نصيب من مناصري مكاسيوا لملاقاتهم وفي ظل هذه الأحداث أرسل مكاسيوا في طلب لحمد المرجبي ووالده محاولا الاستنجاد بهم ضد مشاما فسار تيبوتيب برجاله إلى كويهارا إلا أنهم وجدوا أن نجومبو بأكملها قد دمرت وخسرت قوات عبد الله بن نصيب إلى جانب أكثر من مائة رجل من أوغندا حيث شاركوا في الحرب رفقة العرب إذ كانوا يتواجدون في المنطقة من قبل إثر إرسالهم من قبل ملك موتيسا [3] لتقديم الهدايا لسلطان زنجبار السيد ماجد مقابل الهدايا الذي أرسلها إليه الأخير [4].

وعندما وصل حمد إلى أوكونونغو ' Ukonongo ' أرض السيمبا الواقعة في الجنوب الغربي قام حمد بالتخييم رفقة قافلته خارج أسوارها نظرا لكون سلطانها لا يحبذ المسافرين حيث قام بشراء المؤونة لرجاله مقابل خمسة ثيران ومائة قطعة من القماش وخلال فترة عسكرته أضطر أن يحارب سلطانها لكونه قد تعرض لأحد عبيده والذي كان طائشا بما فيه الكفاية ليرفع بندقيته في حضور سلطانها فلم يكن باستطاعة حمد سوى الرضوخ للحرب بالرغم من عدم رغبته حيث حقق انتصارا وقتل زعيم أوكونونغو كما رفعت رايته ذو العلم الأحمر[5] في المنطقة وتمكن من أسر أكثر من ستمائة امرأة بالإضافة إلى ثروات القرية [6].

---

[1] -. Heinrich Brode .Op Cit. P 56.

[2] . **كويهارا** ، إحدى القرى في الطريق وتقع بالقرب من تابورة ، أنظر : المرجبي ، مصدر سابق ، ص 69 .

[3] . **موتيسا الأول** ، ملك بوغندا (1856 ـ 1884م) ملك مسلم كان له إسهام فعال في نشر الإسلام حيث أسلم على يده الكثير من أهالي أوغندة كما قام بالالتزام بالأخلاق الإسلامية و إظهار درجة عالية من التسامح الديني ، أنظر : البوسعيدي موسى : " **التأثير العماني في دول وسط إفريقيا** " ، مجلة التفاهم ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان ، الم 15 ، الع 57–58 ، 30 سبتمبر 2017م ، ص 392 .

[4] - Heinrich Brode .Op Cit, P 57.

[5] . كل قافلة كبيرة تحمل رايتها تظهر انتمائها وقافلة حمد بن محمد المرجبي كانت تحمل الراية الحمراء التابعة لزنجبار ، أنظر : جورجي زيدان ، مصدر سابق ، ص 219 .

[6] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 73 .

وصل حمد إلى أجالا التي لا تبعد مسيرة خمسة أيام أوأقل عن تابورة مكث هناك لمدة قبل أن تندلع معركة ثانية بينه وبين سكان أجالا وواكونونجو الذين حاولوا الانتقام من حمد لقتله زعيمهم ، تمكن مرة أخرى من التنكيل بهم أما من بقي منهم فقد فروا إلى تابورة ولجأ سلطان أوغالا إلى العرب منها من أجل التوسط له للحصول على السلام مع تيبوتيب من خلال شفاعتهم ووضع الأمور في المنهج الصحيح وبعد أربعة أيام أتى حشد كبير من العرب رفقة زعماء المناطق على رأسهم والد تيبوتيب يحملون طلبا من السيد ماجد ينص على ضرورة وجوب السلام وما كان من حمد إلا الرضوخ لطلبهم وتحرير الأسيرات مقابل الحصول على تعويض إزاء رجاله الذين تم قتلهم[1].

ب /. المرحلة الثانية : توغل حمد المرجبي غرب بحيرة تنجانيقا .

بعد أن تم تسوية الوضع قرر إكمال مسيرته ومن منطقة فيبا ' Fipa ' قطع المرجبي بحيرة تنجانيقا برفقة أربعة ألاف رجل إلى الجانب الآخر منها حيث تعرض رفقة رجاله إلى عدة صعوبات من طبيعة المنطقة الجبلية إلى غاية وصولهم أرونجو وهي منطقة فقيرة سرعان ما غادروها متجهين إلى إيتاوا التي صارت تحت حكم مكارو وهو ابن سامو وأثناء سيرهم عنى حماليه من المرض ما جعلهم يوقفون القافلة لمدة أيام ريثما يشفون ليكملوا مسيرتهم بعد ذلك نحو إيتاوا حيث لبث فيها محاولا شراء العاج ومن ثم اتجه نحو رويمبا ليشتري المزيد من العاج وتوجه أيضا نحو أوروا لبيع الخرز المميز بسعره المرتفع في هذه المنطقة [2] .

مكملا طريقه إلى حين بلوغه مملكة كاسمبي بلواندا الواقعة في هضبة غرب بحيرة مويرو ويحدها من الشمال ايتاهوا ولم يكن المرور بلواندا سهلا إذ لم يتم الترحيب بتيبوتيب خصوصا بعدما انتشرت أخبار هزيمته لسامو فرأت فيه المملكة تهديدا لأمنها بالرغم من العداء الذي كان بين المملكتين إلا أنه تم الهجوم على رجال تيبوتيب وقد تمثل السبب في كونهم تفاخروا بهزيمتهم لسامو ما أثار دهشة تيبوتيب فلم يكن هذا بالدافع الكافي لبدأ الحرب لكن مملكة كاسمبي كانت مصرة فاستشار حمد صديقا له الذي كان هو الآخر مصرا على الحرب التي

[1] - Heinrich Brode .Op Cit, pp 61-62.
[2] - Ibid ,Pp 63 – 68.

دامت شهرا كاملا استطاع حمد خلاله أن يحقق نجاحا ويقتل زعيم كاسمبي وتم تنصيب رئيس جديد في محله يدعى مابوتي [1].

ومن لواندا تقدموا في اتجاه الشمال على طول بحيرة مويرو حتى بلغوا أقصاها ثم وصلوا لنهر الكونغو عبروه بالقوارب نحو الضفة اليسرى إلى أوروا التي كانت هدف حمد منذ البداية واكتشافها كانت مدعاة للفخر غير أن قومها كانوا ضعفاء البنية فقراء في الثروات ويعانون من عدة تشوهات يعود ذلك للإدمان على التمتع بالتبغ والقنب الذي كان يشترى من الغرب ولم يكن بمقدرتهم توفير العاج الذي يطلبه حمد ما دفعه لمواصلة مسيرته إلى غاية كاتنجا التي كانت تحت قيادة مسيري إذ حينما سمع الأخير بوصول حمد قام بإرسال بعثة مرحبة به مع اثنتي عشر من أنياب الفيلة ويعود ذلك لانتشار انتصارات حمد ضد سامو وكاسمبي ما جعل مسيري يحاول استمالته خشية من أن يشن حربا ضده خصوصا وقد انتشر الآن بين القبائل صيت حمد بكونه الفاتح العظيم[2] .

وأتم رحلته إلى غاية بلوغه مفترقا طرق إحداهما غير مأهولة أما الثانية فكانت غابة بلا ماء لكنها ذو ميزة علمانية فسلكها مارا على مناطق عديدة ممارسا تجارته بين الحصول على العاج وبيع الخرز والقماش ومحاربا من يتعرض له فكانت معاركة تدوم أحيانا نص يوم أو أقل وبهذا خضعت معظم المناطق لقوته [3] .

وما يذكره حمد خلال رحلته نحو الكونغو أن القبائل الإفريقية لم تكن تعلم بماهية الأسلحة وغالبا ما اعتقدتها مجرد مدقات لقرع الطبول نظرا للصوت الذي تصدرها حيث كانت تستخدم الأسهم والرماح فلم يرد حمد أو رجاله تصحيح هذا المفهوم لهم تجنبا للنزاعات [4].

قرر حمد التوجه إلى أوتيتيرا زعيمها كاسونجو روسي أثناء تخييمه بالقرب من اللوالابا تقدم إليه سلطان منطقة كيرومبوي طالبا المتاجرة والتحالف معه ضد كاسونجو الأمر الذي رفضه تيبوتيب كليا، ويذكر تيبوتيب أن كاسونجو جده وأوتيتيرا موطنه يعود ذلك لرونجو كاباري

---

[1] - Heinrich Brode .Op Cit, pp 71 - 72.

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 79 – 88 .

[3] . المصدر نفسه .

[4] . نفسه ، ص . ص 89 . 92 .

كومامبي الذي شن حربا على جميع الممالك المجاورة له من بينها أوتيتيرا فأسر امرأتين منها كينا داراموميا وكيتوتو وأخذهما معه إلى سوق العبيد في أوروا حيث كان جد تيبوتيب حبيب بن بشير الوردي والد أمه قام بشراء داراموميا موانا مابونجا تزوجها والتي كانت أميرة أوتيتيرا[1]، عندما جاء إليه رجل من أوتيتيرا لمقابلة سلطانها روى له تيبوتيب حقيقة نسبه، وكونه قد سافر كل هذه المسافة لمقابلته في ظل الحروب والمشقات التي عناها ففي الحين أرسل له الرجل الذي من أقارب الملك أكثر من 300 ماعز و 20 أنياب الفيلة وأبلغ السلطان كاسونجو عن ما حدث ليأمر بمقابلته حيث أوخذ إلى العاصمة التي كانت حكرا فقط على الزعيم وزوجاته إذ بالإضافة إلى علاقة النسب تمكن حمد من إثبات ولائه عبر جلبه للمئات المساجين من الواتيتيرا أثناء حروبه والتي كانت المعادية الأوتيتيرا ما جعله يكسب ثقة زعيم كاسونجو فتنحى هذا الأخير عن سيادته في الصباح التالي للقائه مع تيبوتيب وأعلنه حاكما على البلاد [2].

وخلال رحلته قام حمد المرجبي بقيادة حملة واسعة في أرجاء الكونغو على إثرها أخضع العديد من المناطق لسيطرته كما انه التقى ببعض المستكشفين الأجانب كل من كاميرون في نيانغوي وهنري مورتون ستانلي وفون وايزمان حيث قام بمساعدتهما في كشف عن حوض نهر الكونغو وعندما طال غيابه أرسل محمد بن جمعة المرجبي في طلبه إلا أنه كان منشغلا بإدارة مملكته [3] .

وقد استمر على هذا الحال إلى غاية منتصف سنة 1879م حيث تم تذكيره بوجوب عودته عبر رسل حاملين استدعاء وهدايا قيمة من زنجبار من قبل برغش يطالبه فيه بالحضور الفوري بالرغم من أن حمد لم يسبق له مقابلته كذلك فعل وكيله تاريا توبان من أجل تسوية الحسابات العالقة إزاء الديون والفوائد التي تقع على عاتقه [4]، فبعد أن أمضى حمد ما يقارب اثني عشر عاما بعيدا عن زنجبار لم يكن ليستطيع ترك شؤونه واحتاج إلى سنة رتب فيها أموره قام خلالها بملء الوظائف الهامة لرجال جديرين بالثقة وأوكل منطقة أوتيتيرا لنجونجو لوتيته وبدأ مسيرته رفقة قريبه بوانا سيجي ليعبر بحيرة تنجانيقا من خلال ميناء متوا' Mtoa ' ووصل

[1] - Heinrich Brode .Op Cit.P 85 – 86.

[2] – Ibid, Pp 90 – 92.

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 124 .

[4] . نفسه ، ص . ص 125 . 128 .

أوجيجي حيث أمضى أكثر من شهرين ثم عبر رواندا إلى غاية وصوله لتابورة حيث تم لم شمله مع عائلته سنة 1881م [1].

[1] - Heinrich Brode, Op Cit.P 140 .

الفصل الثاني

قيام دولة حمد بن محمد المرجبي وعلاقاته الخارجية

- **أولا : تغلغل حمد المرجبي في الكونغو ودوره في نشر الإسلام .**

1. قيام دولة حمد المرجبي في الكونغو وتوسعاته :

لقد ارتبط الوجود العربي في الكونغو بالمراكز والمستوطنات العربية التي امتدت من ساحل إفريقيا إلى داخل تنجانيقا، كما ارتبط أيضا بسلطنة زنجبار العربية وارتبط أكثر بشخصية حمد بن محمد المرجبي الملقب بـ(تيبوتيب)، فهذا الرجل الذي لم يكن رجلا عاديا، والذي صقلته التجارب وشحذته الأحداث، فلم يقنع ببقائه في زنجبار كمواطن عربي خصوصا بعدما أحرز العديد من الانتصارات وتملك من البلدان كثيرة الخيرات، ودانت له العديد من القبائل بالطاعة والولاء[1].

ورغم أن حمد المرجبي قد نشط اقتصاديا في مناطق الأونيامونزي، و خصوصا بتابورة وأوجيجي تحت سيادة زنجبار، إلاَّ أن نشاطه في الكونغو كان أكثر ظهورا وأطول أمدا، إذ شهدت سنة 1870م قيادته لحملة واسعة من أجل ضم المناطق الواقعة بين فرعي نهر الكونغو لومامي، و لولابا، واستطاع أن يتمركز في منطقة أوتيتيرا في نهاية عام 1871م، حيث ضل يمارس نشاطه فيها وبالمناطق المجاورة لها لما يقارب ثلاث سنوات، مكونا موطنا نفوذه دون اللجوء إلى القوة أو العنف، ثم أخذ يتوسع في شرق الكونغو بعد أن تمكن من تكوين كيان سياسي وكسب سلطة وصلاحيات مختلفة منها التجارية والإدارية من خلال تعاملاته [2]، ونذكر من العوامل التي دفعت بحمد المرجبي إلى الدخول للكونغو ما يلي :

أولا : عدم توقعه لمقاومة جادة من السكان الأصليين نتيجة لسرعة تعرفه على عاداتهم واحترامه لها، بالإضافة إلى تفوقه في عنصر السلاح، بسبب استخدامه للبندقية .

ثانيا : إجادته للملاحة فاستغل ذلك في عبور فروع نهر الكونغو كنهري اللوالابا و اللومامي مما سهل عليهم الولوج إلى أغوار الكونغو وغابته الاستوائية الكثيفة .

---

1 . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 384 .

2 . حسن مكي محمد أحمد، **المشكلات الإفريقية المعاصرة**، أعمال ندوة الجامعات والعمل الإسلامي في إفريقيا، تحرير عبد القيوم عبد الحليم الحسن، رابطة الجامعات الإسلامية، الخرطوم، 2009م، ص 265 .

ثالثا: غنى منطقة الكونغو بالعاج الذي كان سلعة مطلوبة في أسواق الساحل، حيث كان يأخذه الأجانب إلى أوربا وهي البضاعة الوحيدة التي كانت تتحمل النقل لمسافات طويلة على خلاف محاصيل قلب القارة الأخرى بالإضافة لقيمته العالية [1].

رابعا: حقيقة نسبه الذي يعود إلى كاسونجو سلطان مقاطعة أوتيتيرا ورغبة حمد المرجبي في مقابلة أقاربه [2].

خامسا: إجادة حمد المرجبي لبعض اللغات واللهجات الإفريقية التي سهلت له التعامل والتفاهم مع الأفارقة[3].

سادسا: صلات حمد المرجبي بسلاطين زنجبار ودعمهم لرحلاته الاستكشافية والتجارية، حيث كانوا لا يتوانون عن تقديم المساعدة والأسلحة له بغرض فرض نفوذ السلطنة العربية في الداخل[4] وتوطيد نفوذهم السياسي من ناحية، ومن ناحية أخرى لتوسيع مواردهم الاقتصادية، كما أن حمد المرجبي لم يسعَ لإنشاء مملكة مستقلة عن سلطنة زنجبار، فقد اعتبر نفسه تاجرا قبل كل شيء[5] .

لقد قام حمد بترؤس حملة تجارية ضمت أكثر من أربعة ألاف من الأشخاص، ورغم أن هذا العدد يعتبر مهولا إلا أنه لا محل للدهشة لأن الثوب الذي قيمته فرنك في زنجبار كان يباع بألف رطل من الأرز في داخل إفريقيا، وهو ما سهَّل ذلك على حمد إطعام جيشه وكسوهم، أما العرب والسواحيليين فكانوا يحبون متابعته ليغنموا الغنائم عند انكسار العدو[6]، واتجه بداية إلى أوجيجي ومنها مرورا بالأراضي الواقعة تحت سيطرة الزعيم الإفريقي ميسيري في منطقة كاتنغا، وقد اتفق مع حمد على تحقيق التعاون التجاري بينهما لغرض تسهيل مرور القوافل التجارية في المناطق الخاضعة له فضلا عن قيام لأخير بجمع العاج لمصلحة حمد مقابل الخرز والملابس وبعض البضائع الأخرى، واستطاع حمد أن يحقق نوعا من الاتفاق مع الزعيم ميسيري، ثم

---

1 . يواقيم رزق مرقص، **العرب و الكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر**، مرجع سابق، ص 221 .

2 . Heinrich Brode, Op Cit.P 90.

3 . البوسعيدي موسى، **التأثير العماني في دول وسط إفريقيا**، مرجع سابق ، ص 388 .

4 . جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، مصر، 1416هـ/ 1996م ، ص 284 .

5 . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 385 .

6 . جرجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، ج1، مصدر سابق، ص 220 .

أكمل طريقه قاطعا بحيرة تنجانيقا مخضعا المناطق الخارجة عن سيطرة ميسيري خاصة في منطقة تيتيلا بغرب تنجانيقا إلى غاية وصوله لمنطقة الأوتيتيرا والتي كانت ملكا لأقاربه[1] .

ويذكر تيبوتيب أن كاسونجو جده وأوتيتيرا موطنه مدعما حقيقة كلامه إلى رجل يدعى يعود رونجو كاباري كومامبي الذي شن حربا على جميع الممالك المجاورة له من بينها أوتيتيرا فأسر امرأتين منها كينا دارامومبا و كيتوتو وأخذهما معه إلى سوق العبيد في أوروا، حيث كان جد تيبوتيب حبيب بن بشير الوردي والد أمه قام بشراء دارامومبا موانا مابونجا تزوجها والتي كانت أميرة أوتيتيرا [2].

عندما جاء إليه رجل من أوتيتيرا لمقابلة سلطانها روى له تيبوتيب حقيقة نسبه، وكونه قد سافر كل هذه المسافة لمقابلته في ظل الحروب وقساوة الظروف التي عناها فقد أرسل له الرجل الذي كان من أقارب الملك أكثر من 300 ماعز و20 من أنياب الفيلة، وأبلغ أحد رجال السلطان كاسونجو روشي(Kasongo Ruchie) والذي كان رجلا طاعنا في السن بما حدث ليأمر بمقابلته حيث أوخذ إلى العاصمة و قام الزعيم كاسونجو التنحي عن منصبه مقدما السلطة و سيادة لتيبوتيب وأعلنه حاكما على البلاد [3].

بالتالي استطاع حمد المرجبي أن يفرض سلطته على كل سكان الأوتيتيرا الذين صاروا يستشيرونه في شؤونهم، و يحل نزاعاتهم ويفصل في مختلف القضايا، ومارس العدالة وفرض عقوبات شديدة على كل الجرائم المرتكبة، كما عين أيضا رؤساء الحكام على كل المناطق التابعة عليه وكان يستلزم عليهم أن يدفعوا له جزية، وصار كل العاج الذي في المنطقة ملكا له، حيث تمكن وخلال أسبوعين من الحصول على ما يقارب مائتي ناب، فمكث فيها ثلاث سنوات خولت له التوسع في تجارته وتعاملاته مع المناطق المجاورة كما كان يُغير على زعماء المعارضين له ومن يمسون بالعرب فيذكر حمد أنه أغار على سلطان كيتني لكونه قتل العرب والنياموزيين ليصطحب معه ما يقارب أربعين ألف رجل إلى المعركة وتمكن من الإطاحة به[4] .

1 . أحمد محمد طنش ، مرجع سابق ، ص 113 .

2 - Heinrich Brode, Op Cit.P 85 – 86.

3 - Ibid ,P 90 – 92.

4 . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 100 .

كانت القبائل الإفريقية تتنافس من أجل نيل رضا حمد المرجبي، ففي مقاطعة ماريرا في الشرق دخلت المنطقة في حرب لمحاولة كسبه إلى صالحها، ولم يكتفِ حمد بتوسيع نفوذه بل قام أيضا باكتشاف المناطق المجاورة له، حيث استطاع أن يصل إلى مقاطعة نيانغوي بالقرب من حوض نهر الكونغو[1]، التي كانت بها جالية صغيرة من العرب تمكن تيبوتيب من التحالف معها وضمها لنفوذه، إذ قام برفع رايته في المناطق التابعة لنيانغوي، وبهذا ذاع صيته في كل غرب تنجانيقا، وخلال هذه المرحلة تمكن حمد من أن يشكل قوة وسلطة سياسية معترف بها[2] .

كما قام حمد المرجبي بحملة عظيمة ضد كل القبائل المجاورة بالرغم من أن الأسلحة لم تكن متوفرة، ولم يكن كل العرب يحملون بنادق إلا أنهم بحضور حمد المرجبي لم يكونوا يخشون شيئا، حيث استطاع هزيمة كل القبائل المعارضة التي كان يجبرها على تسليم جميع العاج الخاص بها، ومن ثم انتشرت الزراعة في الكونغو خصوصا زراعة الأرز لدرجة أن شعب نيانغوي الذي كان سابقا هو من يقوم بزرعها، صار يشتري الأرز من كاسونجو ويدفع مقابله ثمنا باهظا من العاج، بالإضافة إلى انتشار سلع أخرى كالأقمشة زيت النخيل وغيرها [3].

وبتطور التجارة في مختلف المناطق النائية في مانيما استطاع حمد أن يؤسس كيانا سياسيا يتألف بشكل كبير من التجار العمانيين العرب والسواحيليين الخاضعين لنفوذ سلطنة زنجبار. [4]

وحسب تقدير المؤرخين فإن تيبوتيب فتح ما يقدر بثلاثة أرباع الكونغو وأرسى قواعده في معظم أراضيها مؤسسا بعض المحطات العربية هناك ، فاتخذ من كاسونجو عاصمة له واتسعت رقعة دولته لتشمل عدة مدن نذكرها فيما يلي :

1 . كاسونجو :

كان يطلق عليها اسم موانا مامبا (Mwana Mamba)، وهو الاسم الأصلي للمنطقة إلا أنه وبسبب زعيمها المدعو كاسونجو صارت تنسب هذه الأرض إليه من قبل العرب، وكانوا يطلقون على العاصمة اسم (Kiaa Kassongo) بمعنى كاسونجو الكبير، وفيما بعد أقتصر

1 . كان يطلق على حوض نهر الكونغو اسم أجارواي من قبل سكان مانيما الذين استوطنوا على ضفته ، أنظر : المصدر نفسه .

2 - Heinrich Brode, Op Cit.P92 - 94 .

3 - Ibid ,P95.

4 . Idem .

الاسم على كاسونجو فقط[1]، كانت عاصمة دولة تيبوتيب، وتقع جنوب نيانغوي حيث تعتبر أكبر منها مساحة سكنها ثلاثون ألف نسمة من العرب والزنوج .

عُرفت كاسونجو بازدهارها في التجارة والعمران وظهور المعالم الإسلامية في عمرانها وشعبها وكثرت فيها زراعة المحاصيل الزراعية والفواكه [2].

2 . نيانغوي :

سميت بـ كينوكو بلغة البانتو وتعتبر من أهم المدن العربية في الكونغو تقع جنوب مانيما شرق خطي طول 16°و26° على ربوة عالية وضمت أكثر من ثلاثمائة بين عربي ، ترجع أهميتها إلى موقعها لكونها ملتقى عدة طرق آتية من الساحل الشرقي والغربي لإفريقيا وكانت سوقا للتجار العرب والبرتغاليين [3].

3 . كيبونجي(kibonge):

وهي مدينة عربية كبيرة لها سوق كبير تعرض به مختلف السلع، كانت تحت إدارة رجل من السكان المحليين اسمه كيمونجي، وكان يعمل وكيلا لرجل عربي يدعى سعيد بن عبيدي من سكان نيانجوي .

4 . كاسوكو(Kasuku) :

وهي قرية عربية الواقعة على ضفة نهر كاسوكو الذي كان يقسمها، ورغم صغرها نسبيا عن سابقاتها، إلا أن التأثير العربي كان ظاهرا فيها .

5 . ريبا ريبا(Riba Riba) :

كانت قرية عربية كبيرة ، تحت إمارة عربي هو محمد بن حاميس ، امتلك مساحات واسعة في الشاطئ الغربي لنهر الكونغو .

---

[1] – Heinrich Brode, Op Cit, P98,

2 . البوسعيدي موسى، مرجع سابق ، ص 400

3 . يواقيم رزق مرقص، مرجع سابق ، ص 236 .

6 . كابانجا (Kabanga) :

هي مدينة كبيرة، كانت لها سوق كبيرة، وكانت مركزا من مراكز التجارة العربية في شرقي حوض الكونغو[1].

وفي وقت لاحق تمكن حمد من أن يتحرك شمالا ويصل إلى كل من كيروندو (Kirundu) وستانلي فولز حوالي سنتي 1882و1883[2] وأخضعها لسيطرته كما جعل بعضا من تلك المناطق تحت حكم أقربائه مثل محمد بن سعيد المرجبي المعروف ببوانا نزيجي[3] الذي كان يخول له السلطة أثناء سفراته لزنجبار بالإضافة إلى حامد بن علي المسمى بكبونجي [4].

بذلك قام حمد المرجبي بإخضاع حتى القبائل التي كانت بعيدة كل البعد عن منطقة أوتيتيرا لسلطته المرجبي وصارت المسالك آمنة لدرجة أن النساء يمكنهن المرور بها دون مخاطر كما اكتشف في أوتيتيرا منجم ذهب عاد[5] ، وصارت تقام استقبالات كبيرة له في كل المناطق الخاضعة له وأتباع عدة يصيحون بنهج تيبوتيب وسيادته [6].

---

[1] . يواقيم رزق مرقص، مرجع سابق ، ص 237 .

[2] - Ceulemans, R.P , **La question arabe et le Congo (1883 - 1892)** , *Académie Royale Des Sciences Coloniales* , Brussels,1959 , pp 396 .

[3] . هو محمد بن سعيد بن حماد المرجبي المدعو ببوانا نزيجي والتي تعني السيد كثير الممتلكات أما نزيجي أو سيجي والأقرب لها هي سيكي فتعني الخل المستعمل في الطعام، كان ضمن قافلة حمد المرجبي لمتوغلة لدواخل القارة الإفريقية ، استولى على عدة أماكن في مجاهل إفريقيا وصار سلطانا على قسم من الكونغو كما أنه كان من ضمن قادة جيش تيبوتيب الذين حاربوا البلجيك ، أنظر : المرجبي : مصدر سابق ، ص 107 ، المغيري سعيد بن علي ، " **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار** " ، مصدر سابق ، ص 323 .

[4] - Xavier Luffin , **" Arabic And Swahili Documents From The Pre-Colonial Congo and the EIC (Congo Free State , 1885-1908) Who Were The Scribes ? Islamic Manuscript "**, *Université Libre de Bruxelles*, January 2017, P 282 .

[5] - Heinrich Brode, Op Cit ,Pp 99 – 105

6 - Ibid ,P 106 .

2. التنظيمات الحضارية لحمد المرجبي والعرب في الكونغو .

قبل أن يقوم حمد بن محمد المرجبي بفتح منطقة حوض الكونغو، كان قبله تجار عرب من عمان والسواحيليين من الساحل الشرقي لأفريقيا قد جابوا دواخل القارة الإفريقية بمجموعات صغيرة محاولين استكشاف مناطقها وبحثا عن الاستقرار[1] بغية الهرب من بطش بعض الحكام، فوجدوا ضالتهم في الكونغو ليستوطنوا بها ، إضافة إلى الاستقرار تمثل غرضهم الأساسي في التجارة أولا وبسط النفوذ الفردي على مساحات جد ضيقة ومحدودة، وبمرور الوقت تعددت المناطق التي خضعت لهم ويصعب تحديد تواريخ دخول العرب إلى كل منطقة غير أنها كانت تقريبا خلال بدايات الستينيات من القرن التاسع عشر[2].

وبالتالي لم يكن تيبوتيب هو أول عربي دخل الكونغو، فقد سبقته محاولات على نحو ما أشرنا، وقد أغري الكونغو بثرواته العرب[3]، حيث ذكر سعيد بن علي المغيري في كتابه جهينة الأخبار أن مجموعتين من العرب توجهوا من شرق إفريقيا أي تنزانيا إلى الكونغو ونزلت مجموعة منهم بنيانغوي بينما اتجهت الجماعة الأخرى غربا حتى وصلوا منطقة كيروندو [4] .

فقد شجع حمد المرجبي هؤلاء العرب على توسيع مجال نفوذهم، ولم يكن ذلك بمستحيل نظرا لحملة المرجبي الواسعة على الكونغو في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر، والتي شملت عشرات الآلاف من العرب والزنوج والحمالين وبعض العبيد، بالإضافة إلى ما كان يملكه من بارود ودعم السيد برغش له، ما سمح له بالاستيلاء على العدة مناطق في أرض المانييما وفرض سيطرته عليها مجهزا لتأسيس دولة عربية بعيدة الحدود مارس فيها سلطة واسعة من أرض مانييما حتى شمال اللومامي، واستطاع تأسيس قواعد ملكه عبر إنشاء مستوطنات جديدة ومحطات رئيسية بالكونغو[5] .

---

[1] . المغيري سعيد بن علي ، مصدر سابق ، ص 247 .

[2] . البوسعيدي موسى ، " **التأثير العماني في دول وسط إفريقيا** " ، مرجع سابق ، ص 384 .

[3] . لما توغل العرب إلى دواخل القارة الإفريقية وجدوا العاج ملقى بغير اهتمام لأن العاج في ذلك الوقت لم يكن معروفا ولا مرغوبا بين الأهالي حيث لم يكن بالشيء الذي يؤكل ولذا إذا مات الفيل تبقى أنيابه في الأرض وحتى وإن تم اصطياده فيتم إلقاء العاج بمكان بعيد لأنه بلا قيمة تذكر بالنسبة إليهم ، أنظر : المغيري سعيد بن علي : مصدر سابق ، ص 318 .

[4] . المغيري سعيد بن علي ، مصدر سابق ، ص 317 .

[5] . البوسعيدي موسى ، مرجع سابق ، ص 385 .

وبعد تحقيقه للنصر أخذ ينظم دولته فشيَّد دارا للحكم، لتبدأ الكونغو تتخذ شكل دولة عربية خاصة بعد أن بدأت الهجرات للقبائل العربية إليها رغبة في الثراء والسلطة وبِتشجيع من حمد المرجبي نفسه[1]، فشهدت المجتمعات الكونغولية ازدهارا وتطورا في مختلف المجالات، وذلك عبر الاحتكاك الحضاري الذي كان بين القبائل والزعامات الكونغولية مثل كنجونجو لوتيتا [2] ولوبونجو [3] وبين الشعوب العربية الوافدة والمرافقة لحمد المرجبي، كما خط المدن والعمارات وزودها بنظام سياسي واجتماعي واقتصادي، وأصبحت ذات هوية عربية عمانية إسلامية، ميزتها عن غيرها من القبائل الإفريقية و سكانها يتميزون عن السكان الأفارقة، وصار يطلق عليهم اسم الوانغوانا (Waungwana)[4] .

أ / . من الناحية الإدارية :

بحلول سنة 1874م استطاع حمد المرجبي أن يؤسس دولة ذات تنظيمات إدارية وعلاقات خارجية باسطا كل نفوذه على إقليم المانييما وقائما على إدارة شؤون دولته ومن أجل أن يغرز شوكته وينجح في حكم تلك الشعوب عمد إلى تنظيم دولته عبر تقسيمها إلى سبعة مناطق ذات إدارة نشيطة عين على رأس كل منها حاكما مسئولا عليها وهم :

1. سيف بن حمد بن محمد المرجبي ابن تيبوتيب الذي تولى رئاسة منطقة كاسونجو عاصمة دولة والده الحديثة.
2. علي بن خميس الذي كان مسئولا على منطقة ريبا ريبا .

---

[1] . الطماوي أحمد حسين ، مرجع سابق .

[2] . **نجونجو لوتيته** ، أو جونجو ولد 1863 في ماليلا كعبد وتربى بين أكناف العرب ونظرا لقوته وانجازاته تم مكافأته عبر إطلاق سراحه في سن الثامنة عشر حيث أصبح صائد عبيد رئيسي وفي خدمة تيبوتيب وولائه وقام بمشاركة حمد المرجبي في غزواته وتوسيع نفوذه تدريجيا نحو الغرب وحكم جزء من الماليلا إذ سيطر على منطقة نغاندو ويعتبر اليد اليمنى لحمد المرجبي ، أنظر :

M. Coosemans, **Gongo Lutete, Chef Bakusu (Malela vers 1860 Gandu,14 Septembre 1892) ,** Inst Roy colon belge, *Biographie Coloniale Belge*,T,II,Col, Published in 29 Novembre1948 ,PP 427-432 .

3 - Ceulemans, R.P ,Op Cit , PP 396 – 397 .

[4] . **وانغاوانا** ، مصطلح سواحلي يعني الرجل الحر الذي ولد في المناطق الداخلية لسكان المحليين واستعبد ثم فيما بعد تم منحه حريته، وما يقصد به هنا هو السكان المحليين الذين تبنوا التقاليد العربية ليصبحوا جزءا من المجتمع العربي الكونغولي وعكسه الكلمة الواشينزي والتي تعني الهمج ، انظر :

Jeremy Prestholdt, **Domesticating the World : African Consumerism and the Genealogies Of Globalization** , *University of California Press*, USA, 2008,P141

3. محمد بن سعيد المرجبي وهو بوانا نزيجي والذي كان أخ تيبوتيب من أمه في منطقة كامبامباري .

4. محمد بن خلفان بن خميس البراوني الملقب بـ روماليزا [1] ، والذي تولى حكم أوجيجي .

5. راشد بن محمد بن سعيد المرجبي وهو ابن أخ تيبوتيب وكان مسئولا عن منطقة ستانلي فولز.

6 . موينى موهارا (Munie Mohara) من أبرز التجار العرب وأغناهم حكم منطقة نيانغوي وقد كان مؤيدا لحمد المرجبي وداعما لتوسعاته في الكونغو حيث انظم إليه بطيبة خاطر .

7. كيبونجي وهو لقب اختلفت الكتابات في ذكر لمن يرجع له هذا اللقب حيث يذكر بكونه حامد بن علي [2] .

وكانت الإدارة تتألف من نوعين من السلطة ، السلطة العربية والسلطة المحلية صاحبة الأرض[3]، وظل هذا النظام فعالا لمدة 18 سنة من 1875م إلى عام 1893م حيث لم يحاول تيبوتيب أن يشكل طبقة تنفرد بالسلطة وتهيمن على المراكز الإدارية بل قام بإدخال نظام الحكم الغير مباشر إلى تلك المناطق[4]، فقد كان تيبوتيب يعين نائبا أو وكيلا له يقوم بتقسيم المنطقة التي يحكمها إلى مقاطعات أو وحدات صغيرة، وغالبا ما تكون عبارة عن قرى وفي كل قرية زعيم إفريقي قبلي، كما تم تشكيل نظام لتوصيل المعلومات من أجل ضمان نقل المعلومات

---

1 . **روماليزا** ، وهي كلمة سواحيلية تعني صاحب التنفيذ اكتسب محمد بن خلفان لقبه عندما هب لإنقاذ تيبوتيب من أحد الزعماء المعارضين له أثناء حرب أفينزا حيث صاح محمد بالسواحيلية ماليزا والتي معناها أنهوا المهمة ، أنظر : عبد القادر زبادية : " **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2013 ، ص 30 .

2 . عدنان حداد ، **انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى لاسيما في جمهورية الكونغو الديمقراطية** ، من أعمال المؤتمر الدولي الحادي عشر الإسلام في إفريقيا ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 26 . 27 نوفمبر 2006م ، ص 559 .

3 . في مانييما لا توجد قيادة وراثية لزعماء القبائل إلا قلة منهم إذ يأتي أشخاص من مناطق أخرى ويعرضون ثروتهم على مالكي الأراضي وفي مقابل هذه الثورة يعرض مالك الأرض منصب الزعامة على هؤلاء ، وهذا ما يفسر طريقة تيبوتيب في حصوله على ملكية الزعامة في مختلف المناطق وما يفسر أيضا توطيد السلطة السياسية الإسلامية في منطقة حوض نهر الكونغو وتوسعها ، أنظر :

Melvin E, Page, **The Manyema Hordes Of Tippu Tip : A case Study In Social Stratifaction and The Slave Trade in Eastern Africa**, *The International Journal of African Historical Studies*, Vol7, No1, Boston University African Studies Center, 1974, P 73.

4 . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 288 .

القائمة بين النائب المعين من طرف تيبوتيب المسيطر على الممارسات التجارية في المنطقة والمشرف على إدارتها مع الزعيم المحلي الذي يملك حقوق الأرض فكان العرب يتعاملون مباشرة مع الرؤساء المحليين الذين كانوا بالنسبة إليهم لا غنى عنهم كصلة وصل فيما بينهم وبين القبائل الأخرى سواء للحصول على ما يريدون من خدمات أو لتنفيذ بعض الأوامر التي كانوا يصدرونها وبالتالي كانت العلاقة بينهما علاقة مبنية على التفاهم [1].

من أجل تسهيل التواصل بين الطرفين كان يستعمل العرب في مراسلاتهم، و كان يطلق عليهم اسم الخدم الخاص، أو سكرتارية وهو الذي يجيد الترجمة الشفوية والكتابية، حيث ذكر في الرسائل العرب مجموعة من أسماء المترجمين مثل ستانزي بن جمعة، كما كان لتيبوتيب سكرتيره الخاص أيضا الذي يرافقه في أسفاره والمدعو بسالم بن محمد، إذ يذكر أنه و في سنة 1888م أرسله حمد المرجبي لمقابلة ستانلي، والسكرتارية لا تقتصر على الترجمة فقط بل كان يؤتمن على أعمال أخرى كتوكيلهم بقيادة القافلة التجارية فقد كانوا بمثابة الذاكرة الحية لأسيادهم[2].

ولم يكن هذا مقتصرا فقط على العرب بل حتى على زعماء ورؤساء القبائل الإفريقية الذين كانوا يعتمدون عليهم في كتابة التقارير الخاصة إذ أن هذه المراسلات كانت باللغة العربية أو السواحلية[3].

إلى جانب ذلك قام حمد المرجبي بممارسة سلطة سياسية وتجارية مباشرة وضحت من خلال فرضه للضرائب للمقاطعات التي تدين له بالولاء، كما قام بدور التحكيم في المنازعات التي تنشب بين القبائل و أعطى نفسه فرص عزل الرؤساء وتعيين الأوصياء [4].

أ / . من الناحية الاقتصادية :

1 . في مجال الزراعة وتربية المواشي :

[1] . عدنان حداد ، المرجع سابق ، ص 560 .

[2] - Xavier Luffin, Op Cit, P 293.

[3] - Idem .

[4] . جمال زكريا قاسم ، المرجع سابق ، ص 248 .

استغل حمد والعرب ثروات الكونغو في أكثر من مجال، فعندما اضطروا للاستقرار قاموا باستثمار الوقت و اتجهوا إلى الزراعة، فتم تطهير الأرض من الأعشاب من أجل زراعتها، ولم يكن ذلك صعبا نظرا لتوفر الماء، واستعمل العرب في ذلك الزنوج الذين كانوا يعملون مقابل الحصول على قوتهم اليومي[1]، وتعلم الزنوج منهم الرعي والزراعة المتنقلة ليحدثوا ثورة زراعية هناك بعد الاعتماد على الزيتيات كالنخيل أو ثمار الغابات أدخل حمد وقافلته غلات جديدة مما كان له أكبر الأثر حتى بعد خروجهم من الكونغو، كالقمح والقطن وقصب السكر، و فواكه مثل الليمون والجوافة بالإضافة إلى بضاعة أخرى كالقماش والقهوة[2].

وقد تم تخصيص أماكن معينة لمحاصيل بعينها ففي أوجيجي زرعوا الباباز والليمون والرمان فقط وأدخلوا زراعات النيلة والقنب، أما في كاسونجو فقاموا بتحسين زراعة الموز الذي كان أصيلا هناك، بالإضافة إلى زراعة أشجار البرتقال وأشجار السفرجل والتفاح والرمان كلها بكميات كبيرة وتوفر أيضا القهوة والمايس أو القطانييا والفول السوداني التي انتشرت انتشارا واسعا، ولاقت إقبالا كبيرا ولم يكن بالإمكان رؤية مزارع مزدهرة كهذه في أي مكان من البلاد [3].

كما أن أنواع الماشية الموجودة في كاسونجو كانت كلها من النوع الرفيق [4] ، وتربية الحيوانات كانت متنوعة بشكل عام تشمل حيوانات عديدة من الملاحم وحيوانات الحليب والثالثة تتألف من نقل البضائع فنذكر بعضها منها كـ البط والحمام والقطط وسلالات من الحمير والبغال والأحصنة [5].

اعتنوا بالقطن الذي جادت زراعته شأنه شأن الأرز والذرة مستغلين وفرة المياه واتساع الأرض الخصبة فجادت زراعته خصوصا في الفترة الممتدة ما بين 1885- 1890م حتى أصبح الأرز عصب غذاء الزنوج بعد ذلك [6].

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، المرجع سابق ، ص 241 .

[2] - Xavier Luffin ,OP Cit , P282 .

[3] . عدنان حداد ، المرجع سابق ، ص 562 .

[4] . عبد القادر زبادية ، المرجع سابق ، ص . ص 27 . 28 .

[5] . يواقيم رزق مرقص ، المرجع سابق ، ص 242 .

[6] . المرجع نفسه ، ص 243 .

ولقد أجمع المستكشفون الأجانب الذين شاهدوا هذا التقدم الزراعي على أنه بعث عربي للكونغو ينم على السلام والاستمرارية من حيث الفوائد و الازدهار الذي عرفته الكونغو وبهذا ما يمكننا قوله عن العرب أنهم لم يكونوا مجرد تجار فقط إذ يصعب تخيل السلام والطمأنينة في محيط يمارس تجارة الرقيق فقط [1] .

2 . في مجال التعدين والصناعة :

لما عرف العرب حجم الثروات التي يحوزها الكونغو وخاصة الحديد الموجود بكثرة في كاسونجو بالإضافة إلى النحاس والفضة والذهب والفحم في غرب بحيرة تنجانيقا، فنقبوا عن الذهب واستخرجوه من وديان الأنهار، ففي هذا الصدد يذكر حمد المرجبي عثوره على منجم للذهب بأوتيتيرا [2]، كما ذكر المغيري في كتابه عن حبيب بن سالم العفيفي ومحمد بن سعيد العيسري أنهم توجهوا إلى مكان يسمى وردة في دواخل أرض الكونغو، حيث عثروا فيه على عين ماء ويخرج منها ذهب، فتحصل حبيب من ذلك الذهب ما يقدر بأربعة ألاف ريال، أما محمد فما يقدر بألف ريال و كانت فحفرا هذه العين الصغيرة حتى يتوسع منع مائها ويخرج منها ذهب كثير[3]، وليقوموا ببيعه في الأسواق فيما بعد .

كما أسهم العرب والزنوج في صناعات اليدوية الكبيرة كالحبال، السلاسل، الحصير، النسيج، الفؤوس، المسامير والرماح وعملوا أيضا على تطوير العديد من الصناعات، كاستخراج الزيوت من الخروع ونخيل الزيت لدرجة أن الأوروبيين استغلوا هذا التطوير فيما بعد في عملياتهم الصناعية المتقدمة. أدخل العرب أيضا صناعات لم يكن للزنوج في الكونغو عهد بها كصناعة الصابون الذي صنعوه من البوتاس الصناعي، وقد أخذوه من خلال حرق سبائط الموز وأوراقه وخلطه بزيت النخيل[4].

وبالتالي إثر ممارسة هذا النوع من الأنشطة راجت مهن عديدة كالحدادين والبنائين والنجارين والفخارين وصناع الحبال، بالإضافة إلى الخياطين الذين ارتفعت أجورهم، وذلك

---

[1] . عدنان حداد ، المرجع سابق ، ص 560 .

2 - Heinrich Brode, Op Cit ,P 99.

[3] . المغيري سعيد بن علي ، مصدر سابق ، ص 325 .

[4] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 242 .

نتيجة نشاط حركة التعمير والبناء والتجارة، كما انتعشت صناعة الأسلحة النارية وإصلاحها وصناعة الأقفال والسرج وأيضا اشتهروا بتلوين الفخار[1].

3 . في مجال التـجارة والمال :

لم تكن هناك تجارة بالمعنى المعروف قبل وصول العرب إلى الكونغو ولكن بدخول العرب إليها نشطت الأعمال التجارية نتيجة لاستغلال المجاري المائية التي ربطت بين الكونغو والزمبيزي [2].

وعمل حمد المرجبي على شق الطرق وقطع الغابات، وهو ما أمَّن المرور من خلالها، حيث كان للعرب نظام للنقل النهري بواسطة القوارب على صفحة نهر اللوالابا، استطاعوا به ربط كل قبائل المنطقة وأسواقها لكونها أدخلت عاملا جديدا لم يكن مستعملا من قبل[3]، وهو التعامل التجاري بين كافة القبائل لاسيما بين مختلف أنحاء شرق الكونغو، فكان من نتيجة ذلك أن كثر الطلب على منتجات الإقليم وارتفعت الأسعار وتنوعت منتجات الشرق العربي من بلح وسجدات ولآلئ ومجوهرات وملح وثياب وبنادق والبارود الذي كان يحوز اهتماما واسعا من قبل زعماء العرب حيث كان لدى تيبوتيب مخزنا من البارود وغير ذلك ليتبادلوه بالعاج والرقيق [4].

وقد تميزت هذه الأسواق بضجيجها وحركتها الدائمة وبتنوعها في منتجاتها من الخضروات والفواكه، ومن أشهر الأسواق التي دعمها الوجود العربي في الكونغو أسواق نيانغوي كسوق كيتيكو التي ضمت سلعا مختلفة بجانب العاج والرقيق فبيعت فيها المصنوعات الفخارية والأقمشة التي بودلت بالودع والخرز والنحاس وأسلاك الحديد والبطيخ ، الخيار ، الفول ، الدخن ، البيض وغيرها من سلع الإضافة إلى نيانغوي توجد أسواق أنيانيمبي وكاسونجو [5].

---

[1] . نفسه .

[2] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 561

[3] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 242 .

[4] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 561 .

[5] . مصيلحى محي الدين محمد ، مرجع سابق ، ص . ص 206 . 210 .

كما نظم العرب مواعيد هذه الأسواق طبقا لمواعيد الحصاد وظروف المناخ، وتوالد الحيوانات مما نتج عنه رفع مستوى الإنتاج وسد حاجة الأسواق [1].

أما عن العملة فكانت تسمى ريبا (Riba) أو أجزاء صغيرة من القماش المصنوع من الألياف، والأعشاب والقواقع وكانت المقايضة هي أساس التعامل آنذاك[2] ، بينما ذكر أحد الأدباء الذين زاروا الكونغو، يدعى فريتز فان در ليندن (Fritz Van Der Linden) أن الأهالي المستعربين كانوا يعرفون النقود، وأن التجار العرب من كاسونجو والذين لهم علاقة مع زنجبار كانوا يؤثرون الذهب في تعاملاتهم التجارية لاسيما الإسترليني [3].

كذلك من نتيجة استقرار العرب في المستوطنات لواقعة بالقرب من مراكز التقاء الطرق والأماكن التي تسهل على المحليين التجمع ما جعلهم يكونون ارستقراطية عربية تجارية، وأشاعوا الأمان والسلم وسط القارة تلاهم رؤساء القبائل من الزنوج التابعين لهم وسكنوا من حولهم فكونوا مجتمعا متماسكا ذو مقومات أساسية [4].

4 . شبكات النقل البري المائي :

لقد عمل تيبوتيب على إنشاء شبكة واسعة من الطرق تضم وتصل القرى ببعضها البعض بواسطة قوافل تؤمن نقل الأفراد وبضائعهم في ظل انعدام الأمن الذي كانت تعرف الكونغو آنذاك [5]، حيث كان يسعى لفرض السلم في المنطقة لدرجة تمكن النساء من التنقل في الطرقات دون الخوف من التعرض لأي مخاطر [6].

وبهذا الصدد فإن التنقل البري كان مؤمنا حسب نموذجين إما عبر دفعة واحدة وبدون توقف أو عن طريق مراحل حسب تعدد المحطات ففي النموذج الأول ينتقل الشخص مباشرة

---

[1] . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص . ص 365 . 366 .

[2] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 243 .

[3] . لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، ، تعليق شكيب ارسلان، تر عجاج نويهض ، ج3 ،ط4، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1394هـ/ 1973م ، ص 59 .

[4] . نفسه ، ص 60 .

[5] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 560 .

[6] - Heinrich Brode, Op Cit, P104 .

من نقطة الانطلاق حتى مكان الوصول دون أي توقف وعلى العكس من ذلك فالنموذج الثاني يسمح له بالتوقف في عدة محطات حيث يضع الحمالون الحوائج في مكان يعتبر نهاية مرحلة من مراحل السفر ثم يأتي حمالون جدد يتابعون السفر مباشرة إلى المحطة التالية[1].

والجدير بالذكر أن الإدارة الاستعمارية البلجيكية قامت بإتباع نفس الأسلوب حتى عام 1950م إذ أصبحت الطرقات التي شقها العرب فيما بعد أساسية للعبور انتهجتها القوى الاستعمارية [2].

ت / . من الناحية الاجتماعية الثقافية :

يختلف توزيع السُكان في منطقة الكونغو ، إذ يكثرون في المناطق المرتفعة حيث اعتدال الجو وخصوبة الأرض ونجد من أهم القبائل الإفريقية في هذه المنطقة هي السوكوما والنياكيوزا والمساي ، والواشاجا .[3]

ومن العادات الغريبة في حياة بعض هذه القبائل مثل النياكيوزا تحريم الصُلة أو النظر بين الأب وزوجة ابنه ومن تفعل ذلك تنهال عليها اللعنات والاحتقار ويسكن الولد في مكان بعيد مع زوجته إذ يحرم في هذه القبائل سكن الوالد مع ابنه فكان ذلك سببا لقيام ما يسمى قرى الأعمار المتقاربة إذ يسكن الرجال الكبار في السن في قرى خاصة مع الزوجات والأولاد الصُغار وتظل الفتاة في البيت حتى تتزوج ثم ترحل إلى قرية زوجها أما الأولاد فإنهم يتركون قرية أبيهم عندما يبلغون الثانية عشرة من العمر ويعيشون في مكان خاص يسمى بقرية الشباب حيث يمنح الأب ابنه قطعة أرض ليبني عليها مسكنه الخاص الذي سيتزوج فيه فيما بعد [4].

ولكن بدخول حمد المرجبي المنطقة تم تعديل الكثير من العادات الاجتماعية خاصة ما يتعلق بالروابط الأسرية بين أفراد العائلة الواحدة وانتشرت ثقافة مغايرة و استقرار مبني على

---

[1] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 561 .

[2] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 561 .

[3] . ناجية محمد الصالح الخريجي، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية 1221/1367هـ 1807/1947م** ، رسالة دكتوراه ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة ، 1413هـ/ 1993م ، ص 405 .

[4] . نفسه ، ص 406 .

الأمان والسلام والطمأنينة التي لم تكن لتتحقق لولا وجود تنظيم اجتماعي معتمد على بنية تحتية أساسية ذات نظام وترتيب.

ولقد أعجب كثير من المستكشفين الغربيين أمثال ستانلي الذي زار تلك الديار وتناول في كتاباته فوائد استمرارية السلم العربي من تطور عمراني لم تشهده أرض الكونغو من قبل، وتقدم في المجال التعليمي وكذا الطبي .

1 / . من مجال العمران :

عندما توجه العرب من الساحل الشرقي لإفريقيا نحو الكونغو حملوا معهم فنونهم المعمارية فحملوا معهم الأبواب المخروطة والأعمدة ذات الرؤوس والزخارف العربية السواحيلية التي زينوا بها سقوفهم والمعادن والنقوش التي ركبت على النوافذ والأبواب وهذا ما لفت أنظار الرحالة الأجانب عندما لم يرتضوا بالعيش في الأكواخ كالزنوج[1] .

فالقرية العربية السواحيلية كانت تتكون من مجموعة من البنايات تتوسط العديد من أكواخ الزنوج الذين تجمعوا في سكانهم حول العرب التماسا للأمن لديهم، أما القرية فكان محيطها يتكون من ظهور المنازل المغطاة بالملاط وحولها حظائر الحيوانات ووسطها منزل الحاكم [2]،ففي عاصمة تيبوتيب كاسونجو يتواجد مقره فيه ساحة واسعة يلتف من حولها جميع الناس من كافة القرى لرؤية الحاكم وبالقرب من الساحة توجد غرفة الاستقبال لا يدخلها إلا ذوي الرتب العالية مرفقون بقرع الطبول وكل وافد جديد يعلن عن قدومه من المدخل [3].

و ذكر هانريش أنها كانت ذات طابع بارز بمدخل كبير وتتكون من مستوطنين مختلفين، كما أنها كانت تقع على الضفة اليمنى من أرض الكونغو يسكنها العرب وطبقة النبلاء السواحيليين وفي غربها كانت توجد منازل عادية ، يتميزون بحبهم للزراعة ما جعلهم يقومون بإنشاء مزارع بالقرب من مدنهم وما ساعدهم على ذلك الأراضي المنخفضة و المياه الجيدة، ويذكر أن العرب استطاعوا أن يشكلوا مجتمعا كبيرا مهيبا [4].

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 242 .

[2] . المرجع نفسه ، ص 240 .

3 - Heinrich Brode, Op Cit, P104 .

4 - Ibid, P95-96.

أما سيدني هايند (S.Hinde)[1] في وصفه لمدى تطور الذي وصلت إليه عاصمة كاسونجو الإسلامية بعد أن اجتاحتها القوات البلجيكية، فقد ذكر أنها مقطعة الشوارع مما تسنى للجنود العاديين في هذه المدينة أن يناموا على أسرة مغطاة بالحرير ومزودة كل منها بكلة (ناموسية) كما توجد الستائر وكانت المنازل محاطة بحدائق ، وأن كل منزل ملحق به حمام واصفا كيف يصل الماء إلى خزان في أعلى غرفة الحمام ثم يستعمل للاغتسال بسهولة ويوجد بها مصارف الماء في البيوت مصنوعة من أنابيب من الخشب ويعجب من نظافتهم عامة والمدينة مقامة على حافة غابة إذ كانت العاصمة كاسونجو تحتوي على كل مظاهر البذخ التي قد نسيتها القوات الأوروبية في ظل ظروف الحرب الراهنة[2] .

في حين وصفها رحالة بلجيكي فريتز فان در ليندن خلال فترة إقامته بها بقوله: « ... دعاني أحد العرب في كاسونجو إلى منزله، فدخلت إلى بيته ووجدته مفروشا بالحصير ومزينا بالمتاع اللطيف، وأبواب البيت والنوافذ كلها منقوشة وعلى أحد الأبواب كتابة عربية لآية من القرآن الكريم وقد كانت كاسونجو جميلة نظيفة ذات مسحة عربية بادية عليها»[3] .

2 / . التعليم :

كان معظم العرب الذين رحلوا إلى الكونغو يعرفون القراءة والكتابة والحساب، وذلك وفقا لما تتطلبه حياتهم التجارية فكانوا يحفظون القرآن الكريم ويقرؤون كتب الدين، لهذا اهتموا في مهجرهم بتعليم صغارهم وصغار الزنوج، وكانت العملية التعليمية إلزامية، حيث أولوها أهمية كبيرة كي لا تنقطع صلة الأطفال العرب الروحية بأصلهم العربي الإسلامي[4]، وشاركهم آباء الزنوج، حيث كانوا يرسلون أبناء الزعماء الزنوج إلى زنجبار ليستكملوا تعليمهم هناك ومن الأمثلة على ذلك إرسال نجونجو لوتيته ابنه البكر نزيجي إلى كاسونجو بغرض تلقي التعليم العربي [5].

---

[1] . سيدني هايند ، (1863 . 1930 م) طبيب إنجليزي برتبة ضابط في قوات دولة الكونغو الحرة الخاضعة لبلجيكا ، انشغل بالإضافة إلى الطب بالجهدين العسكري و الاستكشافي ، سيدني لانجفورد هايند ، مصدر سابق ، ص 12 .

[2] . سيدني هايند ، مصدر سابق ، ص 140 .

[3] . لوثروب ستودارد ، مرجع سابق ، ص 60 .

[4] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 239 .

[5] . سيدني هايند ، مصدر سابق ، ص 160 .

ومنه انقسم التعليم في الكونغو إلى نوعين النظري والحرفي، فالنظري يتمثل في الحساب والقرآن الكريم والقراءة والكتابة، و كان بغرض تأصيل الهوية الإسلامية في الطفل، أما الحرفي فمن أجل الاسترزاق مثل الفلاحة والبناء وصناعة الطوب والتجارة وصناعة السلاح، بل وقد ازداد اهتمام العرب بهذا النوع من التعليم عندما واجهوا ضغط الاستعمار الأوروبي، ففضلا عن تعليمهم فنون الحرب قاموا بتعليمهم التجارة والترجمة، ولم يكن هذا غريبا نظرا لطبيعة العرب التجارية كما أنهم جعلوا من رقيق المنازل خدما مما كان له أثرا في انتشار الإسلام والتمسك به حيث مهد لإدخال البعثات الإسلامية الحقيقية[1].

وكان هذا التطبيق للدين الإسلامي بمثابة الحافز للزنوج لكي يعتنقوه، وبعكس ما كانوا يرونه في الأوروبيين الذين لم يكونوا يطبقون ما يعلمونهم إياه، فضلا عن أن الذين دخلوا المسيحية تعلموا على يد الإرساليات وأصبحوا لا يصلحون للحياة الإفريقية ولا للحياة الأوروبية أيضا، وبسبب انتشار التعليم والثقافة في المنطقة وانتشار المراسلات العربية في الكونغو بين زعماء القبائل الإفريقية والعرب استطاعت البلجيك أن تتطرق بشكل أفضل إلى معرفة السكان الأصليين وأوضاع العرب أيضا التعاملات التجارية كالعاج والسياسة فلم يعد تعليم العربي بالفائدة فقط على الزنوج والعرب بل حتى على البلجيك وكان عاملا مسهلا لتوغلها ليكون سببا في تمزق المجتمع الإفريقي على يد هذه الإرساليات والتوسعات بعكس العرب الذين نسجوا أواصر المجتمع الإفريقي في الكونغو[2].

3 / . اللغة واللباس :

لم يمارس العرب في الكونغو ضغطا على الزنوج، ولم يفرضوا عليهم حضارتهم من ملبس أو مأكل أو لغة، كما لم يكن نشر الدين الهدف الأول لهم لأنهم وخلال رحلتهم إلى الكونغو، فلقد كانت التجارة هي الغاية الأبرز لدخولهم القارة الإفريقية، فتيبوتيب كان تاجرا قبل أن يكون حاكما، إلا أنه وبعد تأسيس دولة العرب في الكونغو كان يستلزم وجوب وجود لغة مشتركة يتعامل بها في ظل اللغات العديدة للقبائل المتنافرة [3].

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 239 .

[2] . نفسه .

[3] . Xavier Luffin , Op Cit , P 294

فاضطر هؤلاء الزنوج للانصهار تحت النفوذ العربي بفعل المصالح المشتركة، وصارت كلها تتحدث لغة واحدة تتخاطب فيها بسهولة إلا وهي السواحيلية [1] بغرض توطيد الأمن والازدهار الاقتصادي [2].

فقد كانت اللغة السواحيلية اللغة الرسمية السائدة بينهم آنئذ في شرق الكونغو وخصوصا لهجة كينجوانا[3] التي استعملت في التدريس بالمدارس العربية التي أظهرت البصمات التي تركها الوجود العربي في الكونغو، ولم يكن تأثير لغة العرب مقتصرا في بقعة بعينها في الكونغو بل كانت اللغة السواحيلية تمتد من شرق إفريقيا حتى شواطئ اللوامامي، وقد استعملها الأوربيون أنفسهم بعد ذلك في تخاطبهم مع السكان الأهالي حيث كانت هذه اللغة هي التي تساعدهم في حركاتهم الاستكشافية الجغرافية وسط إفريقيا، ولهذا أصبحت اللغة السواحيلية هي لغة المعاملات اليومية بين مجموعات السكان المختلفة في تلك البلاد[4].

كما انتشرت أيضا اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم فقد كان زعمائهم يقرؤون القرآن ويتكلمون اللغة العربية حيث شهد لورد مونتمور الذي زار الكونغو عام 1905م بأنه وجد بعض الزعماء المحليين يتكلمون اللغة العربية ويقرؤون القرآن وكتبا إسلامية أخرى[5]، ولم تكن مقتصرة فقط على العاصمة كاسونجو فقط، بل حتى وُجِدَت في ستانلي فولز إذ تحدث آرثر دوتري قاضي مدينة ستانلي فولز خلال الفترة الممتدة ما بين 1907 إلى 1918م، عن وجود مدرسة

---

1 . **اللغة السواحيلية** ، نشأت نتيجة تمازج المؤثرات الإفريقية والعربية والفارسية في جو إسلامي والسواحيلي هو هجين عربي إفريقي ، وقد كتبت السواحيلية أولا بالحرف العربي مثل كثير من اللغات الإفريقية واثر الاستعمار الأوروبي استبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني بغرض المباعدة بينها وبين جذورها العربية وبدأت أول المحاولات لتحويل اللغة السواحيلية = من الأبجدية العربية إلى الأجنبية في الكونغو خلال عام 1880م على يد الضابط البلجيكي جروم بايكر بتعليم سيفو بن راشد كيفية الكتابة بهذه الطريقة ، انظر : يوسف فضل حسن وآخرون : " **العرب وإفريقيا** " ، مركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر ، بيروت ، 1987 ، ص33 ، Xavier Luffin , Op Cit , P 294

2 . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 563 ، يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 237 .

3 . **لهجة كينجوانا** ، أي أهل زنجبار وهي لغة ذات نطق مميز قليلة المواد الأصلية وهي لغة زنجبار والجزيرة الخضراء وكل تنجانيقا وتعتبر من أوسع اللهجات من حيث عدد الناطقين بها ، أنظر : جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 426 .

4 . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 293 .

5 . نفسه ، ص 294 .

قرآنية بستانلي فولز، و وجود معلم مسئول عن تعليم الأطفال كيفية الكتابة والقراءة، وقد كانوا يكتبون باللغة السواحلية مستخدمين الأبجدية العربية حيث كان يقوم المعلم بكتابة القرآن والأدعية بالطين الأحمر كحبر[1].

وقد بلغ إعجاب الزنوج بالعرب المسلمين درجة أنهم لم يقلّدوهم في دينهم ولغتهم فقط، بل حتى في ملبسهم، فلم يعودوا يرضون بالعري كما كانوا من قبل، وإنما صاروا يرتدون ملابس بيضاء فضاضة طويلة ووضعوا عمامة على رؤوسهم، مما لا شك فيه أن الأثر العربي والروح الإسلامية قد انعكس جليا على أزياء الرجال والنساء على حد سواء، فبالنسبة لملابس الرجال كان هناك (الكنزو) الذي يمثل الزيٌ المميز للرجال في المجتمع السواحيلي والمجتمعات الإفريقية بالداخل، وهو عبارة عن ثوب عربي إسلامي يتدلى إلى الأقدام وإلى مرافق اليدين وغالبا ما يكون من قماش أبيض وهو نفس الثوب العماني الذي يسمى الدشداشة أما بالنسبة إلى النساء فكن يرتدين عباءة نسائية سوداء أو ما يسمى بالسواحيلية البوي بوي (Bui bui) ، ولقد ارتبط هدا الزي بالإسلام في إفريقيا [2].

4 / . الطب :

اعتمد العرب على الأطباء واستعمال العقاقير والنباتات الطبية كما قاوموا الشعوذة والمعتقدات البالية، فطاردوا الأطباء السحرة الذين كانوا ينزوون بعيدا عن قراهم، وكان الزنوج ميسوري الحال يعتمدون في علاجهم على الأطباء العرب الذين ارتحلوا في ركاب القوافل التجارية المتوجهة إلى قلب أرض الكونغو، فاحتفظوا بالإبر الطبية والقطن الطبي والخيوط والأدوية التي كان الرحالة الأجانب يحضرونها معهم، ومنها كان يحصل العرب على أدواتهم

1 - Xavier Luffin , Op Cit , PP 294 – 295 .

[2] . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 421 .

الطبية منهم فيذكر بيرتون[1] أنه كان لديهم أطباء مهرة عالجوه في مرضه مثل الطبيب سناي بن عامر و محمد بن خلفان في أوجيجي [2].

كما اتخذوا الحيطة في أساليب عيشهم مخافة من العدوى بالمادة المأخوذة من المرض نفسه كالجدري، فعزلوا المرضى حتى لا يتفشَّ المرض بين الأصحاء منهم، إذ كان الجدري والكوليرا من الأمراض الفتاكة التي قضت على الكثير من الأهالي[3].

وبهذا تمكَّن حمد المرجبي والعرب من أن يحولوا بلاد مانييما ماليلا إلى بلاد خصبة وأعمر مناطق وسط القارة الإفريقية، وبذلك يعتبر التنظيم الذي وضعه حمد المرجبي في الكونغو أول تنظيم سياسي واقتصادي وحضاري داخل القارة الإفريقية يتبع السلطنة العربية الإسلامية في زنجبار من انتشار للغة العربية والسواحيلية في هذه المناطق، وظهور علماء درسوا في المدارس القرآنية وفي الخلوات وفي الجوامع، هذا فضلا عن انتقال فن العمارة الإسلامية السواحيلية بل تعداه إلى شيوع التأثيرات الاجتماعية فانتقلت العادات والتقاليد والفنون ونظام الأسرة وحتى الألبسة والأزياء ما أدى باعتراف البلجيك بأن الوجود العربي كان له أثر كبير في ازدهار منطقة الكونغو .[4]

لذلك جعلت البلجيك في الكونغو أعمالها امتدادا للحضارة العربية في جميع المجالات والمرافق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حيث هناك تقرير كتبه أحد الموظفين الرسميين في دولة الكونغو الحرة يدعى فان أتفلد، وأرسله إلى الحكومة في العاصمة البلجيكية بروكسل يقول فيه أنه يجب الإبقاء على الجهود التي بذلها العرب في الكونغو والحفاظ على التقدم الذي أحرزه العرب هناك[5] .

---

[1] . **بيرتون** : السير ريتشارد فرانسيس بيرتون (1821 . 1890م) مستكشف ومستشرق وعسكري ومترجم انجليزي قام ببعثات للكشف عن منابع نهر النيل قام بتأليف العديد من الكتب أثناء رحلاته في دواخل القارة الإفريقية ك ألبرت نيانزا ومنبع النيل العظيم وغيرها ، أنظر : جوزفين كام : " **مستكشفون في إفريقيا** " ، ترجمة السيد يوسف نصر ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 2007م ، ص 280 .

[2] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 243 .

[3] . المرجع نفسه ، ص 244.

[4] . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 302 .

[5] . نفسه .

3 . جهود حمد بن محمد المرجبي في نشر الإسلام.

1. جهوده في نشر الإسلام:

كان للسيد سعيد بن سلطان الدور الأعظم في نشر الإسلام في شرق إفريقيا عندما اتخذ من زنجبار مقرا لحكمه ، فانتشر الإسلام في عهده من الساحل الإفريقي إلى الداخل مع حركة القوافل التجارية، حيث كان للتجار دورا مهما في ترسيخ و نشر تعاليم الدين الإسلامي بين العديد من القبائل الإفريقية، لما كان لهم من مؤهلات لذلك من أخلاق وأمانة وصدق في التعامل، بالإضافة إلى حسن المظهر[1].

فقد وصفهم الرحالة الإسكتلاندي دافيد ليفينجستون (D.Livingstone) في خطابه إلى القنصل البريطاني "كيرك" بأنهم يتحلون بالصفات الحميدة حيث يقول : «..التجار المسلمين الزنجباريين رجال مهذبون ويتميزون بالشرف والأمانة...»[2]، وكمثال على ذلك نذكر رحلة الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري العماني وأصحابه إلى أوغندا سنة 1848م، حيث كانوا ضمن قافلة تجارية خاصة أرسلها السلطان سعيد إلى المناطق الداخلية لإفريقيا في عهد الملك الأوغندي الكاباكا (سونا)، فقد كان للشيخ أحمد موقف جريء وقوي في بدايته لنشرا لإسلام وتعامله مع الكاباكا، حيث أهداه نسخة من القرآن وعلمه أربعة أجزاء منه[3].

تعد الكونغو من أبرز مواقع التفاعل والتأثير العماني في وسط القارة من خلال انتشار الهوية الثقافية العمانية وانتشار الإسلام، حيث يعد العمانيون أول شعب عربي مسلم جال دواخل القارة الإفريقية ورسخ مكانه ودوره من خلال إنشاء مدن إسلامية وطرق تجارية وطرق الحج في أواسط وسواحل القارة، وذلك بفضل شخصيات مثلت مكانة و دور العمانيين البارز في نشر ألإسلام، ومن بين هذه الشخصيات حمد بن محمد المرجبي الذي تمتع بسلطة سياسية وزعامة كبيرة في كافة نهر الكونغو، وتمكن من تأمين نفوذه في عدة مناطق مثل منطقة

---

[1] . صالح محروس محمد، **رحلات حجاج شرق إفريقيا وآثارها في القرنيين التاسع عشر والعشرين** ، من أعمال مؤتمر الدولي لطرق الحج في إفريقيا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 28 ـ 29 نوفمبر 2016م، ص4.

[2]. Livingstone David : **A letter to john kirk** , political agent Zanzibar, The *Royal Geographical Society Of London*, Vol14, No1, 1869-1870, P39 .

[3] . موسى البوسعيدي، ، مرجع سابق ، ص 356 .

نيانغوي و كاسونجو ثاني أكبر مدن الكونغو، بالإضافة إلى والمنطقة الواقعة بين نهري أرويمي، لومامي » وشلالات ستانلي الشمالية، وحول بحيرة ألبرت[1].

استطاع تيبوتيب أن يؤسس لنفسه نفوذا تجاريا في المناطق الواقعة شرق الكونغو (رواندا و بوروندي)، حيث كان التأثير العربي الإسلامي فيهما هو نفسه السائد في الكونغو من انتشار للمذاهب الإسلامية وظهور للمعالم الدينية، وتأسيس للأسواق التجارية التي نشطت بفضل العمانيين لاسيما قبائل " آل حارث" وأفخاذها التي ساهمت بشكل فعال في تعزيز الإسلام في تلك المناطق، ذلك أن العرب المسلمين لم يكونوا يعيشون في عزلة بل دخلوا في علاقات مع شعب الكونغو وانسجموا مع الأهالي، فنرى أن زواج والد تيبوتيب من ابنة زعيم قبيلة النياموزي كان دليلا على ذلك الانسجام، فقد انعكس هذا التصاهر على الميادين الأخرى حيث نتج عنه ظهور آثار عمرانية إسلامية من بناء للمساجد والبيوت العائلية والمعالم الثقافية، بالإضافة إلى التطور السياسي والاقتصادي، فقد قام المسلمين بتنظيم طرق التجارة، وإقامة المزارع، وتنظيم الأيادي العاملة وما إلى ذلك[2].

ففي عهد تيبوتيب بلغت الكونغو درجة كبيرة من التقدم، وكانت بها قصور فخمة وعدة مساجد ومدارس عربية يدرس فيها الطلاب القرآن الكريم وبعض علوم الدين والحساب[3]، ومن أشهر المدرسين "الشيخ بكراني"، حيث تطوَّر التعليم الديني وأصبح إلزاميا وفُتِحت عدة كتاتيب ومدارس من أجل ذلك، كما انتشرت اللغة السواحيلية ما أدى إلى تطور علوم الترجمة خصوصا بعدما رأى العرب أن الحركات التنصيرية المسيحية بدأت تتدخل بالمنطقة، فنرى أن التأثير الإسلامي قد طغى على مختلف جوانب الحياة في الكونغو خاصة في اللباس الفضفاض والمأكل والعادات والتقاليد[4].

فقد تميز المسلمون في الكونغو بارتداء أثواب ثلجية ناصعة البياض، وكانوا يضعون عمائم ويرتدون سترات مطرزة من الذهب والفضة، ويقال أنهم كانوا يتميزون بالوعي والثقافة لدرجة

---

[1] . موسى البوسعيدي ، مرجع سابق ، ص . ص 395- 396 .

[2] . نفسه ، ص 397

[3] . عبد الله عبد الرزاق وشوقي جمل ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء للنشر، ط2، الرياض ، 2002 ، ص . ص 156- 155.

[4] . البوسعيدي موسى ، مرجع سابق، ص397 .

أنهم عندما يلتقون في الأسواق والمحلات أو حتى المقاهي كانوا يتناقشون في مختلف المواضيع الثقافية مثل التحدث عن حروب نابليون أو مناقشة أوضاع الحكومة التركية وهذا خلال تناولهم القهوة[1].

ومن آثار التواجد الإسلامي في الكونغو ظهور عدة مدن عربية إسلامية مثل "كاسونجو" التي استقر فيها تيبوتيب وأحضر معه الكثير من أصدقائه وأقربائه التجار العمانيين وجعلها عاصمة له في الكونغو، فازدهرت بها التجارة والعمران وكثرة المحاصيل، وبلدة نيانغوي التي يوجد بها أكثر من ثلاثمائة بيت عربي[2].

كما عرفت الكونغو وجود أقلية من المجتمع القُمري (سكان جزر القمر) في عهد المرجبي، و الذين لعبوا أدوارا مهمة وارتقوا في الرتب الاجتماعية في مختلف أرجائها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فكان منهم الجنود والرؤساء وعلماء الدين والمترجمون ومرافقي التجار العرب والسواحيليين خلال رحلة القوافل التجارية[3]، فقد كان لهم دور مهم في نشر الطريقة الشاذلية و القادرية ومختلف الطرق الصوفية الأخرى في شرق إفريقيا و وسط الكونغو عن طريق عدة علماء صوفيين من بينهم الشيخ "محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنجواني" و "سيد محمد معروف" شيخ جزر القمر الذي نشر الطريقة القادرية في المناطق النائية في إفريقيا وصولا إلى "أوجيجي" و"تابورة" خلال الفترة الممتدة بين1850و 1904[4].

2. تيبوتيب و الإرساليات التنصيرية:

صادف تيبوتيب خلال إقامة دولته "المجموعات التنصيرية" من بعثات كاثوليكية مثل "جمعية الروح القدس"، و"مركز الآباء السود" الذين كانوا بزنجبار وتمركز نشاطهم في الجابون والكونغو[5]، "بالإضافة إلى إرسالية الآباء البيض" (جمعية مبشرو الجزائر سابقا) في منطقة

---

[1] . P.M.Holt & Ank, Slambton & Bernard Luis , **The Indian Sub-continent**, History Of Islam,V2A, Cambridge university press, 1970, P391 .

[2] . **البوسعيدي موسى**، مرجع سابق، ص . ص 400- 401.

[3] . **The Comorian Presence in Precolonial and Early Colonial Congo (19th Century-1908) ,** Royal Museum for Central Africa, Historical Archives, Collection Tobback, P.p3-7

[4] **.** Ibid, p9-12

[5] . عمر سالم بابكور، **الإسلام والتحدي التنصيري في شرق إفريقيا**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، 1990، ص107.

بحيرة فيكتوريا وتنجانيقا، والتي كان لها دورا كبيرا في التنصير لاسيما رائدها "الأب لافيجري مطران نانسي السابق" الذي عُين بطريركا للجزائر وكان هدفه القضاء على الإسلام في الكونغو، فقامت هذه البعثة بإنشاء أول مراكزها في رومانجي (بوروندي) 1879م، ثم توسعوا ليشملوا أوفيرا، أوب واري ، لوسوكو..الخ[1] .

بالإضافة إلى دور "الكنيسة التنصيرية الفدائيين" في أوغندا التي كان أشهر أعضاؤها ألكسندر ماكي (Alexander Makay)، و"جمعية لندن التنصيرية" التي قامت بفتح محطة في أوجيجي على بحيرة تنجانيقا 1862م، وتبعتها بفتح محطات تبشيرية في أورمبو التابعة لأوجيجي ، وكذلك في متوا على الساحل الغربي وصولا إلى بحيرة نياسا وتنجانيقا تحت زعامة ادوارد هور(Hore Edward) وسوان (Swan)[2] . واختلفت الأساليب التنصيرية بين البروتستانت والكاثوليك، فالأولى تركز في أعمالها على النخب والزعامات القبلية، لاعتقادهم أن الناس يتبعون دين ملوكهم، بينما كانت الثانية تتوجه بدعوتها إلى جميع المواطنين، كما كانوا يبنون دور عبادة في جميع الأماكن التي كانوا يمرون بها[3].

قامت الجمعيات التنصيرية بإنشاء المدارس في كل أنحاء أواسط إفريقيا انطلاقا من نغوتا (Ngota) إلى تابورة ، حيث تقربت من القبائل الوثنية وبدأت بتدريس أولاد رؤساء القبائل بالمجان على أن يلتحقوا إجباريا بدروس الإنجيل، حيث كتب كانون ديلي (Canon Dilly) أحد المبشرين قائلا له: «...يجب أن لا نيأس بأننا لا نستطيع هزيمة الإسلام ولكنني أشعر بأننا يجب أن نحصل على قدر ما نستطيع تحت نفوذنا، ونعطهم الحق في التفكير في أصول الأديان قبل ما ندفعهم من الاختيار... »[4].

وفي ظل هذه الظروف كان تيبوتيب على علم بكل ما يجري من حوله حيث لمح لـ ادوارد هور في مقابلة معه بأنه لديه خطة لتصحيح الأوضاع في تنجانيقا، كما أخبره أنه لديه صلاحيات من السلطان بزنجبار بأن يضم بحيرة تنجانيقا وكل المناطق حولها تحت نفوذه[5] ،

---

[1] . عدنان حداد، مرجع سابق ، ص571.

[2] . عمر سالم بابكور، مرجع سابق، ص 109.

[3] . جميلة بنت عبده بن موسى، مرجع سابق، ص 85.

[4] . عمر سالم بابكور، مرجع سابق، ص 294 .

[5] . نفسه ، ص350 .

فلقد كان هذا التلميح بمثابة رسالة غير مباشرة من تيبوتيب على أنه سيعمل للحد من هذه النشاطات التبشيرية، وليؤكد له بأنه هو صاحب الزعامة في هاته المناطق، فقد عمل مع ابنه سيف الذي مد نفوذ دولتهم إلى نهر اللومامي من خلال إخضاع أقوى الزعماء المحليين، حيث دخل سيف في صراع مع المندوبان البريطانيان 'ويشا' و 'ميشو' بعد أن هزمهم مؤكدا ذلك في خطاب أرسله لوالده تيبوتيب بأنه سيشن حربا لطرد الأوروبيين من الكونغو حيث يعتبر هذا تهديدا واضحا للنفوذ البريطاني بزنجبار والكونغو[1].

فقد نجح تيبوتيب إلى حد ما بتعميم الدين الإسلامي وسط رعاياه في الكونغو، كما وأنه قد تمكن من إقامة السلام بين المستوطنين العرب والسكان الأصليين نظرا لحنكته، فقد كان عربي ومسلما جوهريا[2] وهذا ما ينعكس على الشعوب التي كانت تحت حكمه.

[1] . عمر سالم بابكور، مرجع سابق، ص430 .

[2] . هايند لانجفورد ، مصدر سابق ، ص 14 .

- **ثانيا ـ علاقات حمد بن محمد المرجبي ونشاطه في تجارة العبيد .**

1 . علاقة حمد المرجبي بسلطنة زنجبار والزعماء الأفارقة :

لم يعرف حمد المرجبي الاستقرار الدائم في منطقة ما لطبيعته المرتحلة، وكان يجوب دواخل القارة الإفريقية في رحلات متعددة منها التجارية والاستكشافية، وبالرغم من عيشه بعيدا عن زنجبار، إلاَّ أنه كان على اتصال دائم لها [1]، حيث كانت حكومة سلطة زنجبار تشاركه تمويل مشروعاته وتقدم له الهدايا، كما اعترف حمد بتبعيته لسلطنة زنجبار بالرغم من كونها تبعية اسمية وشكلية فقط، فلم تكن هناك ممارسات سياسية إدارية لسلاطين زنجبار على تيبوتيب ودولته في الكونغو، إلاَّ أن التقارير التي كان يبعث بها الرواد والمبشرون الأوروبيون إلى الجمعيات التبشيرية أو الجغرافية الموفدون من قبلها، أشارت إلى أهمية خطابات التوصية التي كانوا يحرصون على الحصول عليها من سلطان زنجبار لأن تيبوتيب وغيره من العرب كانوا يحترمون التعليمات التي تصدر إليهم من حكام السلطة العربية [2].

واقتصرت علاقات تيبوتيب مع السيد ماجد [3] على إمداده بالبضاعة وتشجيع سفراته [4] بينما اختلفت علاقته مع السيد برغش بن سعيد [5] إذ بالرغم من تقديمه لهدايا ودعمه لحمد إلا أنه حاول أن يثنيه عن توسعاته في أرض الكونغو فقد قام باستدعائه عام 1882م إلى زنجبار في الخطاب التالي مهنئا إياه على تأسيس دولته العربية :

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 224 .

[2] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص . ص 234 . 235 .

[3] . **السيد ماجد** ، تولى السيد ماجد بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد زمام الحكم في زنجبار خلفا لأبيه في الربيع الأول سنة 1273هـ/1856م حيث سار على نهج أبيه في اللين والرفق بالرعية وفي الحرص على أموال الدولة متجنبا مظاهر البذخ والإسراف ، وتوفي في رجب 1287هـ/1870م . أنظر : المغيري سعيد بن علي ، مصدر سابق ، ص 285 .

[4] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 60 .

[5] . **السيد برغش** ، هو برغش بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد تولى عرش زنجبار في رجب سنة 1287هـ/1870م عقب وفاة أخيه ماجد وكان ذو هيبة شديدة من أفراد الملوك في علو الهمة وحسن السير كما كان شغوفا بالعلم والعلماء ، توفي بالباخرة في رجب سنة 1305هـ/1888م أثناء عودته من عمان إلى زنجبار حيث دفن جوار أبيه وأخيه في زنجبار . أنظر : المغيري ، مصدر سابق ، ص 327 .

« بسم الله الرحمن الرحيم، من برغش بن سعيد إلى حضرة الشيخ الأفخم حميد بن محمد بن جمعة المرجبي سلمه الله تعالي ، وبعد السلام عليك ، أخبرني المحب ابن مسعود بأنك واصل إلينا قريبا فوجبت علينا التهنئة لك، وأرسلنا هذا الكتاب للسلام عليكم، والسلام[1]».

وخلال لقائهما أعرب السيد برغش عن قلقه على المصالح الأوروبية في شرق القارة الإفريقية المهددة إثر التوسعات التي عرفها الزعيم ميرامبو[2]، فقد شملت إمارته أجزاء من شمال وغرب تابورة وما جورها و هو ما هدد من أمن طرقات التجارية العربية[3]، بالإضافة إلى ضغط انجلترا على سلطنة زنجبار من أجل تقليص الوجود والسيادة العربية بشرق إفريقيا، واقتسام ممتلكات السلطنة على الساحل وفي الداخل ، حيث حدثت تلك العملية عام 1886م بالتعاون بين انجلترا وألمانيا وفرنسا[4] .

وقد أدرك السلطان برغش بن سعيد قرب وقوع مؤامرة اقتسام ممتلكات السلطنة قبل وقوعها، حيث عرف القوى التي تسعى للوثوب على شرق إفريقيا ووسطها، واعتراض مصالح الدول الأوروبية في الكونغو مع توسعات تيبوتيب، فحاول برغش ثنيه عن طريق عرض منصب والي تابورة عليه ولم يكن من السهل على حمد أن يترك سلطته وقوته فقد كان بالفعل سلطانا كبيرا على مانييما بالرغم من كونه مخلصا لسلطنة زنجبار، وأراد الرفض العرض فحذره وكيله تاريا توبان من ذلك مخافة اتخاذ السيد برغش موقفا منه ما جعل تيبوتيب يستعمل الحنكة لتغنيه عن غضب السيد برغش منه[5].

---

[1] . اللمكي ، مصدر سابق ، ص 576 .

[2] . **ميرامبو** ، أو 'Mytela Kasanda ' ولد سنة 1830م وهو أمير حرب نياموزي الذي سيطر على معظم شرق ووسط إفريقيا ، ولد في العائلة المالكة لمقاطعة صغيرة في أويووا وأصبح رئيسا بعد وفاة والده سنة 1860م ليكون زعيمها وتاجرا قويا في جميع أنحاء البحيرات الكبرى ، وتوفي سنة 1884م ، أنظر : . Heinrich Brode ,Op Cit,P133

[3] - Heinrich Brode, Op Cit, P134.

[4] . أعلن المستشار الألماني بسمارك مع نهاية مؤتمر برلين 1884 . 1885 عن حماية ألمانيا لحقوق شركة شرق إفريقية الألمانية لكن احتجاج السلطان برغش على هذه الحماية جعلت الدول الأوروبية تألف لجنة ألمانية . فرنسية . بريطانية للنظر في هذا الاحتجاج وانتهى الأمر على أن سلطان زنجبار ليس له حقوق مشروعة إلا في جزر زنجبار وبمبا وأرخبيل لامو وكذلك شريط ساحلي لا يبلغ عمقه أكثر من عشرة أميال ، أنظر : زاهر رياض، **الاستعمار الأوروبي لإفريقيا في العصر الحديث**، مكتب الجامعات للنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 275 . 276 .

[5] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 145 .

خلال هذه الفترة التقى حمد المرجبي بأوروبي بلجيكي الذي أتى إليه محملا في جعبته عرضا ينص على مبدأ التعاون والشراكة في مسألة السيطرة على التجارة بحوض نهر الكونغو وما كان على تيبوتيب سوى جلب رجاله في حين تتحمل البلجيك مسؤولية البارود والبنادق فرفضها حمد بداية لكونه رعية من رعايا برغش وحينما سمع الأخير تراجع عن فكرة ولاية حمد لتابورة وطلب منه الإسراع بمغادرة زنجبار متجها إلى أرض المانييما [1].

أ ـ1 . علاقة حمد المرجبي بالزعيم ميرامبو :

في أوائل عهد السلطان برغش تكونت دويلة إفريقية غرب تابورة من قبائل الانيامويزي زعيمها ميرامبو، الذي كان على حرب دائمة مع العرب خصوصا عرب تابورة بسبب اتساع حدود نفوذه لتشمل أجزاء من شمال وغرب تابورة والطريق الرئيسي التجاري المباشر المؤدي من تابورة إلى أوجيجي، وهو ما جعل طرق القوافل التجارية غير آمنة تتعرض لغارات عديدة، ومستخدما مجموعة صغيرة من المحاربين للسيطرة على المشيخات المحيطة به، وتمكن بذلك من قيادة بعثات سمحت له بالسيطرة على مناطق عديدة من بوروندي إلى فينزا وتونغوي في الغرب، وإلى بيمبوي وكونغو في الجنوب، بالإضافة إلى نياتورو وإيرامبا وسوكوما في الشرق، ثم إلى سوكوما وسمبوا في الشمال، فتوسع نفوذ ميرامبو لتصبح حدود دولته تمتد من الغرب إلى غاية بحيرة تنجانيقا، ومن الشمال إلى بحيرة فيكتوريا[2] منشئا دولة صغيرة ذاع صيتها في أرجاء أرض أونيامويزي، ومهددة نفوذ سلطة زنجبار في المنطقة[3].

وإثر بروز قوة ميرامبو استطاع الطرفان اللجوء إلى حل وسط يتمثل في دفع الضرائب على كل قوافلهم المارة في حدود ميرامبو، إذ اعتبر ميرامبو أنه من حقه جمع الضرائب ومصادرة سلع كل من يحاول الامتناع ذلك، و قد دعمت قواته بالمحاربين إضافة إلى استعماله للبنادق والبارود ما جعل الجميع يرضخون له، وتكلل هذا بحلول سلم نسبي في المنطقة إلى غاية سنة 1871م عندما دأبت بوادر الصراع مجددا[4].

[1] . المرجبي ، مصدر سابق، ص 146 .

[2] . خريطة توضح نفوذ ميرامبو في المنطقة ، أنظر ملحق الوثائق رقم 3 ، ص 166 .

[3] - Heinrich Brode, Op Cit, P134.

[4] - Idem .

حيث أرجع ستانلي سبب عودة الصراع مجددا بين الطرفين إلى ارتفاع قيمة الضريبة التي فرضها ميرامبو[1] بينما ذكر حمد المرجبي أن السبب يعود لاحتجاز ميرامبو أكثر من مائتي عبد من العرب، لينتهي ذلك باندلاع الحرب بين الطرفين مرة أخرى سنة 1872م، حيث هُزِمَت السَّرية العربية أمام قوات ميرامبو فاستنجد العرب بالسلطان برغش الذي قام بإرسال نحو ألف من جنده تمكنوا من أن صد الخطر على المدينة الناشئة، لكن دون أن يقضوا على دولة ميرامبو، ما سمح له بتحقيق انتصارات عديدة ومنذ تلك الفترة استمرت حرب العصابات بينه وبين العرب الأمر الذي لم يهدد الطرقات التجارية وقلل من مكاسب العرب فقط بل شمل حتى سلطة سلطنة زنجبار العربية الإسلامية [2] .

أثناء ذلك لاحت أعلام زنجبار فوق قوافل حمد المرجبي الذي كان في زيارة لأقاربه بتابورة، فشعر العرب ببوادر بداية جديدة وتشجعوا ليتحدوا محاولين بدأ الصراع مرة أخرى سنة 1882م ، بداية استمر لما يقارب أسبوعا انتهى المطاف مجددا بخسارة العرب وتراجع قواتهم خلفهم ميرامبو ينشر الذعر ويؤجج الحرائق في كل قرى كما انه استطاع أن يهزم بعض من رجال تيبوتيب والاستيلاء على ما يقارب مائتي ناب من العاج وعدد لا يستهان به من الماشية لتستمر حرب العصابات مرة أخرى بين الطرفين متسببين في عدة أضرار لبعضهم البعض من النهب والسلب إلا أن العرب كانوا أكثر من عنى من قوافلهم حيث صاروا يأخذون مسارات سرية في خوف وذعر[3].

لقد كان لهذه الهزيمة أثرها على الوجود العربي في وسط القارة الإفريقية عموما وعلى تيبوتيب بصفة خاصة لاسيما وأنه كان قد بدأ يفكر في العودة إلى زنجبار من الكونغو متخذا طريقه عبر بحيرة تنجانيقا ومن تلك المنطقة خاصة بعد أن أتى أخيه محمد بن سعيد المرجبي

---

[1] . اضطر السلطان برغش إلى رفع الرسوم على تجارة العاج من 9 إلى 12 دولار للفرزيلة بسبب تكاليف نفقات الباهظة لقواته المواجهة ميرامبو ، ولم يمض عام واحد حتى قرر برغش سحب قواته متخليا عن جزء من ممتلكاته بسحب الحامية بالإضافة إلى رفع ميرامبو لضريبة للقوافل التجارية بشكل استثنائي ليسبب صعوبات في الدفع انتهى المطاف بمنعه لجميع المسافرين بالمرور عبر أراضيه ، ما وجد العرب أنفسهم أمام ارتفاع متعدد في الضرائب من الجهتين، أنظر : جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 113 .

[2] . Heinrich Brode, Op Cit, P134 – 136.

[3] . المرجبي ، المصدر السابق ، ص . ص 136 . 137 .

الملقب ببوانا نزيجي محملا أخبارا عن رجال عصابات ميرامبو يملئون طرق القوافل ما هدد من سلم بضاعة تيبوتيب الذي كان يأمل أن ينقلهم بأمان من تابورة بالإضافة إلى تمسك عرب تابورة بحمد المرجبي وقواته أملين أن ينقذهم من ميرامبو[1].

وبالفعل كانت الأوضاع ستسري في منحى آخر مهددة ببروز صراع آخر لولا إرسال ميرامبو في طلب تيبوتيب مع عرض للسلام، ويُذَكره بأنه لم تكن هناك عداوة بينهما نظرا لعدم تواجد حمد المرجبي أثناء حربه مع عرب محاولا أن يقوم بربط تحالف معه بالنظر إلى الماضي الذي يجمعهما إذ أن الرواية تعود إلى كون جد تيبوتيب جمعة المرجبي قام بتنصيب جد ميرامبو المدعو مافورا (Mavura) كسلطان لمقاطعة صغيرة تابعة لأوجوا (Ugoa)، وبعد وفاة جده وعمه تناول الحكم ميرامبو الذي قام بتوسيع مملكته على حساب المناطق الأخرى كأوريانكورو (Uriankuru) وأوجوا (Ujoa)[2].

فأرسل حمد المرجبي ابنه سيف مرفوقا بقوات من رجاله إلى عاصمة ميرامبو بالرغم من اعتراضات عرب تابورة على سير الأحداث نظرا للعداوة المتأصلة بين الطرفين ، وقد أسفر هذا التحالف عن عدة نتائج من بينها نشوء صداقة مع تيبوتيب وإخفاء ميرامبو لكراهيته نحو العرب أيضا طلب ميرامبو من سيف المرجبي أن يحاول تلطيف أوضاعه مع سلطان زنجبار تفاديا للحرب بالإضافة إلى سماحه لقوافل حمد التجارية وقواته بالمرور في أرضه بأمان [3].

أ ـ 2 . علاقة حمد المرجبي بمحمد بن خلفان (روماليزا) :

ولد محمد بن خلفان المدعو بـ روماليزا وتعني (الجسور المنفذ) في زنجبار حوالي سنة 1847م، وهو ينحدر من عائلة البرواني التي تعود أصولها إلى مدينة مسقط عاصمة عمان الحالية [4]، أما مولده فقد كان بمدينة مينيقو (Minguio) التي انتقلت إليها عائلته قبل ولادته بعدة أجيال، وتعود جذور ذلك إلى الخلاف الذي كان بين الأخوان برغش وماجد على السلطة فقام برغش بانقلاب ضد أخيه ولما فشل ذلك الانقلاب قامت عدد من العائلات التي ناصرت

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P140.
[2] . Ibid, P140.
[3] . Ibid, P149.
[4] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 351 .

برغش بالهجرة إلى تنجانيقا من بينها بعض الفروع لعائلة البرواني والتي كان من بينها عائلة محمد بن خلفان [1].

كبر روماليزا في زنجبار وأتم دراسته بها خلال أيام السلطان ماجد ثم توظف في سلك الجمارك بزنجبار ليشق طريقه بعد ذلك إلى منطقة تنجانيقا ممارسا تجارة على نطاقات واسعة سمحت له باكتساب نفوذ كبير مكنه من تشكيل مملكته الخاصة في منطقة نياسالاند بالتحديد في إمارة أوجيجي ـ الواقعة على حدود الكونغو وغرب بحيرة تنجانيقا ـ بالتالي استطاع محمد بن خلفان إحكام سيطرته على الزعامات الإفريقية بها ، فرض الجزية وتنصيب الزعماء بالإضافة إلى التدخل في السياسات الإفريقية المحلية والسيطرة على خمس مراكز تجارية في الساحل الشمالي الشرقي من بحيرة تنجانيقا، وبحلول عام 1881م كان روماليزا قد سيطر على المنطقة، وصار زعيما للمجتمع السواحيلي في أوجيجي[2] .

وتعود العلاقة بين حمد المرجبي و محمد بن خلفان(روماليزا) إلى عام 1881م، حيث التقى روماليزا لأول مرة بالمرجبي زعيم أرض مانييما حينما كان آنذاك في طريقه إلى زنجبار مدعوا من طرف السلطان برغش، وكان معه حوالي خمسمائة عبدا فتوجه في بداية نحو أوجيجي وأثناء ذلك التقى الاثنين، حيث عَرَف روماليزا أثناء لقائهما بأن أحد زوجات حمد المرجبي ـ ألا وهي بنت سليم بن عبد الله البروانية ـ هي من أقاربه [3]، فاستضاف روماليزا تيبوتيب لمدة قاربت شهرين محاولا توطيد العلاقة بينهما وإنشاء شراكة تجارية، وهناك لاحظ حمد أنه لا يوجد من التجار من له ثقة بروماليزا، وكان هناك شريك له يدعى علي بن عيسى وهو الذي كان يمول بضائع حمد المرجبي، والذي رفض أن يعطي لروماليزا بضائع لأن ليس له رأس مال تجاري، فقام حمد بإرشاد روماليزا بالتوجه إلى وكيله تاريا توبان ليساعده في تجارته[4].

---

[1] . زبادية عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 32 .

[2] . مصيلحى محي الدين محمد ، مرجع سابق ، ص 215 .

[3] . زبادية عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 39 .

[4] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 124 .

وعند مغادرة حمد المرجبي أوجيجي في رحلته نحو تابورة أودع عند روماليزا نصف ما يملكه من العاج وهو مائة فرسيلا لكون طريق غير آمنة، حيث أن قافلة سلوم بن عبد الله ـ و هو أحد رجال تيبوتيب ـ كانت قد هُوجمت في منطقة رواندا عند آخر حدود أوجيجي، ورافق ذلك إحراق خمس عشرة قرية أثناء ذلك [1].

كان يسيطر على الطريق المؤدي إلى تابورة خلال تلك الفترة سلطان أفينزا المدعو بـ (كاسانورا) والذي لم يكن يترك أحدا يمر من العرب إلا بعد أن يدفع ضمانة عظيمة من المال، وكان قويا متسلطا يملك عداد عظيما من الناس تحت حكمه، حاول حمد المرجبي بداية أن يكسبه عبر تسليم ضمانة إذ لم يكن راغبا في بدأ الصراع، لكن السلطان لم يقبلها منه وسرق منه مائة وخمسين من العبيد، وقتل الآخرين دون أي سبب معقول، وبقي أياما عديدة يماطله ويعده بالسماح له بالمرور دون أن تجد مواعيده الباطلة شيئا، فلم يكن يرغب بالصلح وكان مغتاظا من العدد العظيم الذي بصحبة حمد من الخدم [2].

حينها عزم حمد على الهجوم إلا أن رجاله طلبوا منه التحلي بالصبر نظرا لكمية العاج الكبيرة التي كانت بحوزته، ولم يكن لمحمد بن خلفان الصبر الذي يسمح له بالانتظار، فقد كان هو الآخر يريد مقاتلة سلطان أفينزا، وطلب مساعدة حمد إلى غاية عودته من رحلته إلى تابورة ، فلم يتوانى حمد عن مساعدته فوضع تحت قيادته عشرين رجلا من الوانجوانا تم تجنيدهم وأكثر من مائة وأربعين بندقية، بالإضافة إلى العبيد مرفقين بالأسلحة والرصاص[3].

بعد حملة روماليزا عادت الصراع مرة أخرى حيث التحق به حمد المرجبي بجيشه مهاجمين زعيم أفينزا لأيام عديدة إلى غاية أن تمكنوا من جعله يتقهقر إلى الوراء، واحتل العرب أراض واسعة، بينما بقي هو متحصنا في مدينته ، لم يرض محمد بن خلفان بهذا النصر بل استمر متقدما للأمام وصاح بقومه صيحة عظيمة قائلا ' بانده شروه ' بمعنى ماليزا أي أتمموا ما بقي، فهجموا إلى غاية بزوغ الفجر واحتل العرب جميع أملاكه نازعين كاسانورا من الملك وأقام حمد

---

[1] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 126 .

[2] . المصدر السابق، ص 127 .

[3] . نفسه .

سلطانا غيره مكانه، ومن هذه المعركة اكتسب محمد بن خلفان لقبه ماليزا لتضع الحرب أوزارها ليتجه كل من حمد و محمد بن خلفان فيما بعد إلى أوجيجي ومنه عاد حمد إلى الكونغو [1].

والجدير بالذكر أنه خلال زيارة حمد المرجبي لسيد برغش وتلقيه عرض منصب تابورة كان روماليزا آنذاك تابعا لتيبوتيب، فعمل على اقتراح خدماته على برغش وأعطاه هذا الأخير مهمة فتح كل شمال تنجانيقا، مزودا إياه بالأدوات الضرورية من بنادق وذخائر وكذلك النقود التي بواسطتها استطاع تجيد المحاربين، وبمجرد العودة إلى أوجيجي شرع في تنفيذ العمل، وبحلول سبتمبر 1884م أصبح روماليزا سيد كل المناطق المحيطة بتنجانيقا، بل وصل نفوذه إلى رواندا، كما أنه صار من أهم رؤساء العرب في المنطقة [2].

ولم تتوقف العلاقة عند هذا الحد، فقد كان لهما النفوذ في فتح أرض المانييما من أقصاها إلى أدناها، و أصبح لهما شأن عظيم في مقاومة البلجيك في الحرب التي قاما بها ضد الحكومة البلجيكية في أرض الكونغو جانبا إلى جنب[3].

[1] . المغيري ، مصدر سابق ، ص . ص 323 . 324 .

[2] . زبادية عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 40 .

[3] . المغيري ، مصدر سابق ، ص 325 .

2 . علاقة حمد المرجبي بالأوروبيين (المستكشفين و المنصرين):

بعد تصفية سلاطين عمان للوجود البرتغالي من سواحل شرقي إفريقيا خلال القرن الثامن عشر، وغروب شمس الإمبراطورية البرتغالية ومن ثم فرض سيطرتهم على هذه الأقاليم، لم يلبثوا أن بدءوا بتسخير نفوذهم لمساعدة الإرساليات التبشيرية وحركة الاستكشافات الصليبية في إفريقيا، والتي قادت الدول الأوروبية الاستعمارية فيما بعد إلى استعمار القارة ونهب خيراتها واستعباد شعوبها، حيث صارت زنجبار مركزا رئيسيا يقصده المبشرين والمستكشفين، وكانت نقطة انطلاقهم إلى دواخل القارة الإفريقية وبالأخص أرض الكونغو، إذ بواسطة توصيات سلاطين زنجبار لتجارهم العمانيين والرحالة الموجودون في داخل القارة، استطاع الأوروبيون أن يتوغلوا في مجاهل غابات الكونغو الاستوائية، هذه المنطقة التي ظلت عصية عليهم لعدة قرون ومن أشهر الرحالة العمانيين الذين قدموا تلك الخدمات حمد بن محمد المرجبي [1].

فقد كان لتيبوتيب في القرن التاسع عشر فضل السبق في الكشف عن عمق القارة الإفريقية، والوصول إلى حوض نهر الكونغو وجلب ثرواته، مما لفت أنظار الأجانب والمستكشفين خاصة، فقاموا باستغلال جهوده ومعلوماته وحمايته في وصولهم إلى مبتغاهم بكثير من الأحيان وعندما بدأ المستكشفون الأوروبيون يفكرون في الولوج إلى وسط القارة بمساعدة العرب، حيث ارتبطت جهودهم برجل عربي كان من أوائل من دخل إلى الكونغو وقطع أرض الأونيامونزي بشكل منظم في أعداد غفيرة من التجار والصيادين العرب في شكل حملات تجارية أكثر منها عسكرية مخطط لها بتنظيم وقوة ممن سبقوه[2].

إن فضل الريادة يعود لتيبوتيب في الدخول العربي المنظم لعدة مناطق أبرزها وأهمها حوض الكونغو، كما كان له فضل إرشاد وحماية معظم المستكشفين الأوروبيين لتلك البلاد

---

[1] . أحمد الظرافي، **نهاية النفوذ العماني في ساحل إفريقيا الشرقي**، مجلة البيان، مركز البيان للبحوث والدراسات ، الرياض ، السعودية ، نشر بتاريخ 2019/04/30 ، أطلع عليه 2020/05/08 ، بتوقيت 11:42
http://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=6635

[2] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص . ص 224 . 225 .

أمثال بيرتون وديفيد ليفينجستون وستانلي وغيرهم، وهكذا بدأت العلاقة بين حمد المرجبي والمستكشفين الأوروبيين بسلسلة تحققت من خلالها انجازات علمية كبيرة ثم ما لبث أن عكرت عندما دخلت فيها الميول الاستعمارية [1].

أما بالنسبة للمنصرين فقد تعاون تيبوتيب مع المنصر سوان (A.J.Swann) حيث كتب إليه الأخير ذاكرا أن أحد العرب أو السواحيلية من أتباع تيبوتيب يدعى كابوندا قد فرض سلطته على الإقليم الواقع جنوب بحيرة تنجانيقا، وهجم على جميع محطات الآباء التنصيرية حول تنجانيقا، لدرجة أن العدد الأكبر من هذه المحطات لم تلبث أن أخليت وأن المراكز التنصيرية في المنطقة غير قادرة على الاتصال بالعالم الخارجي [2].

بالإضافة إلى المُنَصِّر إدوارد هور(Edward ,Hore)[3] أحد منصري جمعية لندن التنصيرية الذي ألمح أن لديه خطة لتصحيح الأوضاع حول بحيرة تنجانيقا، حيث كانت تلك الجمعية تحاول أن تتسلل إلى دواخل القارة، واستطاعت أن تصل إلى أوجيجي على بحيرة تنجانيقا، ومن هناك الإقامة على الجوانب الشرقية والغربية للبحيرة، فعملت البعثة ما في وسعها لكي تكون على علاقة جيدة مع العرب في تنجانيقا إلا أنهم لم يكونوا موافقين على إقامة الأوروبيين في وسط إفريقيا، واقترحوا القبض على كل وكلاء بعثة لندن التنصيرية وقتلهم والاستيلاء على ممتلكاتهم، وكان من الممكن القيام بهذا المشروع لولا تدخل تيبوتيب عندما سمع بالمشروع منح المنصرين الحماية وعند الضرورة إعلان الحرب على العرب في صالح المنصرين[4] .

لقد أبان إثر ذلك مفوض الملكة البريطانية السير جونستون (Sir, H Johnston) عن تقديره للدور المميز الذي قام به حمد المرجبي في مساعدة الإرساليات الإنجليزية والجمعيات التنصيرية[5]، إذ يقول جونستون في هذا الصدد :

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 225 .

[2] . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 77 .

[3] . **إدوارد هور**، راهب ومبشر إنجليزي ، عاش أحد عشر سنة ضمن أفراد البعثة التبشيرية الإنجليزية في إقليم تنجانيقا ضمن المناطق الواقعة تحت نفوذ محمد بن خلفان، انظر: عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص 35 .

[4] . المرجع نفسه .

[5] . علي عبد الظاهر علي، **ما أخفاه التاريخ: قصص منسية لبطولات أسطورية**، دار عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، ط1، 2017م، ص 88 .

(... ينبغي أن يشكر وكلاء جمعية لندن التنصيرية تيبوتيب، وذلك لحفه لأرواحهم وممتلكاتهم فبعد المنازعات التي نشبت مع الألمان على الساحل واعتزم العرب الذين لم يتقبلوا الوجود الأوربي في إفريقيا أن يعتقلوا ويقتلوا كل وكلاء تلك الجمعية وأن يوزعوا مراكبهم وبواخرهم وممتلكاتهم بين الزعماء العرب ، وكان يمكن أن ينفذ هذا المخطط لولا تدخل تيبوتيب في الوقت المناسب عندما سمع بذلك من القائم بأعماله في تنجانيقا محمد بن خلفان روماليزا حيث طلب من نائبه تقديم الحماية والعون للمنصرين وأن يقاتل العرب نيابة عنه إذا كان ذلك ضروريا، فأوقفت هذه الخطوة المعارك التي كانت ستتم، إذ ساعد محمد بن خلفان المنصِّرين في نقل ممتلكاتهم وأرواحهم من أوجيجي إلى جزيرة كافالا ـ على الساحل الغربي من بحيرة تنجانيقا ـ إلى نيامكولا حيث صاروا في موقف آمن، وقد أمدهم بالأرز وبعض الأطعمة الأخرى وكذلك البضائع التجارية على حسابه الخاص، وقد أوضح أعضاء هذه البعثة مشاعر الإعجاب بكرهم هذا الرجل وموقفه الشجاع والحماية التي وفرها لهم عن طريق تيبوتيب)[1].

أما السؤال الذي يجب أن يطرح فهو لماذا قد يساعد حمد المرجبي المنصّرين؟ وللإجابة على ذلك لابد هنا أن نذكر وجود عدة أسباب تقف وراء هذا التعاون، أول هذه الأسباب هو العامل الاقتصادي الذي لعب دورا مهما في هذه المسألة، بحكم أن معظم المتعاملين مع المنصّرين عامة كانوا من التجار العرب المتحكمين في عملية النقل [2] ، والسبب الثاني أنهم كانوا أفرادا معدودين لا يمثلون خطورة على مصالح العرب بل كانوا في حمايتهم، وقد كان المنصّرون لا يمرون إلا في الطرق التي يسيطر عليها العرب، أما السبب الثالث فهو أن خطابات التوصية التي تعطى للمنصّرين من قبل سلطان زنجبار لا يمكن تجاهلها.

أما بالنسبة إلى الرحالة والمستكشفين فقد أرشد تيبوتيب العديد منهم كالانجليزي ليفينجستون، بالإضافة إلى كل من كاميرون وهرمان فون وايزمان وستانلي، الذي بفضل الدور الذي قام به تيبوتيب استطاع ستانلي أن يحقق غايته من الكشف عن نهر الكونغو وسط القارة الإفريقية

[1] . ناجية محمد الصالح الخريجي، مرجع سابق، ص 397 .

[2] . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص.ص 66 ـ 67 .

ومشاركته رحلات عديدة، من بينها رحلته إلى الكونغو تحت رعاية الحكومة البلجيكية وحملة إنقاذ أمين باشا [1] في مديرية خط الاستواء [2].

1.1 ـ حمد المرجبي و المستكشف ديفيد ليفينجستون :

صادف ليفينجستون حمد المرجبي أثناء رحلته الثانية بينما كان ليفينجستون في رحلته الأخيرة [3] ، إذ انطلق كلاهما من جزيرة زنجبار خلال فترة متقاربة وكلاهما عبرا نفس الطريق حيث سار ليفينجستون من رُوُوما (Rowuma) إلى نياسا مكتشفا المنطقة، والجدير بالذكر أن حمد المرجبي وقافلته تمكنت من عبور بحيرة تنجانيقا وتجاوزها قبل وقت قصير من مجيء ليفينجستون، حيث تذكر المصادر أن تلك القبائل لم تكن تعرف الديانة الإسلامية ما دل على حداثة العلاقات التجارية بينهم وبين العرب [4].

في 12 مايو 1867 في بوندا (Ponda) قرية تبعد مسيرة ثلاثة أيام من بحيرة مويرو (Mureu) جنوب بحيرة تنجانيقا أثناء حرب حمد مع زعيم السامو (نساما)، التقى الطرفان وكان ليفينجستون ومعه عشرة من السكان المحليين في حالة يرثى لها، إذ لم تكن لديهم أي مؤونة أو بضاعة فقام حمد باستقبالهم في معسكره حيث قام بمساعدة ليفينجستون عبر تقديم له مجموعة من البضائع تساعده على إتمام رحلته، وتمثلت في ماعز والقطن الأبيض بالإضافة إلى الخرز وحقيبة ذرة كما أنه اعتذر على عدم مقدرته لتقديم مساعدة أكثر إليه، فقام حمد بإيوائه وتزويده بالمعدات اللازمة لإكمال مسيرته، كما أنه أرفقه برسالة توصية لصديقه المدعو بمحمد بن صالح النبهاني في روندا (Runda) يطلب منه إرفاق ليفينجستون بمرشد إلى بحيرة

---

[1] . **أمين باشا** (1840م ـ 1892 م) أو إدوارد شينتزر حاكم مديرية اللادو منذ سنة 1887 ، وهو مستكشف وطبيب وضابط ألماني تلقى تعليمه الجامعي في ألمانيا ثم زار مصر والسودان عابرا البحر الأحمر ومارس مهنة الطب في تركيا واعتنق الإسلام ، قام بعدة مأموريات سياسية في البلاد المجاورة لمديرية خط الاستواء فقام بمأمورية على بلاد البونيورو وأوغندا ، أنظر : جوزفين كام ، مرجع سابق ، ص 346 .

[2] . رأفت غنيمي، **دراسات إفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ /2011م ، ص 66 .

[3] . Heinrich Brode , Op Cit , PP 64 – 65 .

[4] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص.ص 54 . 55 .

مويرو، كما ائتمن ليفينجستون على مجموعة من صناديقه فيها بعض من متعلقاته لتيبوتيب طلبا منه أن يرسلها إلى أوجيجي ولم يرفض حمد ذلك [1].

سجل ليفينجستون في كتابه عن لقاءه مع حمد المرجبي واصفا إياه بود إذ عثر عليه حمد وهو في أمس الحاجة للإمدادات، فنعته بكونه رجل ذو ملامح قيادية وزعامة يتحلى بروح المسؤولية كما أنه كان كريما معه أغدقه بخيراته، وقد ذكر ليفينجستون مدى العلاقة الطيبة التي تجمعه بحمد المرجبي إلى القنصل البريطاني جون كيرك الذي أشاد هو الآخر بمساعداته فقد كان لحمد الفضل في وصول تقارير ليفينجستون حول كشوفاته للقارة الإفريقية إلى القنصلية البريطانية بزنجبار[2].

1.2 . حمد المرجبي و لوفيت كاميرون(Verny Lovett Cameron):

كان كاميرون ضابطا في البحرية الإنجليزية اختيرت في عام 1872 من قبل مجتمع جغرافية لندنية للذهاب لمساعدة ديفيد ليفينجستون، وقد بدأ رحلته رفقة ثلاثة أوروبيين في 24 ، وفي التاسع عشر من أوت صادف تيبوتيب أثناء زيارة الأخير لنيانغوي بينما كان كاميرون يسعى لتتبع مجرى نهر الكونغو [3].

ذهب كاميرون رفقة سعيد بن محمد المزروعي للبحث عن تيبوتيب ومعه ما يقارب مائة بندقية مقابل تتبع نهر الكونغو ولضمانة نفسه من سكان نيانغوي خشية الهجوم عليه فترك حمد المرجبي أعماله لتلك الفترة و قرر أن يتجه مع كاميرون إلى مقره في كاسونجو بالقرب من اللوالابا بحيث سيسهل عليه بدأ مهمته ومنه يزوده حمد بمجموعة من رجاله كمرشدين له سرعان ما وافقه كاميرون رغبة في نيل الحماية هذا الذي لم ينل رضا أتباع تيبوتيب حيث كانوا رافضين فكرة مساعدة رجل أوروبي ومستنكرين فكرة ترك حمد لكل أعماله عالقة فطلبوا منه البقاء إلا أنه رفض عرضهم [4].

وفي السادس والعشرون من أوت أنطلق الاثنين معا عابرون روفوبو ومارين بقرى عديدة لمدة أسبوعين إلى غاية وصوله لكاسونجو عاصمة دولته في الثالث من سبتمبر ، ويذكر

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, PP 66 - 69.

[2] . فيصل محمد موسى، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، 1997م، ص 109.

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 97.

[4] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 105 . 106 .

كاميرون مدى حسن الضيافة التي حضي بها أيضا الترحاب الذي حصل عليه تيبوتيب عند عودته حيث ارتدى العرب أفضل ثيابهم على شرف الزعيم ومن هناك بقي كاميرون فيها لمدة عشرة أيام قام خلالها تيبوتيب بتأمين المأكل والملبس لكاميرون ريثما يستعد لرحلته كما أنه وعند مغادرته زوده حمد برجاله من الواروا ومعهم ثلاثون رجلا آخرون ساعدوه على بلوغ الساحل القريب من إلاندا الواقعة تحت السيادة البرتغالية بالقرب من لواندا وبعد مغادرة كاميرون انتظره حمد لمدة ثلاثة أشهر بغرض سماع أي أخبار منه لكن وبعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر وعدم وصول أي خبر تأكد بأنه ليس لدى كاميرون ما يستحق الإعلام به[1].

1.3 . حمد بن محمد المرجبي والمستكشف هنري مورتون ستانلي :

هنري مورتون ستانلي هو مستكشف إنجليزي الأصل، وقد قام ستانلي بعدة رحلات في دواخل القارة الإفريقية إحداها كانت خلال سنة 1871 بغرض إيجاد الدكتور ديفيد ليفينجستون، أما الثانية والتي تعتبر ذات أهمية بالغة كانت خلال الفترة الممتدة ما بين 1874م إلى غاية 1877م، و قد أضافت جديدا على كم من الصعيد الجغرافي و الاستعماري سلطت الضوء بشكل واسع و أبرز على دواخل القارة الإفريقية لاسيما الأنهار والبحيرات، فضلا عن وصوله إلى نهر اللوالابا و هو أحد فرع نهر الكونغو Lualaba River و تمكن من الإبحار فيه حتى مصبه لمعرفة ما إذا كان متصلا بالنيل أو بالكونغو ، وخلال هذه الرحلة دخل ستانلي مدينة نيانغوي في شرق الكونغو وهناك التقى بحمد المرجبي [2] .

في نهاية شهر أغسطس من سنة 1876 بدأ ستانلي رحلة هذه منطلقا من شرق القارة إفريقيا بالتحديد من زنجبار محاولا خلال سفرته هذه تتبع مجرى نهر اللوالابا ، فسلك طريق الأوسط المركزي من باجامويو إلى منطقة أوجيجي ومنه عابرا غرب بحيرة تنجانيقا إلى غاية وصوله منطقة كاسونجو في شهر أكتوبر حيث التقى بتيبوتيب الذي رحب به عرض عليه منزل خصص لراحته[3].

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 99.

[2] . علي صدام صحن الساعدي ، **السير هنري مورتون ستانلي و دوره في إعلان دولة نغو الحرة 1876 . 1885** ، مجلة الآداب المستنصرية ، كلية التربية . الجامعة المستنصرية ، الع 165 ، 2013 ، ص. ص 8 ـ 13 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 108.

قد كان هدف ستانلي كغيره من مستكشفين الذين سبقوه يسعى لإكمال مهمة اكتشاف حوض نهر الكونغو والمناطق المحيطة به فطلب ستانلي من حمد المرجبي مرافقته في رحلته لكشف الكونغو مقابل سبعة ألاف دولار الأمر الذي رفضه حمد كليا فلم يكن بحاجة إلى المال خصوصا بوفرة العاج الذي لديه ، وبالفعل قرر حمد في النهاية أن يسافر معه رغم اعتراضات كل من في كاسونجو ونيانجوي حيث لم يرضى العرب بمساعدة حمد لأوروبي لن يعود عليه بالفائدة [1].

وقد تمثلت رغبة ستانلي في قسم القوة التي معه إلى قسمين قسم يسير بجوار شاطئ النهر والآخر يسير في النهر مستخدما القوارب واستعان حمد المرجبي في رحلته برجل يدعى عبد بن جمعة الذي كان على علم بالطريق البري والبحري حيث ذكر كون النهر يصب نحو الشمال ومنه إلى المحيط ولم يذكر أي محيط كان إلا قد ذكر الرجل أن مصدر معلوماته تعود إلى حملة الكشفية التي قادها زعيم نيانغوي متاغاموتو حيث قطع بلاد واكوما ' Wakuma 'إلى غرب اللومامي هناك حيث عثروا على عرق من الزنوج لم يسبق لهم معرفته وعثروا على الأقزام [2]، الذين كانوا يملكون كنوزا لا حدود لها من بينها العاج حيث لم يعرفوا قيمته وتساءلوا لماذا قد يرغب الأجانب في شيء لا يؤكل ؟ كما أن البيغمي لم تكن لديهم رغبة في التعاون مع المسافرين حيث أمطروا قافلة متاغاموتو بالأسهم المسمومة إلى جانب خطورة الغابات الاستوائية ولم يبالي حمد أو ستانلي بخطورة الرحلة [3] .

فعقد الاثنين اتفاق نص على عدة شروط كأن تكون أن تكون نقطة انطلاق الرحلة تكون من مدينة نيانغوي وسيتم تحديد اليوم والاتجاه من قبل ستانلي ولا تستمر أكثر من ثلاثة أشهر بالإضافة إلى بعد مسيرة ستين ميل لكل أربع ساعات سيضطر ستانلي إلى العودة لنيانجوي مع تيبوتيب إلا إذا قام بمقابلة تجار في الساحل الغربي أثناء الطريق حينها سوف ينضم إليهم ويكمل مسيرته إلى المحيط الأطلسي وفي تلك الحالة سوف يسلم ستانلي ثلث رجاله إلى تيبوتيب لمرافقته إلى مدينة نيانغوي [4] .

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 109 .

[2] . فيصل محمد موسى ، مرجع سابق ، ص 36 .

[3] . نفسه .

[4] . Heinrich Brode, Op Cit, Pp 110 – 113.

أيضا باستثناء الخمسة ألاف دولار على ستانلي أن يدفع ثمن الاحتفاظ بـ 140 من رجال تيبوتيب لأتعابهم ذهابا وعودة كذلك إذ ما قرر ستانلي التراجع عن رحلته بسبب ـ صعوبة جغرافية المنطقة الطبيعية وتصرفات السكان الأصليين ـ ولم يعد قادرا على إكمال الرحلة سوف يضطر إلى دفع ثمن أتعاب الحمالين والمرجبي[1].

ويذكر حمد المرجبي في سيرته أن ستانلي قد وعده بدفع ما يقارب سبعة آلاف دولار وطلب منه الذهاب معه إلى مونزا (Munza) ولم يذكر ستانلي أي شيء عن اكتشاف النهر ، كما لم يكن حمد يسعى للحصول على الذهب أو مقابل فما يملكه من العاج يغنيه عن ذلك وإن ذهب معه سيكون بدافع الالتزام فقط ووافق حمد على الذهاب معه في رحلته إلا أنه لم يوافق على شروط ستانلي المنصوص عليها ، أما بخصوص المبلغ المتفق عليه فلا نجد من داع يدفع حمد للكذب حول المبلغ أو المبالغة مرجعين ذلك لثروة حمد المرجبي التي كان يتمتع بها [2] .

وبالتالي ففي 23 من أكتوبر 1874 م، و طبقا لما ذكره ستانلي تم توقيع العقد ونصت التفاصيل على أخذ 140 رجلا مسلحا و70 رجلا احتياطيا، وفي مارس ساروا من كاسونجو إلى نيانغوي حيث جمع تيبوتيب كل رجاله وجعلهم جاهزين للانطلاق وفي نهاية الاستعدادات تناولت الرحلة ما يقارب 700 شخص بما في ذلك من نساء و أطفال ومنهم 400 من أتباع ستانلي[3] .

ويذكر حمد أن ستانلي فقد أعصابه في مواجهة صعوبات المسيرة وتم الوصول إلى النهر في 19 من نوفمبر الذي يبعد مسافة واحد وأربعين ميل عن شمال مدينة نيانغوي وخلال هذه الفترة لم يعلم أي فرع من النهر وصل إليه ستانلي فأطلق عليه اسم ليفينجستون بداية وتم نصب الخيام وقام حمد رفقة ستانلي بجمع ما تيسر له من القوارب لعبور النهر إلى الضفة اليسرى عبر سفينته ' Lady Alice ' كما كان مصرا على توطيد العلاقات مع شعوب هذه المناطق عبر إقامة اتفاقيات سلمية ظاهرية مع زعمائها واستمر على طول مجرى النهر في محاولته لإقامة علاقات محلية مع القبائل متجنبا الأعمال العدائية إلا أنه كان يلجأ للسلاح في ظرف

---

[1] . . Heinrich Brode, Op Cit, P 115 .

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص. ص 114 ـ 115 .

[3] . نفسه، ص 116 .

عدم الوصول إلى تفاهم كما فعل مسبقا مع شعب يدعى واغينيا الذي رفض التعامل معه أو تسليم القوارب لهم [1].

وعلى الرغم من الخدمات الكبيرة التي قدمها حمد لستانلي إلا أنه لم يحصل على تلك المكافآت المزعومة التي وعده بها بل حصل فقط على سلسلة ذهبية بالإضافة إلى مسدس والذخيرة كذلك شيك بقيمة 2600 دولار ولم يتم إعلامه بعدد المبلغ بما أن حمد لم يكن يستطيع قراءة اللغة الانجليزية والاتفاقية كتبت بها فقام بإرسال الشيك إلى صديقه ووكيله توريا توبان ليتلقى ما يقارب ألفي دولار فقط من أصل ثلاثة ألاف دولار بدل السبعة ألاف المتوقعة [2].

وفي 27 من ديسمبر 1876م أكمل ستانلي رفقة رحاله مسيرته وتمكن من الوصول إلى الساحل الغربي في السنة الموالية ، ولم تكن رحلته هذه الأخيرة فقد تلتها رحلات استكشافية أخرى من الشرق باتجاه الكونغو عند عودته الثانية باسم ليوبولد ملك بلجيكا وصاحب دولة الكونغو لحرة ، وأشاد بالمساعدات التي قدمها له كل من السلطان برغش بن سعيد الذي أمده بالقوة العسكرية لحمايته أثناء رحلاته داخل القارة الإفريقية كما أشاد بالمساعدات التي قدمها له حمد المرجبي فقد اعتمد عليه في رحلاته اعتمادا كبيرا [3].

فحتى أثناء تكليف ستانلي بقيادة حملة إنقاذ أمين باشا حاكم مديرية خط الاستواء السودانية استفاد مرة أخرى من مساعدات حمد المرجبي ومن الأدلاء العرب في الكونغو وأواسط افريقيا للوصول إلى هدفه وشعر بالوجود العربي وبالمجتمعات التي تأثرت بالحضارة العربية الإسلامية في كل الطرق التي سلكها [4].

والجدير بالذكر أنه كان قد أوكل لستانلي في عام 1887م رئاسة حملة إنقاذ أمين باشا التي نظمتها بعض الجمعيات الجغرافية الأوربية بمعاونة مادية من الحكومة المصرية للبحث عن أمين باشا حاكم مديرية اللادو ، بعد أن أطلقت الصحافة الأوربية دعايتها عن تعرضه للخطر الشديد بسبب بانتشار الثورة المهدية في مديريته ، ولم يكن الأمر إلا عبارة عن خطة استعمارية محكمة لإخراج مصر من مديرية خط الاستواء حتى تصبح هذه المنطقة لا صاحب لها [5].

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P120.
[2] . Ibid, PP 125 – 126.
[3] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 246 .
[4] . رأفت غنيمي ، مرجع سابق ، ص 66 .
[5] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 247 .

وبالتالي تستطيع الدول الاستعمارية السيطرة عليها ، وقد لقي ستانلي في بعثته هذه مساعدات كثيرة من حمد المرجبي ، حيث وافق على تزويده بما يقارب 600 حمال مقابل 6 جنيهات لكل حمال ،على أن يقابل الحمالين ستانلي عند مصب نهر الكونغو لنقل المؤن والذخائر من هناك إلى المديرية الاستوائية ثم يعود الحمالون ومعهم العاج الذي كان بحوزة أمين باشا والمقدر بـ 75 طنا منه إلى زنجبار[1].

1.4 علاقة حمد المرجبي بالمستكشف هرمان فون وايزمان :

أثناء زيارة قافلة سيف بن حمد المرجبي في 31 أغسطس 1882 لميرامبو وُجد المستكشف الألماني فون وايزمان [2] هو الآخر في مملكة ميرامبو ، حيث علم وايزمان من سيف أن تيبوتيب سيغادر بقافلته تجاه الساحل فعزم على اللحاق به ، و في الخامس من سبتمبر وصل إلى تابورة حيث بقي في بيت الإرسالية الكاثوليكية الموجود بها وبعد يومين قام بزيارة حمد المرجبي مرفقا بخطاب توصية من ابنه سيف في مدينة ايتورو بتابورة وتحدث عن رحلته التي قام بها في افريقيا حيث صادف العديد من أتباع تيبوتيب في مناطق مختلفة وذكر حسن معاملتهم له كما عبر ويزامان عن رغبته في مرافقة حمد المرجبي في رحلته نحو الساحل ويساعده في الحصول على الحمولة اللازمة للانطلاق في سفرته فوافقه تيبوتيب وفي 27 من سبتمبر غادر الاثنين تابورة في قافلة تجارية مسلحة [3].

وبالرغم من ذلك تعرضت للعديد من التهديدات والابتزازات من طرف السكان الأصليين في أجوجو، حيث كانت المنطقة تعاني من جفاف ما دفع بآبار الماء القليلة أن تكون مراقبة واستعمالها لا يكون إلا بعد دفع مبلغ معين لا يستهان به، ولم يطالب السكان وغوغو من حمد الدفع بل فقط من وايزمان، إلا أن حمد كان يدفع عنه من جيبه الخاص دون إخباره إلى غاية إيصاله لمباباوا (Mpapwa) في نهاية أكتوبر، حيث افترق الاثنين واتجه وايزمان إلى الساحل عبر وقد ذكر وايزمان في كتابه أنه أول ألماني يعبر قارة إفريقيا تحت الراية الألمانية من غربها

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 197.

[2] . هرمان وايزمان (Hermann Wissmann) سبتمبر 1853 ـ 1905 مستكشف ألماني وإداري في إفريقيا ، جال الكونغو وتنزانيا والتحق فيما بعد بخدمة الملك البلجيكي ليوبولد الثاني ، أنظر : سيدني هايند ، مصدر سابق ، ص 54 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, PP 152 – 156.

إلى شرقها، وهو الانجاز الذي سبقه إليه كل من كاميرون و ستانلي بمساعدة وإرشاد من قبل تيبوتيب، والذي لم يكن له أي حصة من النجاح الذي حققه هؤلاء المستكشفين الثلاثة [1].

ومن الرحالة والمنصِّرين الذين ساعدهم حمد المرجبي أيضا بعثة إنجليزية من بلايموث روك(Plymouth Rock) قائدها سيد جريفيث (Groffith) قام بالترحيب بكل حرارة بتيبوتيب والذي صار معروفا حينها حيث لقب حينها بالأمير نظرا لشهرته الواسعة كذلك رحالة سويدي يدعي جليريب والذي ساعده تيبوتيب على اجتياز بحيرة تنجانيقا إلى غاية وصوله لزنجبار[2] وغيرهم من أوروبيين كان لحمد المرجبي الفضل الكبير في تحقيق مكاسبهم[3].

وبهذا لا جدال في أن حمد المرجبي قد أسدى خدمات جليلة للأوروبيين وساعدهم على التوغل إلى داخل القارة الإفريقية وإلى الكونغو عبر توفير الحماية اللازمة والتوصيات كي يصلوا إلى أهدافهم المرجوة فلم ينتبه الشك حتى عندما وجد البواخر البلجيكية في نهر الكونغو أو عندما أقامت بلجيكا المحطات على طول النهر [4].

وإن كان يجهل غرضهم الحقيقي إلا أنه يؤخذ عليه تحابيه ووقوفه إلى جانب المستعمرين من الإنجليز والبلجيك والألمان وإرشادهم بالرغم من التحذيرات التي وجهها له العرب وأتباعه فما كان من مساعداته إلا الأثر الأكبر في التوسع الاستعماري الأوروبي بالمنطقة وإنهاء التواجد العربي بها[5].

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 157.

[2] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، **حميد بن محمد المرجبي ودوره الديني والسياسي والاقتصادي في وسط القارة الإفريقية (الكونغو) (1248هـ/ 1833م - 1323هـ / 1905م)** ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1434هـ / 2013م ، ص 138 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 158.

[4] . علي عبد الظاهر علي ، مرجع سابق ، ص 91 .

[5] . ناجية محمد الصالح الخريجي ، مرجع سابق ، ص 399 .

3 ـ نشاط حمد المرجبي في تجارة العبيد.

تعد قضية الرق وتجارة الرقيق في إفريقيا من أشد المواضيع حساسية وأكثرها مدعاة لاختلاف الرأي في التاريخ الإفريقي ، وعلى الرغم من أنه كتب عن تجارة الرق والرقيق الكثير إلا أن معظم ما كتب بحاجة إلى نظرة جديدة عبر استخلاص الحقائق ووضعها في قالب موضوعي ، فهذه القضية لا تزال تثير حساسية خاصة لدى الإفريقيين ويزيد من تعقيد هذه الصورة أن الإفريقيين استرقوا بعضهم البعض وأسهموا بالوساطة في تجارة الرقيق سواء كان ذلك للتاجر العربي أو الأوروبي [1].

هناك كثيرا من المصادر الأجنبية تفرد صفحات عديدة عن تجارة الرقيق العربية وتميل إلى جانب التهويل إذا ما تعرضت لها في محاولة لإظهار العرب على أنهم وحدهم هم المسئولون عن هذه التجارة وأن الأوروبيين هم المخلصون في محاولة لإزاحة العناصر العربية باعتبارها حائلا بينها وبين مصالحها، فلم الإدارة الاستعمارية أية فرصة تمر دون إثارة ذكرى متاجرة العرب في الرقيق ، والتأكيد للإفريقيين بأن العرب هم النخاسون الذين ساقوا أجدادهم بالسياط وأن الإسلام يبارك للرق ويدعو إليه[2].

ومما لا شك فيه أن الشعوب الأوروبية هي الأخرى مارست تجارة الرقيق في إفريقيا زهاء أربعة قرون عرَّضت فيها القارة إلى عملية استنزاف بشرية مستعينين بأبشع الطرق، بالإضافة إلى ما صاحب تلك التجارة من مآسي، فتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي التي قام بها البرتغاليون خلال القرنين الخامس والسادس عشر وصلت إلى إجمالي ما يقارب ثمانية عشر مليون عبد[3]، هذا ودون ذكر طرق قنصهم وجمعهم والظروف التي كانوا ينتقلون بها، وهو ما دفع بعضهم للانتحار في أعماق البحار في حين أنه لم نشهد هذه الظاهرة عند المسلمين فنرى

[1] . مصيلحى محي الدين محمد ، مرجع سابق ، ص 183 .

[2] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 193 .

[3] . Nunn, N. **Shackled to the Past: The Causes and Consequences of Africa's Slave Trade**. In Natural Experiments of History, eds. Jared Diamond, James A. Robinson: 142-184. Cambridge , Harvard University Press. , P4 .

أن التحليل الدقيق للرق في الإسلام يجمع بقول مفاده (أن الإسلام لم يشرع الرق كما شرعته الأمم الأخرى فجعلت منه نظاما طبيعيا أو إلهيا وإنما شرع العتق ورغب فيه).[1]

فمن خلال هذا الاستعراض نرى بيان المفارقة الهائلة بين معاملة الرقيق في الإسلام ومعاملة الرق لدى الغرب، فالعبد في نظر التجار المسلمين كان إنسانا ذو حقوق وشرعا يعتبر حالة استثنائية مؤقتة تمثلت في معاملاتهم للرقيق[2]، فقد اقتصر دور المسلمين على شر العبيد وبيعهم ومعاملتهم بما يقتضيه الشَّرع [3].

وبالتي فإن الحقائق التاريخية تؤكد لنا أن كلا من العرب والأوروبيين عملوا في تجارة الرقيق، وحمد المرجبي كان كغيره من التجار العرب مشهورا بتجارته للعبيد التي تركت بصمة في مسيرته الشخصية، لذا فإن التساؤل الذي نطرحه هنا ليس ما إن كان حمد المرجبي تاجرا للرقيق وإنما في كيفية معاملة عبيده وما نجم عن تلك المسئولية من نتائج [4].

وبهذا التساؤل لا يُقصد التبرير فيما يتعلق بظاهرة الاسترقاق وتجارة الرقيق العربية، وإنما يُقصد بالدرجة الأولى إرجاع الأمور إلى ظواهرها وأصولها فضلا عن ملابساتها التاريخية مع التسليم في الوقت نفسه بأن الاسترقاق يبقى استرقاقا سواء صغر أو كبر على انه سيكون من المفيد التركيز على الأساليب والآثار التي أحدثتها تجارة الرقيق الأوروبية مقارنة بتجارة حمد المرجبي للرقيق من خلال مختلف الكتابات الغربية والعربية وإن كانت الأخيرة قد أهملت هذا الجانب نوعا ما[5].

فنجد معظم المصادر والكتابات الأوروبية دأبت الحديث عن هذه التجارة وعن الارتباط الوثيق بينها وبين طبيعة اقتصاديات المناطق، بالإضافة إلى ربطها بحالة الدمار والتخريب الناجم عن عملية صيد الرقيق أثناء رحلات من دواخل القارة الإفريقية إلى ساحلها الشرقي

---

[1] . عبد السلام الترمانيني ، **الرق ماضيه وحاضره** ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 23 ، نوفمبر 1979 ، ص 9 .

[2] . نفسه ، ص 10 .

[3] . نفسه .

[4] . زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 193 .

[5] . المرجع نفسه ، ص 195 .

وبالتحديد زنجبار، وعن وفاة الأعداد الكبيرة من الرقيق خلال تلك الرحلات نتيجة الإنهاك وقلة الغذاء والاعتداء بالسياط .[1]

وتربط هذه الكتابات هذه الفظائع بأعمال العرب خصيصا حمد المرجبي في جلبه الرقيق بل بالغت الكتابات الأوروبية في هذا الصدد [2].

إذ نرى من خلال بعض التقارير الأوروبية حول تجارة العبيد في أرض مانييما هناك تقريرا أرسله ديفيد ليفينجستون إلى القنصل البريطاني جون كيرك في 25 مارس 1871م يذكر فيه أوضاع العبيد في تلك الفترة واصفا إياها بأن الوضع قد تعدى الممارسات التجارية بل صار بمثابة عملية صيد متعطشة للدم وقد خصص هذا الوصف بالتحديد تيبوتيب حيث اعتبر الأوروبيون حمد المرجبي مسئولا عن العنف والدمار الملحق بشرق ووسط إفريقيا واعتبروا أن كل شخص يصطاد العبيد مهما كان أصله سواء زنجي أو عربي مسلم بطريقة ما ينتمي أو تحت إمرة حمد المرجبي[3].

وشبه ديفيد حمد المرجبي أيضا أنه هو وأتباعه عبارة عن عصابة تتاجر بالعبيد وتستغلهم لمسافات طويلة لحمل العاج والنحاس والطعام [4] بالإضافة إلى ذلك تم إطلاق شتى التسميات على حمد محاولين تشويه سمعته كـ صائد العبيد وقانص الرقيق واتهامه بعدة أعمال في هذا المجال من طرف سيدني لانجفورد [5].

كما يذكر أيضا الرحالة الأوروبي ريتنر بتر (Ritner Peter) كون تجارة الرقيق ترجع إلى الرجل مهاجم زنجبار تيبوتيب وأن تجارة الرقيق كانت شائعة آنذاك بسببه فحمله مسؤولية المتاجرة بالرق وكونه رفقة أتباعه من التجار المسلمين يقودون الرجال الأحرار إلى أسواق العبيد في زنجبار [6].

---

[1] . مصيلحى محي الدين محمد ، مرجع سابق ، ص 183 .

[2] . المرجع نفسه .

[3] . Melvin E, Page, **The Manyema Hordes Of Tippu Tip ,**Op Cit, P 69.

[4]. Horace Waller And F .R.G.S, **The Last Journals Of David Livingstone in Central Africa From 1865 To his Death**, *The Library of University Of California Riverside*, London, 1874, P 355.

[5] . سيدني لانجفورد هايند ، مصدر سابق ، ص 47 .

[6] . صالح محروس محمد، مرجع سابق، ص 5.

ووافقه في ذلك أيرين روشينغ (Erin Rushing) الذي وصفه بأنه من أقوى التجار العرب في مجال العبيد والعاج حيث قام هو وأعوانه العرب السواحيليين بنشر الرعب في قلوب الزعماء والقرويين الأفارقة مما أجبرهم على تسليم العاج والعبيد مقابل حياتهم بالإضافة إلى تدميره للقرى التي قاومته بحرق مساكنها واستغلال عبيدها في حمل العاج والإمدادات إلى الساحل والداخل [1].

لم يختلف رأي البروفسور جودفراي موريوكي (Godfrey Muriuki) مؤرخ في جامعة نيروبي بكينيا عن بقية المؤرخين الأوروبيين إذ يذكر هو الآخر أن بعد أن أسس حمد المرجبي مملكته في الكونغو أصبحت واحدة من أكثر الدول رواجا في تجارة الرقيق السود العاملين في شرق إفريقيا بعد أن يتم بيعهم في زنجبار حيث يرى أن حمد المرجبي قام بتدمير المنطقة نهائيا هو وأتباعه من إحراق للمنازل وقتل للناس وغيرها من جرائم [2].

وهذا ما قادنا إلى التصدي لما ورد في هذه المصادر الأجنبية التي تجاهلت العديد من الحقائق التاريخية وركزت على محاولاتها المستميتة لافتراء على شخصية حمد المرجبي العربية والإسلامية متناسية الحقيقة من خلف محاربتها لتجارة الرق [3].

فقد كانت سياسة مكافحة الرق وتجارته إحدى الركائز التي اعتمدت عليها الإدارة البريطانية في القارة الإفريقية بشكل عام وزنجبار خاصة [4] للتدخل في الشؤون الداخلية للقارة الإفريقية

---

[1] . Erin Rushing, **David Livingstone and The Arab slave Trade Part 3 , The slaver and the Abolitionist ,** Smithsomian Libaries, Published in October 23,2013 , Looked at in May 22,2020 . *https://blog.library.si.edu/blog/2013/10/23/david-livingstone-and-the-other-slave-trade-part-iii-the-slaver-and-the-abolitionist/#.XsfJFWhKjIV*

[3] . صالح محروس محمد ، مرجع سابق ، ص6 .

[4] . شهدت الفترة الممتدة من 1832 إلى عام 1890م عقد اتفاقيات مهمة من أجل إلغاء تجارة الرقيق في وسط إفريقيا وشرقها بوجه عام وفي أملاك زنجبار بوجه خاص ، حيث عقدت أول معاهدة لإلغاء تجارة الرقيق في عام 1822م وتلتها بعد ذلك معاهدات أخرى بموجبهن تم إلغاء تجارة الرق في زنجبار والموانئ التابعة لها وازدادت محاولات بريطانيا لقمع هذه التجارة =عندما تولى السيد برغش الحكم فحاولت بريطانيا الضغط عليه من أجل عقد معاهدة لإلغاء تجارة الرق في جميع مناطق شرق إفريقيا ووسطها بشكل نهائي وبالتالي المناطق الخاضعة لسلطة السلطنة وأتباعها إلا أن السيد برغش رفض ذلك في بداية الأمر لكن ومع استمرار الضغط البريطاني وافق برغش على عقد معاهدة لإلغاء تجارة الرق في الخامس من جوان 1873م

وفرض نفوذها وسيطرتها وحماية مصالحها السياسية والاقتصادية ولم يكن هدف بريطانيا من محاربة الرق وتجارته بدوافع إنسانية بحتة فما كان من وراء هذه الحركة إلا أجندة خفية تسعى لتحقيق أهدافها الخاصة[1].

وبهذا نجد أن كل تلك الانتقادات الموجهة نحو حمد المرجبي ليس بها شيء من الغرابة فكما أشرنا من قبل أنه من سيمة الأوروبيين الانتقاص والنيل من سمعة ومكانة العرب المسلمين عامة وحمد المرجبي كغيره تعرض لعدة اتهامات فألصقوا به صفة تاجر العبيد بشكل مبالغ مرجعين إليه تجارة الرق في وسط إفريقيا وشرقها بأكملها إلا أن الثابت لدينا يشير إلى كون تجارته قد ارتكزت أساسا على العاج وبعض المواد الأخرى [2].

وبالنظر إلى كون تجارة الرق لم تكن بالأمر المثير للدهشة في ذلك الزمان إذ مارستها مختلف الدول والأعراق فلا نرى مبررا لعدم إشارة حمد المرجبي لهذه التجارة في مذكراته أو إلى الأرباح التي جناها منها حال ممارسته لها كما فعل عند الإشارة إلى مواده الأخرى كالعاج وما عنه من بضائع أخرى حيث حاول الأوروبيون إلقاء اللوم عليه جراء عدم تطرقه لهذا الموضوع خاصة [3] .

فقد ظلت تجارة الرقيق قائمة بين دواخل إفريقيا وزنجبار بالرغم من اتفاقيات التي كانت بين بريطانيا وبرغش وكان على قباطنة السفن البريطانية أن يقرروا أي قوارب شراعية تحمل العبيد المتجهين إلى زنجبار والتي لا يمكنهم لمسها وبالتالي سماح بمرورها وأيها متجهة إلى الشرق

والتي نصت على منع تجارة الرق منعا باتا على طول الساحل الإفريقي ومعاقبة السفن التي تحمل الرقيق بالإضافة إلى المتاجرة بالعبيد فضلا عن إغلاق جميع أسواق الرقيق عامة ما الحق ضررا بالسفن العربية واقتصادها ، كما أعطى بريطانيا =صلاحيات واسعة على ساحل شرق إفريقيا وأصبحت تتحكم بالمنافذ البحرية الإفريقية فضلا عن استفادة بريطانيا من الأرقاء المحررين وأخذهم إلى المستعمرات البريطانية . أنظر : زاهر بن سعيد النخلي ، **تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار** ، رتبه لويس صابونجي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1979 ، ص.ص 81 ـ 82 . و وليد كامل إبراهيم المعموري ، **معاهدة سنة 1873م لإلغاء تجارة الرقيق في زنجبار** ، مجلة البحث العلمي في الآداب ، الع 10 ، ج8 ، مصر ، 2018 ، ص5 .

[1] . جميلة بنت عبدة بن موسى معشي ، مرجع سابق ، ص 129 .

[2] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 351 .

[3] . المرجع نفسه .

والتي يمكنهم اعتراضها ولتعقيد الأمور أكثر فقد كانت مؤسسة العبودية لا تزال قانونية بحيث يحق للمسافرين إحضار عبيدهم معهم ، هذه التجاوزات التي سمحت بها بريطانيا بالرغم من رفعها لشعار محاربة الرق ومناداتها بحقوق الإنسان يجعلنا نشك في مصالحها من خلف ذلك واتهامات الأوروبيين الباطلة في حق تيبوتيب . [1]

فلم تمانع كل من بريطانيا وبلجيكا في كسر حواجزها ومبادئها المنادية لحقوق الرق إزاء مصالحها الخاصة ، فنرى أنه وخلال العرض البلجيكي الذي قدمه ستانلي إلى تيبوتيب كحاكم عام في الكونغو وقيادة حملة كشفية تحت الراية البلجيكية في سنة 1887م وبغرض نيل موافقة ورضا تيبوتيب تم السماح له بنقل أكثر من مائة رجل من عبيد وحماليه على متن سفينة ' Lady Alice ' رغم التشديد في حملة محاربة الرقيق[2].

فإن كانت بريطانيا وبلجيكا تحارب فعلا العبودية وإن كان تيبوتيب تاجر عبيد متعطش لدماء كما وصفته الكتابات الأوروبية فلما سُمح له بمزاولة نشاطه[3] وعقد اتفاقيات معه .

ومع ذلك تحمل حمد المرجبي وزر تفشى تجارة الرقيق في الكونغو على عاتقه بالرغم من مشاركة الدول الأوروبية له في ذلك بل لا يمكن أن يقارن بنشاط حمد المرجبي هناك مع الجرائم والوحشية التي مارستها الدول الأوربية خصوصا ملك بلجيكا ليوبولد الثاني من مذابح وقتل وإبادة [4] .

فقد شهد كاميرون في تقرير له عام 11876 قدمه للجمعية الجغرافية ، بأن ظاهرة الرق كانت تسبق الوجود العربي في أواسط القارة الإفريقية وأن الرؤساء الافريقيين هم الذين كانوا يقدمون بنى جلدتهم كسلعة للاتجار فيها وأن البرتغاليين هم الذين كانوا وكلاء تصديرهم للخارج ، وأن العرب كتيبوتيب استروهم لخدمة المنازل أو لغرض العمل كحمالين ، على عكس جماع

---

[1] . Stuart Richard . G , **(Ivory and slaves in East Africa),** Canadian Journal of Africa Studies , Vol 10 , no 1, Taylor & Francis Ltd, 1976 , p 99 .

[2] . Heinrich Brode, Op Cit, P 195 .

[3] . نص المرسوم البريطاني الذي صدر في 25 مارس سنة 1807م على تحريم تجارة الرقيق ومنع السفن البريطانية من نقل الرقيق ومعاقبة السفن التي لا تتقيد بالمرسوم بالمصادرة أو الغرامة 100جنيه إسترليني عن كل رأس رقيق ، ومصادرة الرقيق وإلحاقه بممتلكات التاج بتجنيده في الجيش ، أنظر : موسى العزب عايدة ، مرجع سابق ، ص 190 .

[4] . نفسه ، ص 175 .

ما ذكره الرحالة الأوروبيين عن وضع الرقيق وإظهار العرب على أنهم أكبر مساهم في هذه التجارة بغرض أمام بريق الكسب الكبير الذي أبرزه لهم الأوربيون الذين عادوا ونددوا بهم [1] .

وبينما يذكر ليفينجستون محاولا تبرير نظام الرق العربي بكون أن معظم السكان المحليين الذين ينظمون إلى حمد أو العرب بصفة عامة بغرض الخوف من قوته أو ببساطة الفشل في العثور على شيء أفضل للقيام به[2] لكن بالطبع لم يكن الأمر مثلما وصفه ليفينجستون إذ يذكر هانريش انه يجب الاعتراف بأن تيبوتيب حقيقة قد كان بالفعل تاجر عبيد بناءا على تصريحات الأخير في سرده لصفحات سيرته الذاتية وهذا ما يعطي للقراء نظرة تنم عن كونه قاسي القلب عديم الضمير إلا أنه وبالرغم من أننا لا نبرر بيعه للرق لكن وبوضوح جلي يمكن للمرء القول أن ممارساته لم تكن بقسوة السكان الأصليين لبعضهم البعض فإن نظرنا لمعظم طبيعة قبائل المنتشرة في أرض المانييما الآكلة للحوم البشر[3] يمكننا أن نجد المبرر حيث بالرغم من قسوة التجارة إلا أن تيبوتيب استخدمها في تحرير أسرى الحرب الذين كانوا على وشك أن يؤكلوا لولا شرائهم وفي نظر هانريش فقد كان هذا المصير أفضل بكثير من المصير الآخر الذي قد يتعرض إليه الرجل الإفريقي في مانييما [4].

كما أن معاملات حمد المرجبي لرقيقه تختلف عن المعاملات الأوروبيين لهم الذين كانوا يتعمدون لاختلاق المتاعب أثناء الطريق الطويل من الداخل إلى ساحل البحر بينما وبالنسبة إلى حمد فإن صحة العبيد كانت بالنسبة له على الدوام محل عناية الجلابة فالرقيق كان يصيب طعامه بانتظام ويأخذ حظه من الماء خلال الرحلة ويلقى معاملة أقرب إلى الرق على عكس ما ذكرته المصادر الأوروبية ، فقد كان حمد رجلا ذو إحساس عالي بالمسؤولية يضع ضمن نطاق اهتماماته كل من عبيده وحماليه وأسرته بأكملها وكان يحرص شخصيا على ملبسهم

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 234 .

[2] . Melvin E, Page, Op Cit, P 74.

[3] . من أكثر عادات المنتشرة في أرض المانييما هي أكل لحوم البشرة التي كانت نتيجة للشراهة و علاقة واهية بالطقوس الدينية أو الخرافات وقد اعترف سكان المانييما بحرية بعاداتهم في أكل لحم البشر الذي وصفوه بأنه مالح الطعم حيث تقطع أجزاء الجسم وتطبخ مع الموز ومن أشهر هذه القبائل نجد البنجالا وباسانكوسو ، أنظر : سيدني لانجفورد هايند ، مصدر سابق ، ص 211 .

[4] . Heinrich Brode, Op Cit, P 16 .

بالإضافة إلى الأجر كحرصه على توفر الطعام مسبقا ما إذا لم تكن وجهته تسمح لهم بالحصول على الأكل [1].

أيضا كان يقوم بإعطاء الحمالين أجرهم مسبقا وهذا بالفعل ماهو ثابت في مذكراته فقد كنا نجده في مواقع عديدة يشير إلى المبالغ التي كان يدفعها وكيف كان يتفق معهم على مقدراها وقد كان يرى البعض بأن مثل هذه المواقف تبرئه من تهمة الرق فإن كان فعلا يمارس الرق فما الداعي للبحث عن الحمالين إذ أورد في عدة مواقع العبارات التالية : (وعادت مشكلة الحمل من جديد) ، (كنت أمام مشكلة تدبير الحمالين) [2] إلا أنه حقيقة ممارسته الرق كانت أمرا مفروغا منه وحاجته للحمالين تثبت الحد المعقول لبيعه العبيد وحرصه على سلامتهم أولا قبل كل شيء وبهذا فإن حمد كان يتميز بروح المسؤولية والولاء وكان يتوقع نفس الشيء من عبيده وحماليه.

أيضا من دلائل حسن معاملته لعبيده نذكر نجونجو لوتيته والذي كان عبدا لحمد المرجبي منذ صغره حيث أخذه في كنفه ورعاه ولم يقتصر الأمر فقط على مده بالمأكل والمشرب فقط بل استطاع نجونجو تحت إمرة حمد أن يرتقي إلى أعلى المراتب إذ جعله تيبوتيب مسئولا على الضفة الغربية من نهر لومامي الذي كان تحت نفوذ تيبوتيب وبفضل مركزه هذا تمكن نجونجو أن يوسع سلطته ويشد رحاله فازداد نفوذه وبالتالي قام أيضا بجعل العبيد تحت سيطرته واتخاذهم كعبيدا له [3].

ثم ارتقى فيما بعد ليصبح شريكا معادلا لتيبوتيب في الثروة وتاجرا يبيع العاج للأوروبيين ولديه شبكة اتصالات واسعة على حوض نهر الكونغو إلى جانب ابن تيبوتيب سيف بن حمد المرجبي ما خول لنجونجو في النهاية أن ينقلب ضد سيده ويتعاون مع البلجيك لحسابه الخاص بغرض السيطرة على أرض المانييما متمردا على حمد [4] ، فقد كان حمد يقوم بتأمين مراكز لعبيده ويستطيع العبد أن يرتقي ليصبح سيدا فيما بعد .

---

[1] . Angela Dowing, Op Cit, P 63.

[2] . الريامي ناصر بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 351 .

[3] . M. Coosemans ,**Op** Cit, P 428.

[4] . سيدني لانجفورد هايند ، مصدر سابق ، ص 68 .

كما أننا نجده في مواقف عديدة يقوم حمد بجمع عبيده وحماليه ليسألهم (ما الذي يريدون فعله ؟) [1] ، ولم يكتفي الأمر بطلب مشورتهم أو ترقيتهم في مناصب عليا بالدولة بل تعدى ذلك لدفاع عنهم أيضا إذ وخلال رحلته الثالثة أثناء دخول حمد المرجبي لأرض سيمبا تم الاعتداء على أحد العبيد التابعيين له المدعو ب ' ياقوت ' من قبل شعب الواروا [2] وبعثر محصوله من الذرى دون سبب فأخبر حمد ياقوت أن لا يجعل من هذا قضية وأنه سيمنح له من الذرى بديلا [3] ، إلا أن العبد ' ياقوت ' أبى الانصياع لأوامره ورفع السلاح في وجه زعيم القرية محاولا الثأر لما أصابه ما تسبب في حدوث مشاحنات كانت قد تؤدي لمقتل العبد وعوض أن يقوم حمد بتقديم عبده لزعيم القرية كهدنة صلح قام باللجوء إلى القتال وأضرم النار في القرية مُغيرا إياها وأسر واحدا منهم [4].

كما أن حقيقة إغارته على القرى تعرضت هي الأخرى لتشويه من قبل الغرب محاولين النيل من سمعته إذ نرى أن المتمعن في قراءة سيرة حمد المرجبي سيجده عدم راغبا في الحرب أو الإغارة إلا إذا اقتضته الضرورة لذلك حيث كان كثيرا ما يردد عدم رضاه وإن كان يغير على القبائل فإما يكون ردا على مقتل أحد أقاربه أو كما ذكرنا سابقا دفاعا عن أتباعه أو على طلب المساعدة من قبيلة أخرى فقد ذكر أنه قاتل قبيلة الكوسو في منطقة أوتيتيرا ودمرها لأنهم قتلوا خاله بشير بن حبيب وليس بغرض جلب العبيد كما تم الإشارة إليه من قبل الكتابات الأوروبية [5].

وثمة حقيقة نود التركيز عليها وهي أن المجتمعات العربية لم تعرف التفرقة العنصرية بين الأجناس المختلفة ، ومن ثم نشأت عملية انصهار سرعان ما ذاب فيها الزنوج في المجتمعات العربية أو ذاب العرب في المجتمعات الإفريقية [6]، و تيبوتيب كان نتيجة عملية الانصهار هذه

---

[1] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 51 .

[2] . Angela Dowing, Op Cit, P 64.

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 72 .

[4] . Heinrich Brode, Op Cit, P 60.

[5] . Angela Dowing, Op Cit, P 64.

[6] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 200 .

إذ يجدر الإشارة اختلاف المصادر في وصفه من حيث ملامحه الممزوجة بين الجنسين نظرا لنسبه النصف زنجي من جدته التي كانت هي الأخرى جزءا من مجتمع الرق الإفريقي [1].

وبهذا الصدد لخص جرانفيل وزير الدولة في أول حكومة وطنية في الكونغو العلاقات المتميزة بين المجتمعات العربية والأفارقة بقوله (لقد زور البلجيكيون كل شيء في الكونغو . . . فليست مدينة ستانلي فيل سوى مدينة تيبوتيب القديمة التي أقامها قبل وصول ستانلي ، وليس العرب المسلمون ـ كما قالوا لنا ـ تجار رقيق ، وإنما هم تلك الموجة الإنسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا وتركوا لنا على أرضنا دماءهم والبلجيكيون يحصدونهم بالأسلحة الحديثة ، وليس أعز علينا شيء سوى هذا الدم العربي الذي سال في الماضي على أيدي نفس أعداء العرب في القرن الماضي) [2].

وفي النهاية قضية الرق في إفريقيا لم تكن قضية إسلامية تخص تلك الهويات العربية كما أشارت الكتابات الأوروبية كما أنها بكل تأكيد لم تكن قضية عرب وأفارقة وإنما كانت وليدة ظروف اقتصادية بالدرجة الأولى واجتماعية ، وليس أدل على ذلك من أن السكان المحليين في إفريقيا كانوا يسترقون بعضهم بعضا بل أن أعدادا كبيرة من المسلمين أنفسهم قد استرقوا نتيجة الاضطرابات والحروب الداخلية في غرب إفريقيا . [3]

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 15 .

[2] . عبد الرحمن قدوري ، **الجذور التاريخية للعلاقات المتبادلة بين شمال وغرب إفريقيا** ، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية و الإجتماعية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة طاهري محمد ، بشار ، الع 1 ، ديسمبر 2015 ، ص 47 .

[3] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 197 .

الفصل الثالث

الاستعمار البلجيكي في الكونغو والصراع مع حمد المرجبي

- **أولا : التغلغل البلجيكي في حوض الكونغو.**

1. تأسيس دولة الكونغو الحرة (1885-1908):

عندما اعتلى ليوبولد[1] الثاني العرش 1865م كان مهووسا بفكرة تأمين مستعمرة لبلجيكا لأن رحلاته إلى سيلان والهند وروما ومصر قد عززت الرأي القائل أن بلاده الصغيرة تحتاج إلى ممتلكات في الخارج لكسب أي وجود على المسرح العالمي،فكرس وقته للبحث في تاريخ القوى الاستعمارية الأخرى والأساليب التي اتبعوها في إدارة مستعمراتهم،حيث أن الكونغو لم تكن خياره الأول فقد كان يملك استثمارات في قناة السويس كما أنه بحث في شراء "فيجي" و"السكك الحديدية" في البرازيل،لكنه في نهاية المطاف وجه عينيه إلى واحدة من أغنى سبعة مناطق الغير مستعمرة في افريقيا بعد أن شدت أنظاره رحلة ستانلي الثانية الاستكشافية التي

---

[1] .**ليوبولد لويس فيليب ماري فيكتور**(Léopold louis Philipe marrie Victor)، ولد يوم 09 أفريل 1835 ببروكسل ببلجيكا، وهو الابن الأكبر لـ ليوبولد الأول (ليوبولد جورج كريستيان فريديريك Léopold George Christian Frederik) من زوجته الثانية ماري لويلز (Marrie Louis) أميرة أورليانز بفرنسا، وهو ابن عم ملكة بريطانيا (الملكة فيكتوريا ،أصبح دوق برابانت (بلجيكا) في سن الحادي عشر، تولى العرش سنة 1865 ،أراد ليوبولد أن يكون لبلده نصيبا وافرا من الغنائم الإفريقية مثل الدول الأجنبية الأخرى، فقد كان يرى أن المستعمرات الخارجية مفتاحا للعظمة لأي بلد وكان يرى في الكونغو مشروعا تجاريا تعود له بالأرباح، فعمل على تحقيق أطماعه بها من خلال استعانته بالمستكشف ستانلي وكذلك بتنظيمه شركة قابضة متنكرة في هيئة جمعية خيرية تحت اسم "المجتمع الإفريقي الدولي"، وبعد مؤتمر برلين الثاني (1884-1885) تم الاعتراف به كمسيطر على حوض الكونغو وأصبحت ذات نفوذ بلجيكي. كان حكم ليوبولد للكونغو بمثابة قصة رعب، تتساوى مع ما فعله هتلر في أوروبا، بعدما نصَّب نفسه كملك العبيد الأوحد بلا منازع على مدار 30 عامًا، وبعد احتلاله للكونغو أصبح يملك مصدر نادرا للثراء حيث صادف ذلك اختراع العجلات المطاطية القابلة للنفخ وعجلات السيارات، فزاد الطلب على المطاط، فوجد في أراضي الكونغو ميدانا خصبا لهذه الزراعة،.توفي في 17 ديسمبر1909 وهو بعمر 74سنة إثر نزيف بالمخ، ويتم اليوم تذكره ببلجيكا لما قام به بالكونغو، ودعوته القوية للتحصينات في الجزء الشرقي للبلاد مما أبطئ تقدم القوات الألمانية 1914 في بداية الحرب العالمية الأولى، ومع ذلك يظل أهم ارث له هو الكارثة البشرية التي خلفها في الكونغو من جرائم وعمل قسري وتشويهات ، للمزيد انظر:

Knondakar Golam Mowla : The Judgment against imperialism fascism and racism against caliphate and Islam, AuthorHouse, V1 , US, 2008, P174-175

AdamHochshild : Leopold II kingof belguim, ***Encyclopedia Britannica,*** *(https://www.britannica.com/biography/Leopold-II-king-of-Belgium*), (Apr5th, 2020)

أعطت له وصفا دقيقا للأرض التي سيحتلها قريبا، ومن أجل أن يكسب شرعية وتبريرا أخلاقيا لاستعماره ادعى أنه يسعى لتخليص الكونغو من هيمنة تجار الرقيق العرب وإحلال السلام بين القبائل فيها وما شابه.[1]

وفي منتصف الثمانينات أصبحت القارة الإفريقية في قلب المشاكل العالمية و بدأ اقتسامها سنة 1876حيث شرع ليوبولد بتأسيس جمعية عالمية افريقية في بروكسل للعمل على اكتشاف القارة السوداء ونقل الحضارة الأوروبية"كما ادعى"،وإلغاء نظام الرق وإدخال المبادلات التجارية الحرة ونشر المسيحية وكذلك كسب أراضي جديدة لمملكته حيث استطاعت هذه الشركة السيطرة على حوض الكونغو سنة1878م.[2]

قام بعقد مؤتمر دولي للجغرافيين حول العالم وللمهتمين بالدراسات الإفريقية ببروكسل 12 سبتمبر 1876من وذلك لكشف الأقاليم الواقعة في قلب القارة والعمل على نشر الحضارة فيها،ووضع حد لتجارة الرقيق والتمهيد لاستثمار مواردها،وقد حضر المؤتمر عدة مستكشفين من بريطانيا ،بلجيكا ،النمسا والمجر ،فرنسا ،ألمانيا و روسيا[3].

أسفر المؤتمر عن تأليف "الهيئة الدولية لكشف افريقيا"، حيث بدأت نشاطها بإرسال عدة بعثات للعمل على تأسيس محطات في إفريقيا، كما باشرت بإرسال بعثتين استكشافيتين: الأولى إلى شرق افريقيا 1877 وثم الثانية إلى الوسط الإفريقي 1879 [4]،فقد صمم السيطرة على شرق افريقيا ليشق طريقه للكونغو وما شجعه على ذلك هو الدعم الهائل الذي كسبه من خلال المؤتمر[5].

---

[1]. Kolar , Calvin C , "Resistance in the Congo free state": 1885-1908 (2015) , ***Honors theses***, university of Carbondale, Illinois, PP6-7 .

[2]. Aziz Abdullah Madllum : Bismarck's diplomatic policy and competition towards the German colonies in Africa, ***Thesis submitted (PH.D) in political science***, University of St Clements, Iraq , 2011, p67.

[3] .شوقي الجمل ، مرجع سابق ،ص136 .

[4] .أحمد الظرافي،**غول فوق رأسه تاج: ملك بلجيكا واحتلال الكونغو**، *مجلة البيان*،ع 387، الرياض،2019/07/03، ص28.

[5]. Aziz Abdullah Madllum ,Op Cit , p 38 .

ومع اقتراب نهاية المؤتمر قرر الضيوف المشاركين التموين لإنشاء منظمة دولية لإنهاء تجارة الرقيق تحت اسم 'الرابطة الدولية الإفريقية AIA' برئاسة ليوبولد حيث عين فيها أتباعه والمقربين منه[1].

إلى جانب المهام التي قرر المؤتمر التكفل بها (دراسة مواقع الطرق ليتم فتحها في الداخل وإقامة المحطات والقواعد فيها كوسيلة تهيئة لإلغاء تجارة الرق وإحلال السلام بين الرؤساء والقبائل) ،قرر ليوبولد أن يجعل في هذه المحطات مجموعة مختبرات لدراسة التربة المحلية والطقس والحيوانات ويتم تجهيزها جيدا بمستلزمات المستكشفين من خرائط وسلع تجارية وملابس ولوازم لإصلاح الأدوات العلمية ،بالإضافة إلى إقامة مستشفى يحتوي على احدث الأدوية ،كما قرروا أن ينشروا في هذه المناطق الداخلية ستة مجموعات أو أكثر من الأوروبيين الغير مسلحين من علماء ولغويين وحرفيين يعلمون المهارات العملية للسكان الأصليين[2].

استعان ليوبولد بالرحالة ستانلي الذي سبق له أن قام برحلة استكشافية ما بين (1873-1877) ،واقترح عليه التعاون معه في تنفيذ مشروعه بالكونغو مقابل مبلغ مالي قدر بثلاثمائة ألف دولار، وبهذا عقد مؤتمرا أخر ببروكسل ب 25 نوفمبر 1878 حضره ممثلون عن هولندا وفرنسا فضلا عن ستانلي ،وكان من أهم نتائجه إنشاء "لجنة دراسة الكونغو الأعلى "[3] التي تسعى لعقد المعاهدات مع زعماء القبائل في الكونغو بإشراف ستانلي نفسه ،حيث نجح في تأسيس مدينة ليوبولد في عام 41881،بالإضافة لإنشائه حوالي اثنان وعشرون محطة على النهر وفروعه منها مدينة فاف(Veve)،كما عقد اتفاقيات مع الزعماء المحليين مقابل بعض الإغراءات الساذجة التي لم تكن تتعدى قطعة قماش شهريا وقطعة أخرى كهدية عند توقيع العقد[5] ،ثم أكمل توجهه بالتوغل على طول مجرى نهر الكونغو[6] .

---

[1]. Aziz Abdullah Madllum ,Op Cit , p 40 .

[2]. Adam Horchishld : **King Léopold's Ghost** ,Houghton Mifflin Company ,New York ,1998 ,PP76-77.

[3] عبير شليغم، **الإستعمار البلجيكي في إفريقيا : الأسباب والنتائج** ، مجلة قراءات افريقية، الإسلامي للنشر والتوزيع ، الع 26، ديسمبر 2015 ،اطلع عليه يوم 2020/06/29 .

[4] .م.محمد إبراهيم ابداح، **أسياد العبودية –حقائق بين التلفيق والتوثيق**، دار الجنان للنشر والتوزيع ، د.ت ،ص178.

[5] . شوقي الجمل ، مرجع سابق، ص137.

[6] .عبير شليغم، مرجع سابق .

غادر بلجيكا نهاية شهر جانفي 1879 مع بعثة تتكون من خمسة بلجيكيين واثنين انجليزيين ودنمركيين و واحد فرنسي ،وبلغ عدد القوات الإفريقية حوالي ثماني وستون شخصا من زنجبار ،بالإضافة إلى العتاد الذي يتألف من زورقيين بخاريين وبواخر لولبية و ولاعات فولاذية ومعدات أخرى ،فقد منحت له الامتيازات هو وطاقمه للقيام بنحت المسارات والطرق حول المنحدرات الكبيرة والمناطق الغابية وملئ الأخاديد ،كذلك رمي الجسور فوق الوديان لنقل أكثر من خمسون طنا من المعدات إلى أعلى الطريق لأن الحيوانات في الغالب مثل الخيول والثيران لا تستطيع البقاء على قيد الحياة في مناخ الكونغو لذلك تنقل هذه المعدات على رؤوس الحمالين1 ،وتمكن من تأسيس محطة 'مسوتا Msuata ' بالقرب من 'ستانلي بول' سنة 1882 ،كما نجح في تأسيس محطات جديدة في 'بولولو' و 'كوامونث' والعديد من المناطق في حوض كويليو شمال الكونغو السفلى ،بالإضافة إلى تمكنه من شراء جزيرة 'أوسانا روساني' قرب شلالات ستانلي (ستانلي فولز)[2].

وفي الوقت الذي كان فيه ستانلي يعمل لنشر نفوذ هيئة دراسة الكونغو الأعلى على أكبر مساحة ممكنة من حوض نهر الكونغو ،كان دي برازا يعمل من جانبه –على الضفة اليمنى للنهر لتوثيق صلات فرنسا بالزعماء الوطنيين هناك[3].

وأسس 'برازافيل' باسم علم فرنسا ، فتم الرد على هذه الخطوة بتأسيس محطة ليوبولد فيل في سهل كيتامو بالقرب من بحيرة 'مانيانغا'،وبهذا قررت بريطانيا والبرتغال القيام بالخطوة المضادة وتحطيم عمل ليوبولد،فعملت على إنشاء اتفاقية عام 1884م تعترف فيها الأولى بأحقية الثانية بموجب الاكتشاف القديم في الاستيلاء على إقليم الكونغو على أن تكفل حرية الملاحة في كل من نهري الكونغو والنيجر ،وأن تعمل الدولتان سويا للقضاء على تجارة الرقيق حيث لاقى هذا الأمر معارضة كبيرة من فرنسا وألمانيا وبلجيكا والولايات.م.أ وحتى كبار الاستثماريين البريطانيين أنفسهم[4] .

---

[1]. Adam Horchshild , Op.cit. 117

[2]. Demetrius C. Boulger , Op.cit. 30

[3]. محي الدين قاسم، **التقسيم الإسلامي للمعمورة: دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث** ، تق عز الدين فودة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي **(سلسلة الرسائل الجامعية 24)** ، القاهرة، 1996 ، ص354.

[4] .محي الدين قاسم، **مرجع سابق**، ص354.

وهكذا أصبح واضحا أن الخلاف بين الدول الاستعمارية لا يمكن أن يحل إلا عن طريق مؤتمر دولي للاتفاق على حل هذه المشاكل،والحقيقة أن المشكلة لم تعد مشكلة الكونغو فحسب بل أن الطاقة التي فجرها الملك البلجيكي–ليوبولد الثاني– جعلت المسألة الإفريقية الشغل الشاغل للدول الأوروبية حيث أدركت أن هناك سباق لاستغلال هذه القارة ذات الإمكانيات الضخمة والتي بإمكانها أن تؤثر في ميزان القوى الدولية[1].

وفي ظل هذه الظروف انعقد مؤتمر برلين الثاني في 15 نوفمبر 1885 والذي دعي إليه المستشار الألماني بسمارك لمناقشة أزمة الكونغو ،فضلا عن إقامة قوانين دولية لغرض تنظيم الملاحة والتجارة في الأقاليم الغربية والوسطى القريبة من المحيط الأطلسي ،وكانت الحكومة الألمانية تعارض إقامة نظام معين في صالح دولة واحدة على مصب نهر الكونغو وطالبت بضمان حرية التجارة في هذه الأقاليم ،وقد حضر المؤتمر مندوبو أربعة عشر دولة (النمسا والمجر ،ألمانيا،بلجيكا،هولندا،فرنسا،بريطانيا،الدنمرك، السويد، النرويج، إيطاليا، اسبانيا، البرتغال، تركيا)،ويعد هذا المؤتمر علامة بارزة في الصراع الاستعماري على القارة الإفريقية حيث تم فيه وضع أسس تقسيمها بين الدول الأوروبية إلى أشلاء لا تتكافأ مع نفسها لكنها تشبع أطماع هذه الدول[2].

عقد المؤتمر عشر جلسات كاملة من 25 نوفمبر 1884 إلى 26 فيفري 1885، وصدرت قراراته على شكل ميثاق عام تضمن 38 مادة،حيث أقر حرية التجارة في حوض الكونغو فقط، كما قرر حياد حوض الكونغو وحرية الملاحة في نهري الكونغو والنيجر، كما وضع أسسا جديدة للاحتلال على سواحل القارة .[3]

ومن أهم قرارات المؤتمر التي تخدم موضوعنا هو قيام دولة الكونغو الحرة تحت إدارة جمعية الكونغو التي يرأسها ليوبولد منذ كان موقف إنجلترا والبرتغال ضعيفا لدرجة أن أعضاء من البرلمان البريطاني أنفسهم تهكموا على تأييد إنجلترا لوضع منطقة مهمة مثل الكونغو في يد دولة ضعيفة مثل البرتغال ،وبهذا أسفر المؤتمر قيام دولة حرة بقلب القارة الاستوائية تكون من

---

[1]. شوقي الجمل ، مرجع سابق ، ص138.

[2]. Aziz Abdullah , Op.cit. 105 .

[3] . محي الدين قاسم، مرجع سابق ،ص356 .

الناحية التجارية مفتوحة لكل الشعوب ،بينما من الناحية السياسية بعيدة عن المنازعات الدولية[1] ،فقد تكتلت الدول الأوروبية ضد الاتفاق البريطاني البرتغالي إذ أنها أدركت أن بريطانيا تريد إعطاء الكونغو للبرتغال كخطوة لتصفية ممتلكات البرتغال واستيلاء بريطانيا عليها فاضطرت بريطانيا تجاه التكتل الدولي ،الموافقة على قيام دولة الكونغو الحرة (Congo Free State)، وعلى إدارة هيئة الكونغو الأعلى التي يرأسها ليوبولد[2]، كما اشترط المؤتمر أن تصبح التجارة حرة ومفتوحة أمام استثمارات الرأس ماليين ،وأن تتولى بلجيكا حماية البعثات التبشيرية من مختلف الكنائس ،كما اتفقت على حرية الملاحة في حوضي الكونغو والزمبيزي ولذلك سميت بدولة الكونغو الحرة حيث أن كلمة "حرة" تعني حرية الشركات الأوروبية في نهب موارد هذه المنطقة ،وأصبح لها علم خاص كان عبارة عن قطعة قماش أزرق في وسطه نجمة ذهبية[3].كما اقر المؤتمر عن تقسيم سلطنة زنجبار واستقطاع الأراضي التابعة لها في الداخل الإفريقي عام1886 حيث تم هذا القرار بموجب الاتفاق بين فرنسا ،بريطانيا وألمانيا[4].

ونتيجة اعتراف المؤتمر بالمستعمرة الجديدة،تغيرت الخريطة السياسية للكونغو حيث قسم إلى جزأين من المستعمرات كما رسمت لها حدود توافق مصالح هذه الدول،فامتدت حدود بلجيكا نحو الشرق وفتحت الطرق التي كانت تمتد من الساحل الشرقي حتى نهر أوجيجي ،وبحيرة تنجانيقا حتى المحيط الأطلسي ،أما فرنسا فترك لها المؤتمر الضفة اليمنى من نهر الكونغو بشرط أن تسترد أملاك ليوبولد إذا تخلى عنها[5].

---

[1] . شوقي الجمل، مرجع سابق، ص150 .

[2] . نفسه ، ص148 .

[3] .أحمد الظرافي، مرجع سابق ،ص29 .

[4]. جلال يحي، **التنافس الدولي في شرق افريقيا** ،دار المعرفة ،القاهرة ،1959 ،ص207.

[5] . شوقي الجمل ، مرجع سابق، ص152 .

2 ـ طبيعة العلاقات العربية البلجيكية.

في بداية الأمر لم تكن هناك علاقات مباشرة بين البلجيك والعرب، وإنما كانت من خلال ستانلي الذي كان حريصا على أن يسلك معهم سلوكا وديا حتى ينال قسطا من تعاونهم وحمايتهم، وكان ستانلي يُوصي الضباط البلجيك الذي تركهم في حراسة المحطات البلجيكية هناك، بألا يظهروا أي غلظة للعرب، الأمر الذي جعلهم يركنون إليهم ويحسنون به الظنون [1].

و بالرغم من هذا، كان العرب يرتابون من وراء هذه المعاملات غير المعتادة، إلا أن البلجيكيين اصطحبوا حمد المرجبي لاكتشاف بقية ما لم يستكشفوه من أرض الكونغو[2].

كما أنه استطاع أن يعيد تنظيم الكونغو في عام 1883م عبر عقد اتفاقات مع سكان الأصليون للمنطقة، وحصل على موافقة العرب وبذلك بدأت صفحة جديدة من العلاقات العربية البلجيكية ظاهرها الاحترام المتبادل كسبت من خلاله هيئة الكونغو الدولية كسبا اقتصاديا عوض الملك ليوبولد ما أنفقه من قبل [3].

فقد أنزلت الدولة عدة بواخر في فروع الكونغو ظنها العرب لتسيير نقل البضائع وتسهيل المعاملات التجارية لكنها وزعت السلاح على المحطات البلجيكية هناك ، وأعطت منه قدرا يسيرا هدايا للعرب الذين انحنوا بكرمهم أمامهم وأجزلوا لهم العطاء عاجا وسلعا وخدمات بشكل أكثر من ذي قبل فكان القصد ظاهري متمثلا في توسيع المعاملات التجارية وتسهيلها بالإضافة إلى إنشاء محطات تعمل على تحقيق هذه الغاية أما السبب الحقيقي فهو تهيئة الكونغو ليكون ملكية خاصة للملك ليوبولد[4] .

ولعل العرب كانوا في ذلك مدفوعين أيضا بضعف السلطان برغش الذي سيطر عليه الانجليز فضاعت هيبته وانعكس ذلك على العرب في الكونغو[5] .

---

[1] . يواقيم رزق مرقص، مرجع سابق ، ص 227 .

[2] . نفسه .

[3] . نفسه .

[4] . نفسه ، ص 228 .

[5] . Heinrich Brode ,Op Cit, PP 180 – 181.

بعد أن التقط البلجيكيون أنفاسهم في الكونغو من الناحية الاقتصادية والأمنية وكذلك من الناحية السياسية مع الدول الأوروبية بدؤوا ينقلبون على العرب بهدف التخلص منهم [1] .

وخلال تلك الفترة أيضا خلد العرب إلى الهدوء من اجل الترويج لتجارتهم وتسيير قوافلهم، وزراعة الأرض في أمان، كما قاموا حتى بمشاركة الأجانب أنفسهم جاهلين ما بدأ البلجيكيون يحيكونه لهم في الكونغو وفي أوروبا والمحافل الدولية، بهدف تشويه سمعتهم واستنفار القوى ضدهم [2] .

وفعلا ترك العرب المنصرين والرحالة الأوروبيين يجوبون الكونغو بل أسهموا في إمدادهم بكم هائل من المعلومات والمساعدات التي يسرت لهم الوصول إلى نتائج كشفية كان لتيبوتيب النصيب الأكبر فيها[3].

وإلى جانب مساعداتهم الكثيرة، ترك العرب الأوروبيون يكتبون عن تجارتهم للرقيق فمسخوا صورهم أمام العالم، وقد كان لحمد المرجبي النصيب الأكبر من هذا الوصف، فكان ذلك سببا من اجله سالت الأقلام والأموال تطالب بوقف هذه الظاهرة الذي تلطخت بها يد العرب [4].

ومن أجل تنفيذ هذا المشروع طلب ليوبولد من جميع دول أوربا أن يرسلوا عمالا وضباطا وأطباء من جميع أنحاء أوربا إلى الكونغو من أجل القيام بعدة أعمال وكذلك ترسيم الحدود الجنوبية [5] .

كما أصبح محتوما على ليوبولد الثاني مراجعة حساباته تجاه العرب، وأن يسايرهم حتى يستفيد منهم دون أن يقفوا في طريقه، حتى أن الضباط الذين تركهم في المحطات القديمة

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 228 .

[2] . نفسه .

[3] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص . ص 17 ـ 18 .

[4] . يواقيم رزق مرقص، مرجع سابق ، ص 228 .

[5] . وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8507 في 20 مارس 1885م ، (رسالة من الملك ليوبولد الثاني ومرسلة إلى ... غير مذكور في الرسالة) ، المصدر سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، أنظر ملحق الوثائق رقم 4 ، ص 167 .

والحديثة لم يستطيعوا البقاء فتركوا ليوبولد فيل، كما أن مخازنه التي شيدها قد سلبت والوقت يضيع في غير صالح الأوروبيين هناك [1].

ومن أجل هذا كانت مجموعات مناهضة الوجود العربي في الكونغو من عناصر أوربية بالإضافة إلى البلجيك قد تفرقوا في شرق القارة ووسطها هدفهم مناهضة الوجود العربي[2].

كما استفاد البلجيكيون من ربط انجلترا بين ما كان يحدث في السودان من صراع بينها وبين والمهديين وبين ما يمكن أن يكون في الكونغو فبذلوا كل الجهود للقضاء عليهم[3] ، حيث شهدت هذه الفترة انتعاشا للحركة الاستعمارية في إفريقيا و بسط سيطرتها.

والجدير بالذكر أن مصر وزنجبار كانتا دولتان إفريقيتان ذات ثقل مؤثر في القارة فسعت الدول الأوروبية وعلى رأسها إنجلترا لتفكيك هذه الدول وتصفيتها نهائيا مدركة ما قد يرتب على اتحادهما من قوة تمكنهما من مواجهة النفوذ الاستعماري ما جعل بريطانيا تبسط قوتها على السيد برغش بن سعيد لينتهي به الأمر مستسلما ليدفع الثمن غاليا، إذ خسر نفوذه في بلاده وهيبة العرب له، هذا الضعف الذي انعكس على العرب في الكونغو خاصة من طرف البلجيك بالإضافة إلى بريطانيا و الألمان وأصبح الدخول في صراع معهم وشيك خاصة مع ازدياد الضغط البلجيكي على العرب هناك [4].

وكانت بداية هذا الصراع منذ عام 1884 عندما غير ستانلي من أسلوب تعامله مع العرب، فبدأ يستولي على تجارة العاج ويحتكرها ويكره التجار العرب على الاتجار بما تبقى لهم من عاج وسلع أخرى إلى الساحل الغربي لإفريقيا وليس كسابق عهدهم إلى الشرق، وهذا بغرض إحداث القطيعة بينهم وبين بني جلدتهم في زنجبار فيرضخ سلطان زنجبار هناك أمام القوى الأوروبية هناك بسبب انقطاع المد المالي عنه [5] .

---

[1] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، **مرجع سابق** ، ص 141 .

[2] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 229 .

[3] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 17 .

[4] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص . ص 229 ـ 236 .

[5] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 230 .

وقد كان ذلك إثر انعقاد مؤتمر برلين 1884 ـ 1885م حيث انتهى الطور الأول من التوغل الأوروبي في القارة الإفريقية ونتج عنه تقسيم معظم القارة الإفريقية كذلك تفكيك سلطنة زنجبار العربية ، والاعتراف بدولة الكونغو الحرة وبالتالي لم يبق الوجود العربي فيها إلا حجر عثرة في طريق السيطرة الكاملة على منطقة الكونغو خاصة بعد أن تمت التسويات الحدودية بين الدول المتنافسة [1] .

فبدأ ستانلي ينتهج سياسة مغايرة مع العرب بغرض فرض سيطرة البلجيك على هيئة الكونغو الدولية، واستطاع ستانلي أن يعيد تنظيم المحطات على طول 223 ميلا ، كما تمكن من تأسيس أخرى في شلالات ستانلي ، تلك المنطقة التي لقي فيها ستانلي عنفا شديدا مع العرب عندما انتزعها من العرب بالإضافة إلى إقامة محطات عسكرية وإعداد وسائل مواصلات تربط بين المحطات على طول نهر الكونغو [2]، وقد تزامنت هذه الفترة مع غياب حمد المرجبي عن المنطقة بعدما تم استدعائه من قبل السيد برغش لمناقشة الأوضاع الراهنة في الساحل الشرقي والكونغو [3].

وبعد أن تم تأسيس محطة ستانلي فولز التي استولى ستانلي على أرضها بالاتفاق مع الزعماء المحليين في ذلك الإقليم تركها في عهدة وحماية السير فرانسيس دي سينتون (sir Francis de sinton) ليخلف ستانلي الذي ركب نهر في طريقه إلى مجراه الأعلى بالإضافة إلى ترك ضابطان بلجيكيان هما القبطان هانسنس (Hanssens) والملازم كوكويلهات (Coquilhat)، وقد عمل هؤلاء الثلاثة على تعزيز نفوذ البلجيك في الكونغو، كما ركزت على التعامل بالقوة والعنف مع العرب والسكان الأصليين محاولين السيطرة على معاملاتهم التجارية وتقليص من مداخلهم الاقتصادية بغرض التمهيد للتوسع البلجيكي، إلا أن سياستهم باءت بالفشل ما جعل الحكومة البلجيكية تحاول تعيين ضباطا آخرين[4] .

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، الاستعمار البلجيكي لحوض الكونغو وإقصاء النفوذ العربي منه 1878 ـ 1894 ، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية ، الجامعة الأسمرية الإسلامية زليتن .كليتي الآداب والعلوم، ع 30، جويلية، 2017م، ص21.

[2] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 18 .

[3] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 230 .

[4] . Demetrius.C.Boulger , **The Growth of Civilisation In Central Africa** , W,Thacker and CO , Creed Lane , E,C , London , 1898 . P 30 .

ففي جويلية 1884م عين الملك ليوبولد الثاني الضابط أرفيد ويستر(Arved Wistar) في محطة أوناروزاري التي تقع بالقرب من محطة ستانلي فولز، ولقد كان أكثر ليونة من سلفه كما كان يجيد اللغة السواحيلية ما سمح له بالتواصل مع العرب، فعمل على الاحتيال عليهم مستغلا فرصة غياب حمد المرجبي ليحاول إقناع سيفو الذي كان يتولى إدارة منطقة شلالات ستانلي نيابة عن أبيه وبرفقته نجونجو لوتيته، بالإضافة إلى عدد من الزعماء المحليين بالتوقيع على معاهدة 1884م التي نصت على عدة بنود من بينها :

1 ـ احتكار تجارة العاج على البلجيك فقط في هيئة الكونغو وقد كان العاج بمثابة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النشاط التجاري العربي حيث أكد الملك ليوبولد على ضرورة الاستفادة من تجارة العاج بغرض تغطية نفقات قيام دولة الكونغو الحرة [1].

2 ـ التزام العرب بعدم الدخول في الكونغو من ناحية الغرب أي غربي الشلال السابع من ستانلي فولز2 ، وبالتي اقتصر نفوذ العرب على إدارة المناطق الواقعة بين نهري أوريمي واللومامي ، وقد كان هذا اعترافا بحقوق العرب الذين لم تفتهم المطالبة بها يوم أن حاولت الدولة إقامة سلطانها ضد رغبة زعمائهم [3].

3 ـ ألا يدخل العرب أراضي الكونغو الحرة من منطقة ستانلي فولز إلى غاية منطقة بانانا بغرض التوسع أو التجارة أو صيد الرقيق أو الحصول على العاج [4].

وكان الموقعون من العرب من سيفو وكاريما كايوميا وبعض زعماء القبائل التي تسكن حول المنطقة كطرف ثان اعترفوا أيضا بوضع مناطقهم تحت حماية الكونغو الحرة وقد كانت هذه بمثابة نقطة تحول مهمة بالنسبة للبلجيك[5] .

إلا أنه لم يقدر لهذه المعاهدة النجاح فما إن علم حمد المرجبي بأمرها حتى ثار وغضب ورفض التعامل مع ستانلي، بل سعى إلى إبطالها أيضا بصفته المسئول الأول وحاكم تلك

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 230 .

[2] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص21 .

[3] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص 143 .

[4] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 18 .

[5] . نفسه .

المناطق، بالإضافة لكونه مفوضا من قبل سلطان زنجبار، ولم يكتف بذلك بل عارض بشدة المساعي البلجيكية لتحويل التجارة العربية إلى الساحل الغربي من إفريقيا، كما أنه أعطى الحق لأي تاجر عربي في حوض الكونغو بأن يتصرف فيما لديه من عاج أو أية سلع أخرى من خلال المسالك والمحطات التجارية العربية القديمة ، معتبرا الطريق التجاري الذي يربط منطقة حوض الكونغو بموانئ زنجبار هو المسلك الوحيد والدائم [1].

بدأ حمد المرجبي يجمع العرب حوله للدخول في معركة اقتصادية مع البلجيك بمنع التعامل التجاري معهم، وعسكريا باللجوء إلى السلاح خاصة وأن جون كيرك[2] القنصل البريطاني في زنجبار كان يدفع السلطان برغش إلى توسيع نفوذه في وسط القارة وأوعز إليه بمساندة تيبوتيب والعرب في ستانلي فولز، وكان يهدف إلى استخدام العرب كمخلب قط يوقف به أي تقدم أوربي وسط افريقيا ريثما تحين الفرصة وتهبط انجلترا من السودان إليه محاولا كسب الوقت لذلك [3].

وأمام عدم ثقة البلجيك في الزنوج، لجئوا إلى مهادنة حمد المرجبي والعرب محاولين تفادي الحرب، فقد كانت الإدارة البلجيكية في هيئة الكونغو الحرة في ذلك الوقت تعيش وضعا لا يسمح لها بالدخول في حرب مع التجار العرب أصحاب السيادة في تلك المناطق، فقبلت بالتفاوض معهم، وأبدت استعدادها بالاعتراف بالسيادة العربية على المنطقة الممتدة بين منطقتي بانانا وستانلي فولز وفي نفس الوقت كانت البلجيك تحاول إثارة زعمائهم فيما بينهم لشق صفوفهم وبهذا ساد العلاقات العربية هدوء لفترة عام 1885[4].

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص21 .

[2] . جون كيرك ((John Kirk، 1832) ـ 1922) والذي تم تعيينه قنصلا لبريطانيا في زنجبار عام 1873م ، من أنشط القناصل الإنجليز وأكثرهم تأثيرا كما يعتبر مخطط السياسة الاستعمارية البريطانية في شرق إفريقيا ، جمع بين محاربة الإسلام هناك وإرساء أسس سياسة دولته الاستعمارية ، وقد اعتبره العرب في شرق إفريقيا سلطانا ثانيا في زنجبار نظرا لهيمنته وقوة تأثيره على سلطان زنجبار ، أنظر : سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص 148 .

[3] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 231 .

[4] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 22 .

3 ــ بوادر الصراع الأولى بين العرب والبلجيك .

كان البلجيكيون يهدفون إلى كسب الرأي العام العالمي آنذاك بطريقة تتيح لهم فرصة إزاحة القوة العربية من الكونغو، فقد كان لهم في أوروبا دورا خطيرا من خلال شحذ مشاعر الأوربيين ضد العرب الذين كانوا ملتزمين بما تعاهدوا عليه، إذ كان ليوبولد يجري مناورات مع ألمانيا بقصد إطالة الوقت حتى يتسنى له الوقت ليقوم بتنظيم قواته في الكونغو و يوزع المسئولين على المحطات كلا فيما يناسبه تحت رئاسة السير والعقيد فرانسيس دي وينتون (Francis De Winton) الحاكم العام لهيئة الكونغو الدولية آنذاك[1] .

وفي نفس الوقت استغل البلجيك الإعلام لصالحهم وتم هذا عن طريق النداءات الإنسانية الساعية لتحرير الرقيق وإدخال المدنية والتحضر إلى الكونغو[2]، حيث في شهر ماي من عام 1885م تلقت الجمعية الجغرافية في باريس معلومات عن الكونغو ولكنها كانت متضاربة ساقتها إليها الصحافة البلجيكية تفيد أن العرب غزاة لأقاليم الكونغو العليا وأنهم عصابات تهدد المحطات البلجيكية هناك وتقوم بالإغارة عليها [3] .

وقد لجأت الصحافة هذه إلى الربط بين الوجود العربي في الكونغو وبين الثورة المهدية في السودان واعتبرت حمد المرجبي من أتباعه، فأبرزت صحف انجلترا ثأرا لمقتل غوردون باشا[4] لتكسب تعاطف أوربا ضد العرب، وانتهز البلجيك هذه الفرصة فبذلوا كل الجهد في السيطرة

---

[1] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص 150 .

[2] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 231 .

[3] . علي عبد الظاهر علي ، مرجع سابق ، ص 91 .

[4] . **غوردون باشا** ، هو اللورد تشارلز جورج غوردون (Charles George Gordon، 1833 ـ 1885) كان ضابط جيش وإداري بريطاني يذكر بحملاته في السودان، إذ دخل في خدمة الخديوي عام 1873 بموافقة الحكومة البريطانية وأصبح لاحقا الحاكم العام للسودان حيث قام بقمع الكثير من الثورات ومحاولة محاربة تجارة الرقيق كما كان له دور بارز.. = في إخماد ثورة المهدية بالسودان وكان لغوردون علاقة مميزة مع ملك ليوبولد الثاني الذي دعاه لتولي مسئولية دولة الأورانج الحرة ، أنظر : عبد الله حسين ، **السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2013 ، ص . ص 77 . 80 .

على الوجود العربي والسعي نحو القضاء عليه حتى لا يتصلوا بجيرانهم في الشمال ويؤسسوا إمبراطورية إسلامية في قلب القارة الإفريقية[1].

وحتى الإعلام الأمريكي اشترك في هذه الحملة، إذ أذاع القنصل الأمريكي في زنجبار تقريرا يتضمن أخبارا عن تسيير جيش مسلم من داخل القارة الإفريقية إلى جهة الشمال وإلى الساحل الشرقي ، كما نشرت الصحافة الأمريكية أن محطة ستانلي فولز استهدفت لثورة أخرى أثارتها القوات الإسلامية هناك وأنها نجحت في الاستيلاء على المحطة وقتلت ثلاثة من الأوروبيين [2]، في حين يكذبها أحد الضباط البلجيك والذي عاد إلى بلجيكا وأعلن أن الوضع عادي في محطة ستانلي فولز وأن الهدوء قد ساد العلاقات العربية البلجيكية ، وأن العرب التزموا بأوامر حمد المرجبي وأنه لم يقع أي صدام من أي نوع [3] .

وقد استمرت الأحوال على هذا المنطلق حيث سعت البلجيك جاهدة لتشويه سمعة العرب بأسلوب لا يثير العالم عليها بل ويساعده عليها ما إن استدعت الضرورة لذلك[4] واستمر ليوبولد الثاني بالترتيب لمخطط سري للهجوم على العرب في الكونغو .

وجه ليوبولد الثاني رسالتين إلى قواته في الكونغو متضمنة المخطط السري وفيها يطلب سد النقص في الأطباء والإمدادات والنفقات وأيضا العمل على تجنيد السكان الأصليين لاستخدامهم في مهمة الهجوم على العرب في الكونغو[5]، حيث قام بإعطاء أحد القادة اسمه(تي. فيكرمي ماكينون) صلاحيات كاملة للهجوم على المجتمع العربي بالكونغو[6].

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 232 .

[2] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص 150 .

[3] . وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8523 في 14 ماي 1885م، **رسالة من الملك ليوبولد الثاني تتحدث عن مخطط سري للهجوم على العرب بالكونغو**، المصدر سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري، مرجع سابق، أنظر ملحق الوثائق رقم 5 . ص 168 .

[4] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 233 .

[5] . وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8525 في 16 ماي 1885 ، رسالة من الملك ليوبولد الثاني تحتوي على مخطط سري للهجوم على العرب ، المصدر سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، أنظر ملحق الوثائق رقم 6، ص 169 .

[6] . سعد بن عبد الله الشهري ، مرجع سابق ، ص 151 .

في سنة 1886م بدأت هذه المخططات قيد التنفيذ وذلك عندما تم تعيين الضابط دين (Dean) وهو ضابط إنجليزي الأصل، من قبل العقيد السير فرانسيس دي وينتون لتولي القيادة والسعي للحفاظ على ستانلي فولز بالإضافة إلى مراقبة العرب بحجة جعلهم تحت السيطرة لحماية السكان الأصليين من توسعاتهم [1].

وبتوليه الإدارة بدأت المشاكل بين العرب والبلجيك تبرز للوجود من جديد، إذ حاول إحياء معاهدة عام 1884م التي سبق وأن رأى فيها تيبوتيب والعرب تهديدا لنفوذهم التجاري، كما أنه استغل فرصة استدعاء السلطان برغش لتيبوتيب لمناقشة بعض الأمور في زنجبار وطلب من سيفو بأن يأتيه بكميات العاج الذي يحوزه التجار العرب ليختمه بإسم دولة الكونغو الحرة [2] .

وبصدد ذلك اعتقد التجار العرب بأن البلجيك يريدون مصادرة ما لديهم من عاج، وبالإضافة إلى محاولة دين التدخل في شؤون التجارية للعرب[3]، كما حاول أيضا أن يقوم بالتقليل من سلطتهم واستفزازهم من أجل إثارة الصراع، وقد كانت نيته واضحة إذ ذكر مخططاته تلك في رسالة له أعطاها لمسافر يدعى هربرت إدوارد وصفا معاناته تحت عنوان (خمس سنوات مع أكلة لحوم البشر في الكونغو) والتي تناولت جزءا مما يلي :« ...أنت تعلم كيف أنني أمرت بالتوجه إلى محطة ستانلي فولز العام الماضي 1885 بواسطة العقيد السير فرانسيس دي وينتون المدير العام للكونغو الدولية من أجل تولي القيادة والسعي على الحفاظ عليها من العرب وحماية السكان الأصليين منهم بحيث تكون السلطة للدولة البلجيكية المنشأة ويتم الاعتراف بها بالكامل من قبلهم،... لقد تم وعدي بذخيرة كثيرة وبنادق وتقويمات عدة من الرجال قبل أن يقوم ستانلي برحلته القادمة والتي ستكون في أغسطس، حسنا ... على القوات البلجيكية أن تصل سريعا لأنني وجدت الأوضاع هنا في حالة سيئة للغاية ، إذ يبدوا أن للعرب اليد العليا والسلطة الكاملة بالكونغو يقومون بتخويف السكان الأصليين كما يحلو لهم ، ومع ذلك لم أستطع فعل أي شيء لمنعهم لعدم وجود التعزيزات الملائمة من أجل إثارة الصراع وبالرغم من أن تيبوتيب قد عاد إلى زنجبار إلا أنه ترك القيادة في يد شريكيه بوانا نزيجي وابنه

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, PP 182 .

[2] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 22 .

[3] . نفسه .

راشد بن محمد بن سعيد الذي كان متحكما في الشؤون الإدارية يقوم بإصدار الأوامر كيفما يشاء ... ورأيت أن هؤلاء العرب لا يحبونني ولا يفضلون الطرق التي أقوم بواسطتها تسيير الأمور كما أنه يستوجب علي أن أجعلهم يرضخون لأوامر البلجيك بدون إثارة ضجة ! .»[1].

تتعدد محاولات الضابط دين في تأجيج الصراع مع العرب متذرعا برغبته في حماية السكان الأصليين من سرقاتهم، إلى غاية منتصف جوان 1886 عندما وقعت حادثة أخرى تخص امرأة من السكان الأصليين، وقد اختلفت الروايات حول الأحداث الحقيقية خلف الواقعة.

فالرواية الأولى للضابط الانجليزي دين في رسالته ويذكر أن المرأة اتجهت إلى المعسكر البلجيكي فارة بجلدها من العرب، إذ أن هذه المرأة قد قدمت إلى تيبوتيب تعهدا على الصداقة من قبل والدها وهو رئيس قبيلة واشونغيرا مينو[2]، و تيبوتيب لم يهتم بها فقام بتقديمها لأحد أكثر رجاله العرب تأثيرا، قام هذا الرجل بإساءة معاملتها ما جعلها تتوجه نحو البلجيك طلبا للمساعدة[3] .

وبالرغم من أن المرأة طلبت المساعدة على أساس سوء المعاملة إلا أنه لم تكن توجد أي آثار للضرب أو علامات مشابهة لذلك على جسمها، فذكر دين أنه يستوجب عليها أن تعود إلى زوجها العربي حيث لم يكن لديه الحق في التدخل ما لم تكن هناك علامات على سوء المعاملة [4]، إلا أنه يوجد شك حول ما إن كان بالفعل قام دين بإعادة المرأة .

أما الرواية الثانية فتذكر أنه ومن أجل الاستفزاز العرب عمل البلجيك على استمالة النساء إليهم فحاول دين جذب إحدى النساء إليه وكانت زوجة أحد كبار تجار العرب بينما حاول الآخرون إغراء بعض النساء للهرب من أزواجهن، الأمر الذي آثار حفيظة العرب وحلفائهم الأفارقة، الذين حملوا السلاح ضد الضابط دين في محطة ستانلي فولز[5] .

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, PP 182 - 183.

[2] . قبيلة واشونغيرا مينو ، أحد القبائل الموجودة في الجهة الغربية من دولة الكونغو الحرة بالقرب من منطقة باكاسونغو وتعني كلمة واشونغيرا قبيلة الأسنان وهي أحد القبائل أكلة لحوم البشر ، أنظر : Ibid , P 184 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 183.

[4] . Idem .

[5] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 22 .

إذ تعددت الأسباب المؤدية إلى الصراع فإلى جانب حادثة المرأة كانت هناك قضية العاج الذي طلب دين سابقا من سيفو إعطائه إياه لدمغه باسم هيئة الكونغو الحرة فرفض سيفو[1]، وتجمعت من الدوافع ما يكفي لاندلاع صراع فهاجم العرب على محطة ستانلي فولز برفقة عدد غفير من زنوج المانييما وقام دين بإرسال خطاب إلى البلجيك التي سرعان ما قامت بدعمه عبر تعزيزات عديدة على ظهر باخرة ستانلي بقيادة ديبيس(DUBIS)، فتقدمت القوات البلجيكية نحو محطة نيانغوي مجتازة روافد الكونغو دافعة العرب من خط نهري إلى خط نهري آخر لتحدث المواجهة في لوبيفو ولوالابا [2] .

دارت المعارك بين الطرفين، نجح العرب في إلحاق الهزيمة بالقوات البلجيكية وأجبروهم على الهرب وترك المحطة بعد أن توفي الضابط ديبيس خلال عملية هروبه من العرب، وفر دين إلى داخل الغابات المحاذية لنهر الكونغو، وانتهت الحرب عبر استعادة العرب لمحطة ستانلي فولز من البلجيك [3].

كان من الطبيعي أن تؤدي هذه الحادثة إلى توتر في العلاقات العربية البلجيكية في الكونغو حيث تقلصت ممتلكات ليوبولد الثاني إثر المعركة وإدراكا منه لخطورة الموقف لجأ الأخير إلى تهدئة الأوضاع بينه وبين العرب وذلك بالتفاوض مع حمد المرجبي ممثل سلطان زنجبار وصاحب السلطة العليا في المنطقة من خلال تقديمه للعرض البلجيكي [4].

[1] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 19 .

[2] . هايند سيدي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص 12 .

[3] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 23 .

[4] . نفسه.

- **ثانيا : تولي حمد المرجبي الحكم في هيئة الكونغو الحرة والتطورات التي واكبته.**

1 . العرض البلجيكي لحمد بن محمد المرجبي (1887) .

لقد كان تعيين الضابط الإنجليزي دين من أبرز النقاط التي ساعدت في تحويل مسار العلاقات البلجيكية العربية نظرا لسياسته الاستفزازية التعسفية، حيث ظل دين متمسكا بمعاهدة 1884م وعمل على الحد من سلطة العرب على الكونغو والاستيلاء على العاج الموجود لديهم، فتمكن بذلك من تفجير الوضع وتأجيج الصراع الذي انتهى بسيطرة العرب على المحطة ستانلي فولز الذي تأكد دين من إحراقها وعدم ترك أي دليل يذكر فيها [1] .

تمكن سيفو الذي قاد الجيش من إلقاء القبض على الضابط دين خلال عملية فرار الأخير وقام بتسلمه إلى قائد الجيش راشد بن محمد الذي حكم عليه بالجلد والحبس لمدة عامين لولا وصول حمد المرجبي حال دون تنفيذ الحكم إلا أنه وبالرغم من تدخله لم يتمكن من إيقاف تطور العلاقات البلجيكية العربية نحو الأسوأ[2]، وهذا إنّ دل على شيء فإنما يدل على قوة النفوذ العربي في المنطقة [3].

وكان هذا الإجراء من قبل سيف المرجبي ومن معه من قادة العرب قد ضاعف من حالة الكراهية التي كان البلجيكي يسعون لنيلها، وفي ظل سيطرة العرب على محطة ستانلي فولز انخفضت سلطة البلجيك في هيئة الكونغو الدولية، فعمل ملك ليوبولد الثاني على استعادة نفوذ البلجيك وذلك عبر إرسال ستانلي إلى زنجبار في بعثة ظاهرها إنقاذ أمين باشا أما باطنها فكان إخلاء الأجواء وإبعاد تيبوتيب عن الكونغو واستقطابه الحاكم ذو السلطة العليا في الكونغو وفي نفس الوقت العمل لفرض سيطرته على المنطقة واستعادة أراضيه التي وقعت في يد العرب[4].

ولم يكن موقف ليوبولد هذا إلا نتيجة للنصر الذي شهده العرب وضعف و خوف القوات البلجيكية، فاعتقد ليوبولد من أن تكون انجلترا وراء حمد المرجبي لتستخدمه مخلب قط ضده في الكونغو من أجل تضييع عليه فرصه تملكه للكونغو الحرة خصوصا بعد ما أصابه من عسر

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, PP 185 .

[2] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 14 .

[3] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 23 .

[4] . نفسه .

مالي نتيجة إنفاقه فيها هذا ما جعله يلجأ إلى مهادنة العرب مرة أخرى بل والحرص على حمد المرجبي أن يكون حاكما من قبله على منطقة ستانلي فولز وقائدا للعرب الذين استطوفوا تلك المناطق ومنفذا لسياسته في الكونغو الحرة وكان ذلك عام 1887 [1] .

ولم تكن هذه المحاولة الأولى لإبعاد تيبوتيب عن الساحة فقد سبقتها محاولات أخرى إذ في عام 1879 أبلغ حمد المرجبي من قبل مبعوثي السلطان برغش بن سعيد بالعودة إلى زنجبار لأنه مطالب بمبلغ كبير من المال كان متراكما عليه منذ عشر سنوات، وقد اضطر بالفعل للعودة إلى زنجبار في عام 1882م وفيما يبدوا أن ذلك كان تخطيطا من قبل القنصل البريطاني العام في زنجبار السير جون كيرك، لكي يتيح لحملة ليوبولد فرصة الاستيلاء على الكونغو [2].

وكان السيد برغش آنذاك يريد أن يعين حمد المرجبي واليا من قبله إلا أنه لم يكن من السهل على حمد أن يترك سلطته وقوته فقد كان بالفعل سلطانا كبيرا على مانييما بالرغم من كونه مخلصا لسلطنة زنجبار ما جعله يرفض تولي منصب الوالي[3]، إذ كان وضع المرجبي في مانييما أعظم بكثير جدا مما يعرضه عليه السيد برغش، بل كان وضع تيبوتيب في شرق الكونغو أعظم وأكثر استقلالية من وضع السلطان برغش نفسه [4] .

وبدأ حمد المرجبي فعلا يعد العدة للرحيل إلى دائرة نفوذه في الكونغو في الوقت الذي بدأت بعض القوات التي أرسلها الملك ليوبولد الثاني تحاول استعادة مكانة دولة الكونغو الحرة هناك ، وبالتالي يمكننا تحديد المواقف من خلال النقاط التالية :

1 / ـ موقف السيد برغش سلطان زنجبار من الدول الأجنبية :

بدأت القوى الاستعمارية أول الأمر تتسابق للتسلط على الساحل وتقسيمه إلى مناطق نفوذ كإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وبالتي أنفسح المجال أمام الدول الاستعمارية لاجتياح القارة واقتسام

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 232 .

[2] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 249 .

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 145 .

[4] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق 154 .

مناطقها فيما بينها ومما تجدر الإشارة إليه أن تأثير سلطنة زنجبار الحضاري الذي كان ممتدا إلى غاية المنطقة الاستوائية قد ضعف[1] .بذلك أن الأوروبيين أثروا على أفكار سلطان زنجبار بأن يعتمد عليهم في مشروعاته على الساحل، كما أخافوه من وصول المصريين واستيلائهم على مصادر الثروة في بلاده، ثم ظهرت الأطماع الألمانية عام 1884م، وذلك أن بسمارك [2] كان لا يشجع ألمانيا على الاستعمار، في الوقت الذي شجع فيه الدول الأوربية على ذلك صرفا لجهودها في الخارج ليخلو له الوضع داخل أوروبا[3].

وهكذا بدأ التغلغل الأوربي في وسط القارة الإفريقية والتسابق على ذلك متخذين من زنجبار مسلكا فنجدهم بعد ذلك يستولون على أجزاء منها بالقوة هذا ما جعل السلطنة تتعرض للانهيار والتفكك من قبل هذه القوى الاستعمارية [4] ، وبالتالي لم يعد السلطان ظهيرا يعتمد عليه العرب في الداخل إذا ما استمروا في معاداة وقتال البلجيك [5].

خلال رحلة حمد المرجبي عام 1886م ، وصلته رسالة من السلطان برغش يتجنبه للمجيء إليه في الحال فلبى حمد رغبته وبمجرد وصوله إلى زنجبار تم استقباله من قبل السيد برغش ، خلال هذه الفترة أدرك حمد المرجبي نفوذ الأوربي الذي استمر بالاتساع والضغط الممارس على المناطق الساحلية الخاضعة لبرغش كذلك تسلح ألمانيا وانجلترا [6] .

وهكذا لم يكن لدى السلطان برغش أي طموح سوى للاحتفاظ بما تبقى من مملكته جزيرة زنجبار نفسها، فأنهى السيد برغش حديثه مع حمد المرجبي بقوله(حامد، لا تغضب مني، لا أريد أن تكون لي أي علاقة بالبر الرئيسي فالأوروبيون يريدون أخذ زنجبار مني، لذا كيف

---

[1] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 239 .

[2] . **أوتو فون بسمارك** ، (1 أفريل 1815 ـ 30 جويلية 1898م) ، مؤسس الإمبراطورية الألمانية وأول مستشار فيها، وهو من عائلة بروسية نبيلة محافظة، درس القانون في جامعة غوتنجن GOTTINGRN ثم في جامعة برلين، و في عام 1862 أصبح سفيرا لبلاده في فرنسا وعمل مستشارا لبروسيا ثم ألمانيا ، تمكن خلالها من توسيع رقعة بروسيا وتحقيق الوحدة الألمانية ووضع الأسس التي استندت عليها سياسة ألمانية الخارجية حتى عام 1914م، أنظر: علي صدام صحن الساعدي، مرجع سابق، ص 17 .

[3] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق 154 .

[4] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 240 .

[5] . نفسه ، ص 250 .

[6] . Heinrich Brode, Op Cit, PP 181 - 182 .

يمكنني أن أحافظ على البر الرئيسي؟ مسرورون هؤلاء الذين لم يعيشوا لرؤية الوضع الحالي لشؤوننا، أنت غريب هنا لكنك استطعت أن ترى كيفية سير الأمور) [1].

ومن هنا تأكد حمد المرجبي أن سلطان زنجبار قد تخلى عنه مدركا تفكك السلطنة وعدم فعالية الاعتماد عليها لتأكيد نفوذه في الداخل [2].

2 / ـ موقف البلجيك :

لقد كان للبلجيك موقفا مغايرا في دولتهم الجديدة في الكونغو ، فالملك ليوبولد الثاني وقع في أزمة مالية عام 1885م ، جعلته يقلل من إنفاقه على بعض المناطق وإلا تركها ، مما أضعف مركزه الذي ظهر في معركة ستانلي فولز [3].

3 / ـ موقف الأوروبي :

لجأ الأوربيون إلى تسليح الإفريقيين الوطنيين في الكونغو ضد العرب منتهزين التهمة التقليدية وهي صيد الرقيق والاتجار فيه ، مما كان سببا في تغيير موازين القوى أثناء المعارك بين العرب والبلجيك فيما بعد [4] .

وكانت حادثة ستانلي فولز قد جذبت حكومة الكونغو إلى صراع فاشل في أعالي الكونغو من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية ، كما أقلت العرب فيها إصرارا وعنادا ومقدرة على تسيير الأمور معتمدين على أنفسهم وسطوتهم دون الحاجة إلى مساعدة السلطان ، وأحسوا بأن تناسي الأحقاد بين رؤسائهم سلاح مهم أفادهم ضد الأوربيين ، وعطل عمل حكومة الكونغو الحرة هناك ، بالإضافة إلى الأزمة المالية للملك ليوبولد مما جعله يعدل عن كثير من طموحاته كضم مديرية خط الاستواء وبحر الغزال [5] .

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, PP 183 .

[2] . جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص 250 .

[3] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص 155 .

[4] . نفسه .

[5] . نفسه ، ص 157 .

ومع وصول بعثة إنقاذ أمين باشا إلى زنجبار بقيادة ستانلي في 22 فيفري 1887م استغل الملك ليوبولد هذه البعثة لصالحه [1] .

حيث استقبلت البعثة من طرف برغش إذ كان آنذاك حمد المرجبي موجودا في زنجبار، فقام ستانلي بزيارة حمد في مقر إقامته من أجل إقناعه بالمشاركة في البعثة حيث حرص على أن يكون تيبوتيب على رأس هذه الحملة نظرا للمكانة التي يتمتع بها في الأوساط الإفريقية[2] .

وقد أعطى الملك ليوبولد موافقته لتعبر بعثة إنقاذ أمين باشا دولة الكونغو، ووضع إلا أن العائق الوحيد الذي كان يواجه البعثة هو الطريق الذي تكسله الذي يشمل نهر أرويمي والكونغو لغاية الوصول إلى بحيرة ألبرت، فبعد المعركة التي دارت بين العرب والبلجيك، أصبح العرب يتعاملون مع أي أوروبي كعدو هذا ما جعل ستانلي يحاول التقرب من تيبوتيب لكونه زعيم العرب وسيستطيع تجنيبهم محاربة العرب[3] .

كانت الحكومة البريطانية منشغلة بما يحدث في الكونغو، كما كانت القنصلية البريطانية في زنجبار تراقب تطور العلاقات العربية البلجيكية باهتمام بالغ، إذ قدم هولموود ـ وهو القائم بمقام القنصل البريطاني جون كيرك ـ تقريرا في 3 مارس عام 1887 إلى روبرت سيسل رئيس الوزراء البريطاني في لندن عن مفاوضات حمد المرجبي و المستكشف هنري ستانلي التي كانت قد دارت منذ 24 فيفري عام 1887م، والتي طلب فيها من حمد المرجبي إرسال بعض من رجاله الموثوق فيهم إلى الكونغو لإزالة ما في نفوس العرب هناك من البلجيك [4] .

غادر ستانلي إنجلترا في وقت مبكر من عام 1887م، حيث اتجه نحو مصر ليتفاوض مع الحكومة، فاستطاع مقابلة الخديوي توفيق ورئيس الوزراء نوبار باشا، أين أمر الخديوي بتسليمه مبلغ عشرة ألاف جنيه تبرعت به الحكومة المصرية من أجل حملة إنقاذ أمين باشا، ووافق

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 23 .

[2] . نفسه ، ص 24 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 194 .

[4] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص 157 .

الخديوي على إلحاق مائة جندي من السودان بالحملة مع تسليمه فرمانا لتوصيله إلى أمين باشا[1] .

وحتى يتم ضمان موافقة تيبوتيب على الاتفاق طلب ستانلي من القنصل البريطاني في زنجبار ممارسة الضغط عليه من خلال غرس أفكار عديدة على حمد المرجبي، وأفهمه بأن البلجيك سيدخلون الكونغو لا محالة، ونصحه بعدم معارضتهم لأنهم لا يريدون غير الاتجار، وأنه سوف يُسمح له بممارسة تجارته في حرية [2] ، ومن اجل إقناعه بالقبول أخبره القنصل أن انجلترا ستقدم له كل شيء يطلبه، وفي حالة رفض حمد المرجبي للعرض فسوف يمنع من السفر لأن انجلترا تعهدت بمساعدة البلجيك[3] .

وفي اللقاء الذي دار بين ستانلي والمرجبي في مبنى القنصلية البريطانية، أوضح له مدى حرص الملك ليوبولد الثاني على العيش في سلام مع العرب، كما أصر على تقديم هدايا لهم متمثلة في قذائف كروب[4]، كما بيَّن له أن إصرار العرب على إزالة الوجود البلجيكي من الكونغو سوف يفسح المجال للأطماع الفرنسية في المنطقة، وفي الوقت نفسه ذكر له أن حادثة ستانلي فولز أو المساقط لن تؤثر على علاقة التجار العرب بدولة الكونغو الحرة [5] .

وبعد يومين من المحادثات توصل الطرفان إلى اتفاق تعيين مستر هنري مورتون ستانلي بالنيابة عن ملك البلجيك وعاهل ولاية الكونغو حمد بن محمد المرجبي المعروف بتيبوتيب واليا من قبل ولاية الكونغو المستقلة على إقليم شلالات ستانلي بمرتب شهري قدره 30 جنيها ، يُدفع لوكيله في زنجبار وفق الشروط التالية :

أولا : يُرفع علم ولاية الكونغو على المحطات في شلالات ستانلي [6] ، وأن يوطد سلطة الدولة على نهر الكونغو وفروعه بالإضافة إلى منع العرب وغيرهم من ممارسة تجارة الرقيق.

---

[1] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، مرجع سابق ، ص 158 .

[2] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 14 .

[3] . جرجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، ج1 ، مصدر سابق ، ص 222 .

[4] . Heinrich Brode, Op Cit, 196 .

[5] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 25 .

[6] . وثيقة من أرشيف وزارة الخارجية البلجيكية DT29 W37 تمثل شعار دولة حمد المرجبي في ظل دولة الكونغو الحرة ، المصدر مركز الدراسات العمانية ، جامعة السلطان قابوس ، أنظر لملحق الوثائق رقم 7، ص 170 .

ثانيا: تنصب دولة الكونغو ضابطا مقيما في ولاية الكونغو وهو الضابط البلجيكي هانوس (Hanwes) مستشارا لحمد المرجبي وظيفته تتمثل في تقديم تقارير منتظمة إلى ملك بلجيكا ليوبولد الثاني، كما يعمل هذا الأخير سكرتيرا لكل مراسلات تيبوتيب مع الحاكم العام.

ثالثا : يتمتع حمد المرجبي بالحرية الكاملة في ممارسة تجارته المشروعة كما يمكنه إرسال قوافله حيثما يشاء .

رابعا : يتولى حمد المرجبي توفير ستمائة حمال لنقل العاج الذي بحوزة أمين باشا [1].

كما تعهدت حكومة بلجيكا رسميا بمشورة جلالة الملكة البريطانية على أن تمنح حمد المرجبي لقب صاحب السمو دوق الكونغو (Duke of Congo)، مع الذكر بأن الإدارة البلجيكية وعدت بدفع الراتب لحمد المرجبي حتى بعد مماته لورثته[2] .

طلب حمد المرجبي قبل الموافقة على الاتفاق مشورة السيد برغش، إلَّا أن القنصل البريطاني هولموود رفض ذلك لكون حمد هو سلطان المانييما وليس على السيد برغش سلطة عليه، وبالتالي تمت كتابة هذا الاتفاق وقرأه هولموود على حمد المرجبي، بعد ذلك أخذ حمد الاتفاقية إلى السيد برغش وأملى عليه كل ما دار في ذلك الاجتماع، وذكر له المبلغ الذي قرر ب ثلاثون جنيها شهريا ومدى ضعفه، إلا أن السيد برغش نصحه بالموافقة بالرغم من ضعف الراتب[3] .

كان ذلك الجانب السياسي للمعاهدة التي كان لابد من تسويتها من أجل توفير الأساس الثاني والمتمثل في الجانب التجاري الذي حمل باطنه أكثر بكثير من ظاهره، وكان هذا الجانب يتمثل في تزويد حمد المرجبي لستانلي بالحمالين بالإضافة إلى تأمينه الحماية على طول الطريق الذي ستسلكه سفينة مادورا [4] .

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 26 .

[2] . محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي، **صفحة جديدة من تاريخ الفتوحات العربية لأوساط إفريقيا المظلمة**، ، جريدة *الفلق*، مج 9 العدد 520، السنة 10، 31 ديسمبر 1938م .

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 161 .

[4] . Heinrich Brode, Op Cit, P 197.

إذ كان من المفترض أن يكون بحوزة أمين باشا 75 طنا من العاج الذي تقدر قيمته بحوالي 10000 جنيه إسترليني فكان على حمد المرجبي أن يقوم بتوفير الحمالين اللازمين من أجل نقل هذا العاج إلى الساحل، وبالتالي كان يستلزم عليه أن يغطي معظم تكلفة البعثة. وبعد مدة تم الوصول إلى اتفاقية تنص على وجوب تقديم تيبوتيب حوالي 600 حمال وكان سيحصل مقابل كل حمال على 6 جنيهات إسترلينية مقابل الرحلة من ستانلي فولز إلى بحيرة ألبرت، كما تعهد حمد المرجبي على تأمين ستة وتسعين حمال مجانا للمرور إلى الكونغو بما في ذلك من أتعاب [1] .

وبعد زيارة وداع للسلطان، انطلقت السفينة في 25 من فيفري 1887م محملة بالعديد من الهدايا بالإضافة إلى نقل عبيد حمد المرجبي وتم السماح له بذلك بالرغم من تشديد انجلترا في حملة محاربة الرقيق كما أصر القنصل البريطاني على ضرورة الإسراع بمغادرة البعثة وذلك لحدوث اشتباكات بين العرب والبلجيك في الكونغو، وكان من نتائجها إخراج الأوربيين من البلد وعمل العرب هناك على التنكيل بالبلجيك مما جعل الإنجليز يعجلون من سفر حمد المرجبي[2].

لقد كانت آفاق الرحلة إلى النهر غير مواتية بالرغم من التجهيز الذي شهدته، إذ أن طريق الرحلة المار من المنطقة الممتدة من نهر أوريمي إلى بحيرة ألبرت يشمل على الغابات الاستوائية، بالإضافة إلى سوء التغذية رجال القافلة، و هجوم العديد من القبائل كما كان عليهم في بعض الأحيان السير على الأقدام ما جعل عدد رجال البعثة يتضاءل تدريجيا ليصل إلى النصف [3] .

لما وصلت الحملة إلى ستانلي فولز عن طريق نهر الكونغو وجدت الأوضاع غير مواتية تماما حيث قاتم الضابط دين بإحراق المحطة حتى يوهموهم بأن العرب هم من قاموا بذلك، كما وجد بوانا نزيجي و ابنه راشد قائد القوات العربية يمارسان سلطة واسعة ويتدخلان في شؤون المنطقة ما أثار حفيظة البلجيك [4] .

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 198.

[2] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 15 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 200.

[4] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 15 .

وبوصول حمد المرجبي هدأت الأوضاع حيث استطاع أن يسيطر على الحكم في المنطقة التي كانت سابقا مملكته بإسم هيئة الكونغو الحرة وصار الحاكم المطلق التصرف[1]، واستعان به الملك ليوبولد الثاني من أجل مد نفوذه نحو نهر النيل متظاهرا برغبته الملحة في إنقاذ أمين باشا، ولما كان ليوبولد يفتقد الرجال والعتاد استغل المرجبي ومن معه من العرب لتحقيق أغراضه، إلا أن تيبوتيب سرعان ما انسحب من التنفيذ وطلب شروطا جديدة على حكومة الكونغو، تلك الشروط التي رفضتها حكومة الكونغو الحرة وبذلك فشلت حملة الإنقاذ لأنها لم تتمكن من تحقيق أهدافها [2] .

ولم تتوقف محاولات الملك ليوبولد الثاني لاستغلال العرب في شرق الكونغو لصالحه، فأراد أن يؤسس بمعونة العرب مراكز على بحيرات نياسا وتنجانيقا وفيكتوريا وألبرت، كما أراد إغراء حمد المرجبي فجعل من حقه تعيين مندوبي الحكومة في هذه المراكز، رغم أنه كان من حق المرجبي أن يعين عربا بهذه المناصب[3] .

ورغم انتقادات التي وجهها بعض المؤرخين عن كيفية قبول رجل كحمد المرجبي بسلطته العالية العمل لصالح دولة الكونغو الحرة في وسط القارة وهو مدرك جيدا أن هذه الدولة هي مصدر خطر يهدد الوجود العربي في الكونغو [4] .

لكننا يمكن أن نقول أن عملية إيقاع حمد المرجبي قد أحكمت خيوطها بالفعل بدقة متناهية من قبل الأوروبيين، وأنه كانت بالفعل توجد اتصالات بين القنصل البريطاني في زنجبار السيد جون كيرك صاحب النفوذ القوي وبين الملك البلجيكي ليوبولد الثاني تقتضي بضرورة تواجد حمد المرجبي في زنجبار عشية مرور ستانلي بها، ولتحقيق هذه الغاية لابد وأن يستدعى السلطان برغش ممثله في الكونغو بالإضافة إلى ذلك كان حضور المرجبي إلى العاصمة ضروريا لكي يُفسح المجال لدولة الكونغو الحرة لبسط نفوذها على المنطقة. وبما ستانلي تربطه علاقات قوية بالمرجبي فقد سبق وأن رافقه في معظم رحلاته فكان الرجل الأمثل

---

[1] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 16 .

[2] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري، مرجع سابق ، ص 160 .

[3] . نفسه ، ص 161 .

[4] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 25 .

الذي يمكنه التأثير عليه، وقد ساعدت الظروف ستانلي في هذه المهمة، إذ عندما وصل تيبوتيب وجد أن معظم ممتلكات السلطنة العربية في الساحل قد صارت تحت النفوذ الألماني والبريطاني، وأن السلطان صار ضعيفا إلى الحد الذي جعل حمد المرجبي يبدي ارتياحه للاتفاق الذي عرضه ستانلي عليه بالرغم من أن ذلك سيؤدي إلى تحجيم مناطق نفوذه في البر الإفريقي [1].

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 26 .

2 . الأوضاع السياسية والاقتصادية في الكونغو في ظل حكم حمد المرجبي والبلجيك.

بتولي حمد المرجبي منصب الحاكم العام في الكونغو الدولية استطاع الملك ليوبولد الثاني أن ينجح في مسعاه، إذ لم تعد حكومة الكونغو الحرة بحاجة لاتخاذ أي إجراءات ضد العرب الذين استولوا على محطة ستانلي فولز، وبهذا الإجراء تمكن من وضع المنطقة تحت النفوذ البلجيكي، وكان على حمد المرجبي رفع علم دولة الكونغو الحرة بدلا من علم سلطنة زنجبار الأحمر بالإضافة إلى الدفاع عن منطقة الشلالات وحفظ الأمن فيها والأهم من كل ذلك أنه صار من ضمن واجبات الحاكم العربي محاربة تجارة الرقيق[1] .

بالرغم من أن هذا الوضع لم يتقبله الموظفون من الأوروبيين بدعوى أن حمد المرجبي كان تاجرا للعبيد وأنه سيستفيد من مركزه من تقوية موقف العرب[2]، إلا أن اعتراضاتهم لم تلق صدا لها، فتعيين حمد المرجبي أعاد بالنفع للبلجيك و سرع من عملية بسط نفوذهم فاستفادوا من سياسته في إنشاء الكثير من الأعمال العمرانية كمد السكك الحديدية وتمهيد الطرق وإتباع نظام دقيق للنقل النهري[3]، كما استغلوا سلطة حمد المرجبي على المنطقة والتي شملت شمل زعماء القبائل الإفريقية الذين أعلنوا ولاءهم وانضمامهم إليه وبالتالي خضوعهم لدولة الكونغو الحرة [4] .

أما بالنسبة للعرب فقد تغيرت مواقفهم واختلف ولائهم منذ معرفتهم بتعيين الملك ليوبولد الثاني حمد المرجبي كحاكم على مقاطعاته، حيث نجح بفضل هذا العرض في شق الصف العربي في كل الكونغو فيما بينهم، وقد كانت ذلك بداية نهاية المقاومة العربية في وجه البلجيكيين إذ فقد كل مسئول عن مقاطعته الثقة بغيره وبدأ يعتمد على نفسه فقط في سبيل الدفاع عن وجوده[5]، فالبعض منهم جارى حمد المرجبي في سياسته الجديدة المستسلمة للوجود

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 26 .

[2] . الشاطر بصيلي عبد الجليل ، مرجع سابق ، ص 15 .

[3] . رأفت غنيمي الشيخ ، مرجع سابق ، ص 69 .

[4] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 27 .

[5] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 564 .

البلجيكي بالرغم من رفضهم لفكرة الرضوخ للأوروبيين[1]، أما الآخرون الآخر عارضها بينما بقي قسم آخر على الحياد وكأن الأمور لا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد [2] .

وعندما أراد حمد المرجبي أن يختبر صدق نوايا دولة الكونغو الحرة ، طلب مددا عسكريا لتنفيذ هذه الأمور دعم مركزه أمام المعارضة، لكن دولة الكونغو لم أخذت تناور أكثر من عام كان خلاله يلح في الطلب، وفي نفس الوقت بدأ العرب يجتمعون من اجل إحراج حمد المرجبي ليعود كما كان [3] .

وكاد هذا الغليان أن يؤدي إلى انفجار، لولا نقص موارد دولة الكونغو الحرة وهو ما جعل بلجيكا تهادن العرب كسبا للوقت، بل وصل الأمر إلى بالكونغو الحرة أن طلبت من العرب ترك المنطقة الواقعة بين نهري أرويمي واللومامي، فرفض العرب ذلك[4] .

أما بالنسبة للاتفاقية التي نصت على أن يقتصر نشاط العرب على منطقة جنوبي ستانلي فولز فقد ظلوا يمارسون نشاطهم واشترك حمد المرجبي معهم داخل نطاق أراضي دولة الكونغو الحرة ذاتها، بل أظهر حمد المرجبي تمردا واضحا على ما ورد بالمعاهدة وأرسل قوافله إلى كل مكان لدرجة أن سلطان زنجبار بدأ يتنفس الصعداء على الساحل استنادا على قوى التحالف العربي في الكونغو ضد القوى البلجيكية [5] .

أما من الناحية الاقتصادية فقد كان هناك تعارض بين التجار العرب والقوى البلجيكية، الأمر الذي أنبأ بصراع اقتصادي و الموقف كان ينذر بصدام مسلح خاصة وأن العرب في الكونغو كانت تهمهم الناحية التجارية أكثر من السياسية، فلطالما أرضاهم الموقف التجاري،[6] .

وكان للإنجليز دور في هذا الصراع، إذ أخذ عرب الكونغو على عاتقهم التوغل في الأراضي الإفريقية صعودا نحو البحيرات الكبرى، ومثل هذا الانتشار في الأراضي الوعرة بين

---

[1] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 166 .

[2] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 564 .

[3] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري، مرجع سابق ، ص 162 .

[4] . نفسه ، ص 163 .

[5] . نفسه ، ص 165 .

[6] . سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري، مرجع سابق ، ص166 .

القبائل العدائية يتطلب دوما سلاحا كافيا وبالتالي مجازفة العرب هذه حازت على اهتمام إنجلترا التي كانت تهتم بتجارة العاج والأرباح الطائلة التي تدر منه [1] .

فلم تجد القنصلية البريطانية في زنجبار مانعا من الإشراف على كافة طلبات الأسلحة التي كان يتقدم بها العرب وتحت إشراف بعض موظفيها كان يجري التوقيع على كافة العقود المتعلقة بشراء الأسلحة وفي بعض الأحيان كان السفير بنفسه يشرف على بعض من هذه الاتفاقيات [2] .

وكانت الأسلحة المنتشرة آنذاك بين عرب الكونغو هي البندقية القداحة أو بندقية الفتيل، لكن حدث في ذلك الوقت أن نزل إلى السوق سلاح جديد مطور قوامه الرصاص الصلب بدل البارود، وعندما تنامي إلى سمع العرب وجود سلاح متطور وسريع لا يخطئ لم يتوانوا فن الإسراع في تقديم طلباتهم للحصول عليه مهما بلغ الثمن لاسيما بعدما علموا أن جنود الملك ليوبولد الثاني يستعملون هذا السلاح[3] .

فقد كان الصراع قادم وسياسة ليوبولد الثاني كانت تعمل على ذلك فقد كان يكسب الوقت لصالحه في ظل توريده للسلاح و تجنيده للأفارقة عن طريق تشكيل جيش من الصبية بأعمار متفاوتة لتعزيز القوات البلجيكية في المستقبل والملاحظ أن هؤلاء الصبية مدعوون بالبنجالا [4] كان ولاءهم الوحيد لدولة الكونغو الحرة فقط [5] .

وكان القنصل جون كيرك الملحق بالسفارة البريطانية هو المشرف على تجارة الأسلحة، فكان يستطيع أن يقوم بتأمين مثل تلك الأسلحة، وعلى عكس ما سبق واعتاد عليه العرب في

---

[1] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 565 .

[2] . نفسه ، ص 565 .

[3] . نفسه .

[4] . **البنجالا** ، يطلق عليهم أيضا صبيان الكرو Boy Kru ويتميزون بخفة سرعتهم في استعمال الأسلحة كما أنهم يجيدون استخدام المراكب البخارية ويعتبرون من أبرز الزنوج وذلك لتعدد مهاراتهم فهم صيادون وبحارون في آن واحد وهم أيضا من آكلي اللحوم ، كانت البلجيك تستعملهم كجنود خلال حملاتها التوسعية في الكونغو وحربها ضد العرب وتمكن فائدتهم أيضا في تخلصهم من القتلى الأمر الذي يؤدي بدوره إلى تفادي انتشار عدد كبير من الأمراض والأوبئة ، هايند سيدي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص 45 .

[5] . المصدر نفسه ، ص 50 .

معاملاتهم التجارية فقد كان جون كيرك يفي بوعوده في الأوقات المحددة ضمن الفترات المعقولة إلا أنه في هذه المرة أخذ يماطل في تسليم العرب و بدفعات مسبقة وبسيطة من هذا السلاح الجديد بالرغم تسديد العرب لتلك التكاليف سلفا[1] .

فخلاصة الأمر أن البريطانيين كانوا يخشون من أن يحدث التقاء إسلامي ويتم التلاحم بينهم وتستمر الحركة المهدية بفضل التقاء مسلمي السودان بمسلمي الكونغو ولاسيما أن الثورة المهدية في جنوب السودان كانت قد كلفت الانجليز مبالغ باهظة في العتاد وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح [2]، وهو سبب للمساعدات التي قدمها ملك البلجيك لبريطانيا لاسيما في بحر الغزال من اجل وضع حد للثورة المهدية، كما كان لليوبولد الثاني نظرة توسعية في منطقة بحر الغزال وضمها لمملكته في الكونغو وهذا ما أدى إلى عقد اتفاقية بين الطرفين البلجيكي البريطاني نصت على عدة بنود من أهمها ما يلي :

أولا : انسحاب جيوش ليوبولد الثاني إلى ما وراء الحدود السودانية المتعارف عليها دوليا مقابل تخلي بريطانيا على مساحات كبيرة من زامبيا مستعمرتها الحديثة [3] .

ثانيا : على السفارة البريطانية في زنجبار أن تمتنع منعا باتا وشاملا ليس فقط على بيع الأسلحة لعرب الكونغو بل على القيام أيضا بمراقبة شديدة وحازمة لكل ما يتعلق بتجارة السلاح في تلك المناطق حتى لا يتسنى للعرب التزود به من مصادر أخرى [4] .

هذا ما جعل القنصل جون كيرك يبرر عدم تطبيقه للعقد المتعلق بالسلاح، كما كانت بلجيكا تقوي دفاعاتها في المناطق التي استولت عليها من حوض الكونغو مما مكنه من مد نفوذه نحو هضبة البحيرات الاستوائية والمناطق المتاخمة لها في جنوب السودان الشرقي ليُفسح المجال لهم لبلوغ منابع النيل مستغلة الوجود العربي في المنطقة قبل إنهائه[5] .

هذا ما جعل ممثل دولة الكونغو الحرة جيروم بيكر(Jerom Becker) يسعى لعرض اتفاق يتضمن ثلاثة نقاط تتمثل فيما يلي :

---

[1] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 566 .

[2] . المرجع نفسه .

[3] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 566 .

[4] . نفسه ، ص 567 .

[5] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 27 .

أولا: ينشئ ثلاث محطات في منطقة بحر الغزال يرفع فيها علم الكونغو الحرة.
ثانيا : يؤسس العرب مركزا لصالح دولة الكونغو فوق أراضي أعالي النيل إذا أمكن ذلك .
ثالثا : يحصل المرجبي على خمسين ألف فرنك على كل مركز أو محطة يتم إنشاؤها [1] .

وقد أدرك حمد المرجبي هدف السياسة البلجيكية من وراء هذا العرض فرفضه متذرعا بتباطؤ حكومة الكونغو الحرة في الاستجابة لمطالبه المتعلقة بتقديم السلاح والأموال لحماية الأراضي تحت نفوذه، ومنذ هذا العام بدأت دولة الكونغو الحرة تتخذ منهجا آخر مغايرا في طريقة تعاملها مع العرب، خصوصا بعدما توصل ليوبولد الثاني إلى اتفاق مع شركة شرق افريقيا البريطانية سمح لها بالحصول على منفذ على النيل مقابل تنازلها على شريط بمحاذاة بحيرة تنجانيقا، ما مكنها من الوصول إلى أعالي النيل دون الحاجة للعرب[2] .

وضحت هذه الإستراتيجية غاية البلجيك وأدرك العرب أن السلطة البلجيكية في دولة الكونغو حالما تستمد قوتها ستحاول القضاء على نفوذهم وقد زادت من مخاوفهم حين عمدت حكومة الكونغو الدولية إلى تحويل التجارة الإفريقية إلى غرب القارة مما ترتب عليه إضعاف مركز حمد المرجبي وأتباعه من العرب الذين كانوا يعتمدون على صلتهم في الساحل لترويج البضائع التي تعتبر مصدر ثروتهم والتي ترتكز عليها قوتهم، خصوصا بعد منع تجارة الرق ما جعلهم يشعرون بالتهديد[3] .

وبذلك أخذت مظاهر العداء بين الطرفتين تتخذ مسارات محددة وبدأ البلجيكيون في إقامة معسكرات محصنة على أنهر أرويمي واللومامي والسنكورو، و بدؤوا يدفعون المراكز الأمامية للعرب إلى الخلف، وعملوا على احتلال البلاد لمنع أي تجاوزات أخرى، بينما العرب صمموا على أخذ المبادرة الأولى لتحقيق التحالفات مع أكبر عدد من زعماء القبائل المحلية كأتباع حمد المرجبي أمثال لوبونجو وجونجو لوتيته[4] .

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 27 .
[2] . نفسه .
[3] . شوقي الجمل وآخرون ، مرجع سابق ، ص 156 .
[4] . هايند سيدي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص 20 .

3 ـ موقف السكان الأصليين من بوادر الخلاف العربي البلجيكي .

قوبل العرب في الكونغو بتأييد سكانها وعدد كبير من زعماء القبائل الإفريقية، حيث أنهم لم ينظروا إلى العرب على أنهم أجانب أو مستعمرون، ووجدوا أن الحضارة الإسلامية التي كانت قائمة مقبولة، بل وكانوا يؤمنون بها ويدافعون عنها، فلم يعتبر الكونغوليين الوجود العربي استعمارا أو تجار رق كما وصفتهم الكتابات الأوروبية بل موجة إنسانية اختلطت بهم على أرضهم ودمائهم[1].

فبمجيء العرب شهدت المجتمعات الكونغولية ازدهارا وتطورا في مختلف المجالات لدرجة أن أسلم بعضا من زعمائهم وصاروا أصدقاء للعرب مثل بانيا و موتومبو ولوبنجو آنذاك وحاكوا رفقة العرب تخطيطا لمدنهم وعمارتهم [2].

فمن خلال العرب نشأ مجتمع جديد ذا هوية إسلامية كونغولية، فقد تمكن الزنوج من اعتلاء أعلى المناصب الإدارية التي وضعها تيبوتيب، وتمكنوا من حكم المدن تحت إشراف حمد المرجبي .

وكان نجونجو أفضل مثال على ذلك، فارتقائه من مجرَّد عبد إلى والي منطقة كابيندا وبعض المناطق المجاورة لها[3]، وسمح بإعطاء نظرة للعلاقة العرب بالزنوج ولطريقة حكم حمد المرجبي، فقد كان هو وغيره من الزعماء الأفارقة يكنون الولاء والاحترام لتيبوتيب فتلك الأسس التي بنا عليه تيبوتيب دولته ساد الاطمئنان في نفوس زعماء القبائل الكونغولية [4] .

ولم يتغير نمط العلاقة بينهما إلا بعد دخول الأوروبيون إلى الكونغو بدءا ببعثات ستانلي الاستكشافية الذي عقد اتفاقيات سلمية مع زعماء القبائل الإفريقية لصالح لملك بلجيكا[5].

وكانت بلجيكا تسعى إلى تجنيد الوطنيين في جيشها لمواجهة العرب والقبائل الوطنية الموالية لهم، فقد جندت عدد كبيرا منهم عام 1890م، إذ كان يجمعهم بطريقة صيد الرقيق التي

---

[1] . سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 170 .

[2] . يواقيم رزق مرقص ، ص 235 .

[3] . M. Coosemans, Op Cit, p 427.

[4] . Idem .

[5] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 27 .

اتخذت البلجيك على عاتقها محاربتها ، وفعلا تمكن البلجيك بحلول عام 1890م من جمع جند كبير من الوطنين من أعالي الكونغو بطريقة صيد الرقيق ما جعل البرلمان يثور ضد ملك ليوبولد الثاني، فعاد ووعد بمنح الوطنيون الذين يتقدمون تلقائيا إلى مناطق التجنيد 90 فرنكا للرجل الذي يصل طوله 135سم64 فرنكا للشبان من نفس الطول و 15 فرنكا للأطفال الأكثر من مائة وعشرين سنتمترا، وبهذا الجيش استطاع ليوبولد الثاني أن يبسط نفوذه على مساحات شاسعة من الكونغو التي كانت تحت سيطرة العرب وبعدما استتب الأمر للبلجيكيين، ثاروا ضد الوطنيون أنفسهم ففر كثير منهم إلى المناطق المجاورة للكونغو وقل عددهم حتى وصل إلى حوالي 8,5 مليون نسمة بعدما كان 40 مليون فيما بين عامي 1879 ـ 1882م [1] .

لقد انتهجت بلجيكا سياسيتين في معاملاتها مع القبائل الإفريقية، الأولى تمثلت في الدعاية المغرضة وهي تشويه صورة العرب في نظرهم من خلال تصويرهم كتجار الرقيق متهمين تيبوتيب وغيره في إحداث تمزق اجتماعي اقتصادي في البلاد، أما الثانية فتقوم على الترغيب من خلال تقديم بعض الهدايا إلى زعماء المنطقة والمتمثلة في الأقمشة الحريرية وبعض زجاجات الخمر وغيرها [2] .

وبواسطة هذه السياسة تمكنت بلجيكا من عقد أكثر من 450 اتفاقية مع الرؤساء الأفارقة تنازلوا لها فيها عن حقوقهم لصالح الجمعية الدولية في الكونغو وأعلنوا عن ولائهم للبلجيك[3] . و بذلك استطاعت بلجيكا استمالة أكثر أتباع حمد المرجبي ولاءا وإخلاصا وهو نجونجو لوتيته والذي اعتبر بمثابة اليد اليمنى له والقائد المطلق على أبناء جنسه والصلة الرابطة بين حمد المرجبي والقبائل الموالية له فكانت تحت طاعته، حيث تركه حمد المرجبي واليا على منطقة كابيندا وأوصى ابنه سيفو خيرا به لكن سيف لم يكن على اتفاق معه ولم تكن العلاقة بين الاثنين سيئة منذ البداية بل حسنة إلى أن شعر سيف بأن نجونجو يكاد أن يستقل عنه فنصح

[1] . سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 172 .

[2] . علي صدام صحن الساعدي ، مرجع سابق ، ص 12 .

[3] . شليغم عبير ، مرجع سابق، ص 18 .

سيفو والده بوضع حد لمدى السلطة التي يتمتع بها نجونجو مخافة من انقلابه عليهم في يوم ما إلا أن حمد المرجبي لم ينصت إليه [1] .

وكان نجونجو آنذاك يمارس سيطرته على كل من لوبونجو على الضفة اليسرى لنهر اللومامي ويشترك في حكم منطقة سانكورو مع سيف[2]، وقد كان نجونجو رجلا محبا للعظمة أراد أن يستأصل لنفسه بالملك محاولا التوسع إلى الناحية الغربية العائدة لسيف بن حمد المرجبي فاتفق مع أتباعه على نزع الملك لحكام منطقة غربي اللومامي بأي وسيلة فطلب منهم شينعدو وهو صولجان الملك وخاتمه [3]، فاستغرب الملك من هذا الطلب وأخبره أنه من له الحق بمثل هذا الأمر هو فقط سيف بن حمد المرجبي فما كان من نجونجو إلا أنه قام بضربه بالرمح وأرداه قتيلا وفي الحال هجم على المنطقة وأحاط أتباع نجونجو المكان، وبعد عدة أيام وصل خبر لسيف الذي أمر حالا بالهجوم على المدينة وتقييد نجونجو لكن الأخير فر هاربا إلى غاية وصوله إلى حدود الكونغو الفرنسية [4] .

وقد اصطدم نجونجو أثناء فراره وحملاته التوسعية بالقوات البلجيكية فهزم على يد الضابط دانيس[5] حينها أدرك مدى القوة التي تحوزها البلجيك ما جعله يحاول تغيير الجبهات بالتأثير على كبار القواد البلجيك بضرورة الحرب ضد العرب[6] .

فقد أدت هذه الحملة السريعة إلى إقناع بعض السكان الأصليين بتفوق القوات البلجيكية وعدم جدوى المقاومة الطويلة فبعد هزيمة نجونجو من قبل دانيس أدرك أنه لن يستطيع الصمود

---

[1] . محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي، **صفحة مجيدة من تاريخ الفتوحات العربية لأواسط افريقيا المظلمة**، الج3، جريدة الفلق، الع 521، السنة 10، 12 جويلية 1939م.

[2] . M. Coosemans, Op Cit, p 428 .

[3] . شينعدو والخاتم يمثلان سلطة الملك ونفوذه في أرض الكونغو وتسليمهم ينص على تسليم الحكم والسلطة، أنظر : محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي ، مرجع سابق .

[4] . محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي، **صفحة مجيدة** ، الج5، جريدة الفلق، الع 520، السنة 10، 21 جويلية 1939 .

[5] . **فرانسيس دانيس** ، ضابط عسكري أمريكي بالتجنس خدم الملك ليوبولد الثاني في الكونغو منذ عام 1884م تحت قيادة كابت روجي في ضاحية أرويمي حتى عام 1889م ثم في ضاحية كوانجو عام 1890م ، وقد كان صغيرا في السن عندما أوكلت إليه القيادة في لوسامبو بواسطة الكابتن بول في 1892م ، انظر سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 170 .

[6] . هايند سيدي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص 61 .

لفترة أطول ضد دولة الكونغو الحرة وبالإضافة إلى ذلك لم يدفع له العرب مقابل العاج الذي أرسله إليهم فقرر نجونجو حينها تغيير موقفه والانضمام إلى القوات البلجيكية[1] .

وبالفعل تمكن نجونجو من أن يعقد اتفاقية مع فرانسوا دانيس في 18 من أوت 1891 نصت على تركه للعرب نهائيا بالإضافة إلى طلب الإذن في حالة ما إذا أراد مغادرة مقاطعته كذلك أن يمد القوات البلجيكية بالمعلومات وهكذا استطاع أن ينظم للقوات البلجيكية حيث عمل نجونجو هو الآخر على استمالة دانيس له من خلال تقديم الهدايا والاستقبال الحفيف الذي أغدقه به، وتم عقد الصلح بين الطرفين ليتمرد نجونجو على العرب [2] .

وبفضل خيانة نجونجو وتقديمه لمعلومات حول الجيش العربي وقواده تمكن من عقد اتفاقية مع البلجيك واستطاع حتى أن يحثهم على مهاجمة العرب فهجمت القوات البلجيكية في نواحي بانانا وكان النصر حليفهم أينما كانوا والإمدادات تصلهم باستمرار من البرتغاليين عكس العرب الذين أصبحوا يعانون من نقص في الأسلحة ، فتوغل البلجيك إلى داخل الكونغو عابرين المناطق العربية وهجموا كل الفصائل الصغيرة المرابطة في المدن إلى أن التفوا بجيوش العرب[3].

وعندما علم سيف بن حمد المرجبي بانضمام نجونجو لوتيته لجأ إلى سياسة كشف نوايا جونجو السيئة أمام سادته الجدد لعلهم ينقضوه عنهم ويعود إلى قبضته مرة أخرى كما ظن أن نجونجو لم يقم سوى بمناورة لعمل عسكري جديد فلم يعتقد العرب أن الطفل الذي تربى في أكنافهم قد يقوم بغدرهم أما بالنسبة لجمد المرجبي فقد اعتبر هذه الأحداق هي عملية اختطاف لأحد رجاله بمعرفة دولة الكونغو الحرة التي كان بجلها وعمل معها هو وابنه من بعده ، وأعلن عن أسفه لما وقع لكن دولة الكونغو الحرة استمرت في تأليب نجونجو ضد العرب إلى أن دارت المعارك الرهيبة بين القوات البلجيكية والعربية فيما بعد [4] .

---

[1] . M. Coosemans, Op Cit, p 428 .

[2] . هايند سيدي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص . ص 72 . 73 .

[3] . محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي، ***صفحة مجيدة*** ، الج5، مرجع سابق .

[4] . سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 172 .

وبالرغم من انضمام نجونجو إلى الصفوف البلجيكية وغيره من الزعماء الأفارقة إلا أنه شعر بالذنب إثر ذلك بسبب معاملة حمد المرجبي الحسنة له إضافة إلى شك نجونجو في نوايا البلجيك هذا ما جعله يطلب يحاول الاتصال بسيف مستسلما إلا أن وما فيه ما أراده لم يكن استسلاما بل الرجوع إلى القوات العربية وقد شك بعض العرب في نواياه[1]، إلا انه في ذلك الوقت وصلت الأنباء إلى القوات البلجيكية فأقيمت محاكمة ميدانية سجن على إثرها نجونجو متهما بالخيانة والتآمر لقتل الضابط دانيس هذا ما جعل نجونجو يقتل ويحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص [2] .

وحالما علم أتباع نجونجو بما حدث ثاروا ضد البلجيك ما جعل القوات البلجيكية تقمع مقاومتهم وتم تقديمهم إلى آكلي اللحوم في قرية وامبي ، هذا ما دفع ابن نجونجو لوبونجو إلى الانضمام إلى العرب في محاولة منه للانتقام من البلجيك [3] .

لقد احتل نجونجو لوتيته مركزا محوريا في تشكيل مسيرة الأحداث اللاحقة فلقد أدى فشل الهجوم الذي قاده نجونجو ضد العرب وهروبه اللاحق إلى القوات البلجيكية لاستثارة الغزو العربي بأعلى مداه بقيادة سيف بن حمد المرجبي وهو ما فتح الباب أمام الصراع العربي البلجيكي ونهاية العرب وفيما لو قيض لمحاولة العرب النجاح لتأسست إمبراطورية إسلامية مشابهة لدولة الخليفة في السودان لكن الظروف تجمعت ضد العرب وفي محاولتهم لطمس المعالم البلجيكية من الكونغو عجلوا بسقوطهم [4] .

---

[1] . محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي، **صفحة مجيدة** ، الج3، مرجع سابق .

[2] . هايند سيدي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص 158 .

[3] . المصدر نفسه .

[4] . المصدر نفسه ، ص 20 .

- **ثالثا : الصراع المسلح بين الاستعمار البلجيكي وعرب الكونغو والنتائج المترتبة عنه .**

1 ـ الأسباب المؤدية للصراع العربي البلجيكي .

1: الأسباب السياسية .

لقد كان قبول حمد المرجبي العرض الذي قدمته الحكومة البلجيكية العامل الأول الذي ما عمل على بث بذور التفرقة بين القوات العربية واختلال شؤون الحكم، إذ اعتقد بعض وجهاء العرب أمثال سعيد بن عبيد ومحمد بن خلفان أن مشاركة حمد المرجبي في الإدارة البلجيكية ماهي إلا وسيلة لتحقيق بعض المآرب الشخصية واعتبر تصرف حمد المرجبي خذلانا للعرب في الكونغو ما جعل بعضا منهم يسعى لتأجيج ثورة ضد البلجيك في المنطقة ويسعى للقضاء على الرجل الأبيض الأوروبي [1] .

واستغلت البلجيك الانشقاق الحادث بين العرب الذي سعى حمد المرجبي لإخماده وأخذت تتوسع في منطقة حوض الكونغو، وبدأت البلجيك تقوم بإنشاء محطات محصنة تخوم المنطقة العربية، فأنشئت محطة باسوكو بالقرب من مقاطعة ستانلي فولز وأنشأت محطة أخرى عند لوسامبو في الجنوب مباشرة[2].

و هذا ما جعل حمد المرجبي يسعى الى استثمار المواقف لصالحه وبدأ بتنظيم صفوفه وترسيخ الوجود العربي في أعالي حوض الكونغو حيث قام ببناء الحصون على أكبر مساحة امتد إليها النفوذ العرب كما تمكن من جمع العرب حوله وإخماد الحركات الساعية للانشقاق عنه [3]، كما أخذ حمد المرجبي يقوم بتعيين ممثلين عنه في بعض المناطق دون العودة إلى حكومة الكونغو، فشعر البلجيك أن المرجبي يطالب بحقوق السيادة على هذه المناطق [4].

وبذلك أصبح التوفيق بين الوجود العربي والوجود البلجيكي في الكونغو أمرا صعبا من الناحية السياسية، لأنه وضح للعرب أن كل توسع وسيادة على الوطنيين سيكون على حساب

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 31 .

[2] . المرجع نفسه ، ص 32 .

[3] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 32 .

[4] . سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 180 .

أملاكهم ووجودهم، وأصبحوا ينظرون إلى كل مركز أو محطة تنشأ أو نظام ضرائبي يوضع،على أنه ضربة جديدة لوجودهم وضياعا لسيطرتهم حتى أصبح القتال بين الطرفين شيئا لابد منه [1] .

2. الأسباب الاجتماعية الدينية .

لطالما ربط التواجد العربي في الكونغو بنشاط الحركة المهدية في السودان فقد كان الملك ليوبولد الثاني يخشى الاتصال بين الطرفين وتأثر حمد المرجبي بالمهدية [2]، لاسيما في منطقة كيسانغاني القريبة من الحدود فعملت الدول الأوروبية على زرع منطقة بروتستانتية داخل حدود الكونغو تكون فاصلة بين الحركة المهدية والمقاومة العربية وقد قصد من وراء صنعها جعلها منطقة عازلة يكون سكانها من أشد أعداء الإسلام سواء من المحافظين البروتستانت أو من الوثنيين العدائيين[3]. ونتيجة لهذه السياسة نشأت حركة متعصبة للإسلام داخل تلك المنطقة والمناطق المجاورة لها، أما الملك ليوبولد الثاني فبعد اتفاقه مع البروتستانتية البريطانية عمل على تصعيد لهجته من خلال فتحه لأبواب الكونغو أمام لافيجيري [4] .

ولم تكن سياسة ليوبولد ملك البلجيك تحوز على رضا الأب لافيجيري لاسيما عندما علم بإبرام ليوبولد الثاني اتفاقا مع حمد المرجبي المسلم ما جعله في غضب مستعر فسعى لهز المشاعر المسيحية عبر البعثات التبشيرية في حوض الكونغو وقد حث المسحيين على التبرع أو على الاكتتاب في حملات عسكرية هجومية هدفها طرد مسلمين العرب من الكونغو ومن قلب افريقيا الاستوائية[5]، فرفع لافيجيري شعارات تدعم حملته التبشيرية من ادعائه لتحرير الزنوج من الضعف والاستكانة بعد أن رزحوا سنين متواصلة تحت نير تجار الرقيق الذين بلا رحمة أو شفقة [6] .

---

[1] . سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 181 .

[2] . رأفت غنيمي الشيخ ، مرجع سابق ، ص 70 .

[3] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 596 .

[4] . نفسه ، ص 597 .

[5] . نفسه .

[6] . Demetrius.C.Boulger, Op Cit, Pp 93 – 94.

ولم يكن الملك ليوبولد الثاني مباليا بنوع المذهب المنشر جراء الحملات التبشيرية مادام يساعده على تثبيت سلطته في الكونغو فوافق على بدء حملة مناهضة العبودية في عام 1888م وتم عقد مؤتمر بروكسل الثاني(1889 ـ 1890) لهذا الصدد، ونتيجة لهذه الجهود المبذولة تمكن الكاردينال لافيجيري من تحقيق مساعيه في الكونغو[1] .

وبهذا بدأ الكاردينال لافيجيري حملته وقام بإرسال بعثته الأولى المؤلفة من المتطوعين المسحيين الاشتراك في الحرب المقدسة بالكونغو والتي كانت بقيادة الكولونيل جاك أما الجند الثانية فقد كانت بقيادة ديكاب ، ولم يكن هاجس هذه الحملات التبشير المسيحي بل حربا دينية ضد الإسلام تسعى لدحر العرب وتعمل على جعل الكونغو للبلجيك فقط لا منازع ولا شريك في حكمها [2] .

3. الأسباب الاقتصادية .

كان الصدام بين العرب والبلجيك في الناحية الاقتصادية أكثر وضوحا لأن القوات الاستعمارية البلجيكية قد تظاهرت بإدخال التجارة المشروعة بدلا من تجارة الرقيق وكذلك لفتح الحضارة بين الوطنيين لكنهم كانوا يسعون إلى استعمار تلك المناطق وإزاحة العرب منها، كذلك تشويه سمعتهم في أوروبا، وبما أن هدف العرب هو جمع العاج فإن ذلك العاج هو الذي أدخلهم مع البلجيك في صراع اقتصادي لا يقل عن ذلك الصراع السياسي خصوصا بعد أن سعوا لوضع أيديهم على مصادره في وسط إفريقيا، وإزاء هذا لجأ الأوربيون إلى محاولة جذب الوطنيين كموردين لهذه السلعة إلى صفوفهم [3] .

كما نجح الملك ليوبولد الثاني في الحصول على تأييد دولي من أجل منع تسريب الأسلحة والبارود إلى أيدي العرب، وقد سعت كل من ألمانيا وبريطانيا لمساندته في مسعاه [4] الأمر الذي

---

[1] Demetrius.C.Boulger, Op Cit, P 100 .

[2] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 568 .

[3] . سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 181 .

[4] . عدنان حداد ، مرجع سابق ، ص 565 .

أثار غيض حمد المرجبي وأتباعه من العرب نتيجة لمماطلات القنصلية البريطانية في زنجبار وتشديد المراقبة في موانئ شرق إفريقيا على الأسلحة [1] .

كما شكلت مسألة الحصول على الغذاء في منطقة باسوكو وستانلي فولز عنصرا مهما في تأجيج هذه العداوة ، حيث قامت بلجيكا بإثارة الرأي العام في الكونغو ضد العرب، حيث أذاعوا أن هناك تنافسا على الموارد الغذائية بين الأوروبيين والعرب في منطقة باسوكو وستانلي فولز وهي مناطق تنتمي لنفوذ حمد المرجبي واتهموا العرب بتحريض الوطنيين على عدم تقديم الغذاء لهم مما جعل حالهم يسوء بمضي الوقت [2]. فقد ذكر روجيت(Rojet) وهو ضابط بلجيكي وقائد منطقة باسوكو، أن العرب منعوا السكان المحليين من بيع الغذاء للأوروبيين، ما جعل موقفهم صعبا للغاية [3]. وأمام الوضع الجديد ألزم على الوطنيين أن يزيدوا من إنتاجهم بما يكفي حاجتهم وحاجة العرب الأوروبيين جميعا وكان ذلك مستحيلا، ويشهد أحد الضباط البلجيك بأن الأوروبيين هم الذين استعملوا القسوة معهم للحصول على الموارد الغذائية لأن الوطنيين لم يرضوا أن يقدموا لهم تلك الموارد [4] .

وبهذا اقتضت المصالح الاقتصادية في حوض الكونغو على عدم اجتماع العرب والبلجيك في آن واحد، فقد دخل التجار العرب في صراع اقتصادي عنيف مع دولة الكونغو عندما حاولت الأخيرة وضع يدها على المصادر الرئيسية للثروات في المنطقة، كما أنها عملت جاهدة على استمالة السكان المحليين للحصول على ما لديهم من عاج عن طريق مقايضتهم بالبنادق والبارود وبذلك أصبحت بلجيكا المحتكر الأول لهذه التجارة [5] .

---

[1] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 33 .

[2] . سعد الشهري، مرجع سابق ، ص 181 .

[3] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 33 .

[4] . سعد الشهري ، مرجع سابق ، ص 182 .

[5] . الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 36 .

أما الأمر الأخطر من ذلك هو أن البلجيك عمدت إلى تحويل مسار تجارة العاج من شرق القارة الإفريقية إلى غربها للحيلولة بين العرب وبين الساحل الشرقي الذي كانت فيه المراكز الرئيسية لتسويق بضائعهم[1].

بدأت تغلب خلال هذه الفترة الميول الاستعمارية للبلجيك ودخل ميدان أكثر خطورة متمثل في نزع ملكية الأرض من الوطنيين أنفسهم وليس من العرب فقط إذ حملت قرارات مؤتمر برلين العديد من التأويلات واللوائح أهمها تلك التي نصت على أن كل أرض فضاء تعتبر ملكا للدولة الحرة وبهذا اعتبرت البلجيك أن كل الأراضي بما في ذلك من غابات وسهول بما يزرع فيها والأحواض وروافد الأنهار كلها ملك للدولة ولم يبقى بإمكان السكان الأصليين سوى جمع تلك المحاصيل وتسليمها لموظفي الدولة وحتى الجمع كان بتصريح محدد من الدولة فاشتمل هذا على المطاط وزيت النخيل وثمار الغابات وحيواناتها[2].

كما بدأ وكيل الملك ليوبولد الثاني بحلول عام 1891م بالعمل على تنفيذ تلك القرارات، فاستولى على الضرائب بادئا بالقوافل العربية والإفريقية متحججا بكون الوطنيين هم الذين جمعوا هذه الضرائب لحسابهم دون علمه على أساس أنها ضريبة المرور في أراضيهم وهذا أدى بالعلاقات العربية البلجيكية إلى قمة السوء و منها بدأت صدامات فرعية دامية [3] .

[1] . شوقي جمل وآخرون ، مرجع سابق ، ص 156 .

[2] . سعد الشهري ، مرجع سابق ، ص 183 .

[3] . نفسه ، ص 184 .

2 . الاتهامات الأوروبية ضد حمد المرجبي وخروجه من الكونغو .

إن تعيين حمد المرجبي كحاكم عام على دولة الكونغو الحرة لم يأتي بالثمر المطلوب وبدأت التداعيات لهذا القرار تأتي واحدة تلو الأخرى فقد توجس منه الانجليز خفية وأرادوا أن يقضوا عليه وفي نفس الوقت سعى البلجيك لتخلص منه وبهذا بدأت تتكدس الحيل وتصنع المكائد من أجل إبعاد حمد المرجبي عن الكونغو[1] .

حيث تعود تفاصيل خروج حمد المرجبي إلى أوت 1888م لما بدأت مضايقات ستانلي له عندما دعاه لعقد اجتماع طارئ لم يرغب حمد المرجبي في حضوره فأرسل ابن أخيه سالم بن محمد للتشاور معه، ولم يوضح ما ستانلي مراده إلا أنه طالبه بأن يتكلف بكل الخسائر التي تعرضت لها بعثة أمين باشا فيستبدل البضائع التي فقدت وإن لم يفعل سيلجأ إلى سلطان زنجبار والقنصل العام البريطاني[2] .

ومع ذلك رفض حمد المرجبي كل التهديدات الموجهة إليه والترهيب الذي مارسه ستانلي عليه وبقي في محطته يمارس تجارته التي صارت مزدهرة خصوصا بالاستيطان الذي عرفته ستانلي فولز وأثمرت تجارة العاج فكانت الموانئ مليئة بالعاج المتجه إلى أوروبا ولم يكن مقتصرا على البلجيك فقط بل كذلك انجلترا وفرنسا فأخذت ستانلي فولز مكانة الساحل وعرفت المنطقة أوج ازدهارها هذا ما جعل حمد المرجبي لا يضع تهديد ستانلي على محمل جد مركزا فقط على تجارته [3] .

وقد استمر الحال إلى ما هو عليه متشبثا ستانلي بتهديداته التي لم تجدي نفعا ما جعله يسعى لضغط على حمد المرجبي مستغلا اهتمامه الشديد بالتجارة فعمل على جعل الوكيل العام للملك ليوبولد الثاني في الكونغو يقوم برفع ضريبة العاج 4 ، حيث ذكر المرجبي أن هيئة الكونغو الدولية طالبت العرب بدفع 5 جنيهات على كل فرسيلة من العاج أي بنسبة 14% وافق حمد المرجبي على دفع الضريبة فقط على العاج الخاص به غير راضي على أن يدفع

---

[1] . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص 230 .

[2] . Heinrich Brode , Op Cit, P 210 .

[3] . Ibid , P 212 .

[4] . Heinrich Brode , Op Cit, P 213 .

بقية العرب الضريبة على ما هي عليه مقابل أن يدفع بقية العرب ما يعادل 3 جنيهات فقط فوافقت الحكومة على ذلك [1] .

استمرت استفزازات ستانلي والبلجيك المحاولة لإبعاد حمد المرجبي إلى غاية مغادرته نهائيا الكونغو في عام 1890م ، وذلك بعدما تلقى تلغراما من قبل سلطان زنجبار تم تحذيره فيه بطريقة غير سارة للعودة إلى زنجبار إذ ابلغه ملك بلجيكا ليوبولد الثاني أن اتهامات خطيرة قد وجهت إليه من قبل ستانلي وأنه قد يكون مذنبا في وفاة الرائد بارتلوت كما أنه قام بالإخلال بالواجبات التي كانت مفروضة عليه في اتفاقه مع ستانلي وتسبب بأضرار كثيرة التي كانت سببا في فشل بعثة إنقاذ أمين باشا وقد استشهد ستانلي أمام المحكمة البريطانية في زنجبار بدعوى قضائية كبيرة ستلاحقه في المستقبل وبالتالي جميع أملاكه تم بالفعل حجزها لوكيله تاريا توبان ومن المحتمل أن تصله إستدعاءات قانونية قريبا[2] .

وقد كان الرائد بارتلوت ضابطا مميزا شارك في البعثة التي تولت مهمة إنقاذ أمين باشا حيث كان المسئول عن البعثة من بعد ستانلي، إذ اعتقدت إنجلترا و بلجيكا أن لتيبوتيب علاقة بمقتله ولم يظهر أي دليل يؤكد صحة اتهامات ستانلي [3] ، وقد اختلفت الروايات التي تتحدث حول هذه الواقعة من إدانة ستانلي ومجريات الأحداث التي رواها حمد المرجبي .

حيث يذكر اللمكي حقيقة مقتل الرائد بارتلوت أنه تعدى على جارية لزعيم قبيلة من القبائل الإفريقية المدعو بسنغي والذي كان حمالا مشاركا في البعثة، فغضب سنغي وقتل الرائد برصاصة، وقد عقد حمد المرجبي محاكمة لسنغي حيث تم استجوابه، ما إن كان هناك أحد خلفه دفعه لقتل الرائد بارتلوت ولما تأكَّد من عدم وجود دافع لسنغي حكم عليه بالموت لكن ستانلي رفض هذا الحكم وأبى أن يدفع مبلغ الأربعمائة ألف الذي اتفق بدفعها لحمد المرجبي إثر توفيره الحمالين فما كان من حمد إلا أن يرفع دعوى مدنية ضد ستانلي [4] .

---

[1] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 170 .

[2] . Heinrich Brode, Op Cit, P 216 .

[3] . Demetrius.C.Boulger , Op Cit , P 36 .

[4] . محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي، **صفحة جديدة من تاريخ الفتوحات العربية لأوساط إفريقيا المظلمة**، ج 10، *جريدة الفلق* ، الع 529 ، السنة 10، 4 مارس 1939م .

وقد حاول ستانلي سرد الواقعة بطريقة أثارت الشكوك حول تورط تيبوتيب في مقتل الرائد، حيث زعم أن البعثة خرجت من زنجبار ووصلت إلى ميناء بنانا عند مصب نهر الكونغو من الساحل الغربي للقارة الإفريقية حيث عسكرت في منطقة يامبويا البعثة منتظرة وصول حمالي تيبوتيب إلا أنهم تأخروا في الوقت الذي قتل فيه الرائد بارتلوت وهو ما يثير الشكوك حسبه حول تورط تيبوتيب في العملية، فاعتبر الملك ليوبولد أن مقتل الرائد هو خرق الاتفاقية التي بين حمد المرجبي و البلجيكيين[1] ، بينما حمد المرجبي كان واثقا من براءته، حيث رأى أن عدم احترام الضابط بارتلوت لعادات القبائل الإفريقية هو ما أدى لمقتله، وبالرغم من أن حمد المرجبي قام بمعاقبة المتسبب في مقتل الرائد وإعدامه إلا أن ذلك لم يكن كافيا لإسقاط التهم عنه ما دفع حمد المرجبي إلى مغادرة الكونغو متوجها نحو زنجبار بالرغم من اعتراضات التي تلقاها من قبل أتباعه[2].

لقد حاول أتباع حمد المرجبي من العرب والقبائل الإفريقية أن يجعلوا حمد المرجبي يتراجع عن رحلة الساحل، وفي كل مدينة مر بها من نيانغوي إلى كاسونجو سعى أهلها لثنيه نصحوه بترك ممتلكاته في زنجبار، فلديه من الثروة ما يكفيه للعيش بشكل مريح في الكونغو لكن تيبوتيب رفض بحكمة إذ كان بريئا من كل تلك الاتهامات وسعى لإثبات براءته وإذ لم يذهب لن يكون بمأمن من انتقام الأوروبيين حتى في الكونغو [3].

قرر تيبوتيب بعدها السفر على الفور إلى زنجبار من أجل الدفاع عن نفسه ضد الاتهامات الموجهة ضده، وفي مارس 1890م بدأ رحلته بعد أخذه إجازة ووضع راشد في قيادة الجيش أما بوانا نزيجي فوضع في مكانه حاكما على ستانلي فولز ريثما يعود ابنه سيف من زيارته لزنجبار كما ترك اثنين من العرب لتولي أمور تجارته خلال غيابه [4] .

وصلت في تلك الأثناء لأحمد المرجبي أخبارا من طرف مصباح بن نجم والي لمنطقة تابع لروماليزا تفيد بأن محمد بن خلفان ينوي الهجوم ضد أحد الضباط البلجيكيين و هو الكابتن

---

[1] . Demetrius.C.Boulger, Op Cit, P 37.

[2] . Heinrich Brode, Op Cit, P 217 .

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 175 .

[4] . Heinrich Brode, Op Cit, P 218 .

جاكوز(Jacobs of St. Gudule)[1]، ويعود سبب هذا الهجوم هو إرسال بلجيكا حملة استكشافية مكافحة للرق في غرب تنجانيقا تحت إشراف الكاردينال لافيجيري فشعر تجار العرب في غرب تنجانيقا بتهديد مصالحهم وبازدياد التدخلات الأوروبية في شؤونهم [2] .

وكان روماليزا من أكثر معارضين للوجود الأوروبي في إفريقيا فلم يستطع أن يصرف النظر عن هذا الاستفزاز ما جعله يسعى للهجوم وحينما انتقلت هذه الأخبار إلى مسامع حمد المرجبي أمر بقوة الامتناع عن جميع الأعمال العدائية ضد الأوروبيين ، فأدرك حينها حمد أن لهجته الشديدة لن تأتي بأي نفع فقد تمرد روماليزا بالفعل على أوامره والاستعدادات للقتال قائمة وبالرغم من سعي حمد المرجبي إلى تجنب النضال الذي كان من شأنه أن يضر بمصالح العرب إلا أن سياسته لم تعد تجدي نفعا خصوصا في ظل الاستفزازات الأوروبية المستمرة ضدهم [3] .

واصل حمد المرجبي سيره نحو زنجبار باتجاه الشرق عابرا أوجيجي ثم وصل تابورة أين وجد العديد من الرسائل من أقاربه تنبئه بخطورة العودة إلى الساحل في ظل هذه الظروف، كما وجد رسالة أخرى من القاضي البريطاني كراكنيل (Cracknel) والتي تنص على رفع ستانلي لمبلغ يقارب 90000 دولار تعويضا للأضرار اللاحقة بحملة أمين باشا وحذر القاضي كراكنيل حمد المرجبي على تسليم جميع أملاكه إلى سميث مكانزي [4] التي كانت آنذاك بحيازة تاريا وكيله تاريا توبان إذا لم يصل في مدة أقصاها ستة أشهر [5] .

كما وصلته أيضا رسالة من قبل أمين باشا إذ وحينما انتقل إلى مسامع الأخير ما يحدث لحمد المرجبي أبى إلا وأن يصدر إعلانا عام ينص على عدم وجود أي علاقة تربطه بالدعوى

---

[1] . Demetrius.C.Boulger, Op Cit, P 103.

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص . ص 173 . 175 .

[3] . نفسه ، ص 176 .

[4] . **سميث مكانزي** ، شركة تجارية بريطانية متنامية تسعى لخدمة وتمثيل المصالح التجارية البريطانية في زنجبار وعلى ساحل شرق إفريقيا ، وقد أسست عام 1871 من قبل سميث ماكينزي وشركائه حيث كانت هذه الشركة توفر العديد من الخدمات إلى جانب اهتمامها بالتجارة كتقديم منح وخدمة البريد وغيرها ، للمزيد أنظر :

Jones S. (1986) A British Merchant Partnership in East Africa: **Smith, Mackenzie & Co., 1877–1939. In: Two Centuries of Overseas Trading**. Studies in Business History. Palgrave Macmillan, London .

[5] . Heinrich Brode, Op Cit, P 220.

القضائية التي رفعها ستانلي بل على عكس ذلك فقد افترق مع حمالي المرجبي في ظروف حسنة إذ رافقوه إلى السواحل بأفضل شروط ممكنة ، وقد حرص أمين باشا على إرسال هذا الإعلان مطبوعا إلى جميع العرب في زنجبار بالإضافة إلى وثيقة مماثلة لحمد المرجبي [1] ، فقد شكره على عدم تقصيره وأنه وصل رفقة ستانلي إلى الساحل في أمان كما أخبره بكون ادعاءات ستانلي مجرد كذبة لا أساس لها [2] .

وحتى بتواصل هذه الاعتراضات النافية لادعاءات ستانلي الكاذبة لم يُغير من الدعوى القضائية شيئا حيث رفضها القاضي البريطاني عمدا، وقد كان أدرك جيدا بمدى التأثير الذي تحوز عليه كلمات ستانلي فحتى اعتراض أمين باشا لم يجدي نفعا معه، وصمم على مغادرة تابورة في صباح اليوم الموالي لكنه تعرض لنكبة صحية جعلته طريحا للفراش لمدة تجاوزت أربعة أشهر.[3]

لم يتوقع أحد شفائه إذ أصيب بمرض الزحار الحاد [4] يحوم بين الحياة والموت وقد تلقى الرعاية خلال تلك الفترة من قبل الآباء البيض في منطقة كيبالابالا بالقرب من تابورة حتى عوفي من مرضه فاستمر برحلته إلى غاية وصوله لزنجبار [5] .

وعندما اعتقد حمد المرجبي أن الأمر لا يمكنه أن يزداد سوءا تلقى من المنصرين الذين كانوا برفقته أخبارا تفيد بنشر ستانلي تقريرا آخر في أوروبا مواصلا فيه اتهام حمد المرجبي ، وقد كانت تدور القضية هذه المرة حول رائد آخر يدعى جيمسون [6] ، إذ يُذكر في التقرير أن

---

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P220 .

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 176 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 221.

[4] . **الزحار** ، ويطلق عليه أيضا مرض الدوسنتاريا، وهو مرض معدي يصيب الأمعاء الغليظة ويتميز بشعور المصاب بألم في البطن يكون سببه عامه نوع من أنواع البكتيريا ، أنظر : نخبة الأطباء المختصين ،**سلسلة وصفة طبية : الأمراض المعدية والمتوطنة** ، مجموعة النيل العربية ، 2001 ، ص 61 .

[5] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 177 .

[6] . **جيمس سليغو جيمسون** (James Sligo Jameson)، ضابط أيرلندي عمل كموظف لدى حكومة الكونغو الحرة، وكان جيمسون ذو ثروة مالك لأحد أبرز الشركات المصدرة للنبيذ في أوروبا كما كان رجلا ذو شغف طبيعي للتاريخ ، وقد شارك في بعثة إنقاذ أمين باشا رفقة ستانلي والرائد بارتلوت ، وهو من أصدر حكم الإعدام على الرجل سنغي رفقة حمد المرجبي ، أنظر : Heinrich Brode , Op Cit , P 199 .

جيمسون اشترى فتاة كعبده مقابل قطعة ملابس من منطقة يامبتيا الواقعة في أرض المانييما وقام بتسليمها لقبيلة من قبائل الآكلة للحوم من أجل توثيق عاداتهم وتقاليدهم من حيث كيفية أكلها وطبخها ، وهذه القصة أثارت بشكل طبيعي الرأي العام وسببت ضجة إعلامية واسعة حيث توالى اللوم على حمد المرجبي لتسببه بحدوث أمر مشين مثل هذا، فتوجهت عائلة جيمسون إلى زنجبار من أجل تبرئة جيمسون من الاتهامات الموجهة ضد[1] .

لم يكن ذلك سوى افتراء وهذه القصة ليست سوى كذبة تم تلفيقها إذ لا توجد مسألة أشد إثارة للرأي العام أكثر من جريمة الإنسانية المرتكبة بحق الرقيق كما أن حمد المرجبي لم يكن متواجدا خلال تلك الفترة برفقة جيمسون فلم يسمع بقصة مماثلة لهذه وشددّ على عدم مقدرة جيمسون لفعل أمر مماثل ويسمح به، وقد استاء حمد المرجبي من كذبات ستانلي التي استمرت محاولا التشويه من سمعته إذ يذكر حمد قائلا (لم أر نصرانيا ولا أي إنسان يكذب بهذا القدر، لا يعرف الإنسان ماذا يقول عندما يسمع مثل هذا الكذب) [2] .

إذ بالرغم من كل ما قدمه له حمد المرجبي من لطف ومساعدة إلا أن ذلك لم يكن كافيا لستانلي وبدل أن يغدقه بالشكر كان يسعى لإغراقه بكل طريقة ممكنة ضاربا بكل وعوده التي تعهد بها أمام حمد عرض الحائط [3] .

وكان يرى حمد المرجبي إشارات الكذب لدى ستانلي منذ البداية فذكر ذلك من خلال قوله (لقد أرسل لي ستانلي صورته عندما كنت في كيب تاون برفقة جيمسون ، واعدا إياي بثورة كبيرة لقد كنت أعلم أنه كاذب منذ البداية إلا أنه لم يكن يكفي تلفيقه لهذه التهم بل قام حتى بالإساءة لرجل ميت) [4] .

وعندما وصل حمد المرجبي إلى زنجبار تم استقباله من قبل رئيس المقاطعة وجلبه إلى العاصمة الجديدة دار السلام حيث مكث هناك بضعة أيام قبل أن يتوجه نحو المحكمة ، بالطبع كانت المهلة المحددة قد انتهت منذ فترة طويلة حيث وقف حمد المرجبي أمام القاضي البريطاني وقد تم تلو جميع الاتهامات التي استدعى من أجلها حيث تعارضت أقوال حمد

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 233.

[2] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 178 .

[3] . Heinrich Brode, Op Cit, P 235.

[4] . Ibid, P 236.

المرجبي وستانلي لكي يقوم الطرفين في النهاية بتوقيع اتفاقية على وثيقة مشتركة تحت إشراف سميث مكانزي ممثل ستانلي وتم سحب كل الادعاءات من قبله[1].

ومنذ ذلك الوقت لم يقم حمد المرجبي بأي رحلة إلى دواخل القارة الإفريقية[2]، فقد كانت الدعوى القضائية الموجهة لحمد المرجبي سوى مؤامرة مدبرة وخاصة بعد أن منع حمد المرجبي من السفر إلى الكونغو مرة أخرى من قبل الإنجليز حتى يصفى الجو للبلجيك ليسهل القضاء على العرب.

[1] . Heinrich Brode, Op Cit, P 235.

[2] . Ibid, P 237.

3 . المقاومة المسلحة وإقصاء النفوذ العربي بالكونغو.

لقد أدرك العرب بالخطر الذي يشكله الأوربيون وحاولوا طمس تأثيرهم في الوسط الإفريقي،خاصة بعد نشاط الحركة المهدية بالسودان وتأثر العرب بها،كما أن ليوبولد لم يتردد في إظهار نواياه اتجاه الكونغو حيث عدة معارك ضد العرب في سبيل توسيع نفوذ دولته الحرة[1]، فكانت لهم ردود فعل اتجاه ذلك، منها هجوم روماليزا الذي هاجم حامية البلجيك بـ 'متوا' وأسقط علمهم فيها[2]، قبل أن يفشل ويهرب إلى زنجبار[3].

حاول البلجيكيون اغتنام كل الفرص لإشعال فتيل الحرب وطمس دولة الكونغو الإسلامية من الوجود بشكل مباشر،فقد اصطدم سيف بن حمد المرجبي بالجيش البلجيكي في غياب والده وذلك بعد أن بعث ليوبولد بسلسلة من الهجمات العسكرية بقيادة "والتر دين" لمحاربة رجال تيبوتيب الذين هجموا على دين وأتباعه، ونشبت المنازعات بينهم ولكن تصدى سيف لهذه الهجمات البلجيكية،وتحصن في مقره ونجح في قتال دين، كما انتهزت الصحف البلجيكية هذا الأمر وبدأت بشن هجمات شرسة تتهم فيها العرب بالتعدي على أبنائها[4].

لقد تأزم الوضع أكثر في كاسونجو لأن الأهالي قتلوا ضابطين انجليزيين بعد أن سمعوا بمقتل أحد أقارب تيبوتيب على يد البلجيكيين،فتعهد البلجيك بمواجهة سيف ومقاتلته[5] .

بحلول 1890م حاول سيف القيام بدور القيادة للمقاومة العربية بالتعاون مع عدد من الزعماء الأفارقة المحليين ضد الوجود البلجيكي،خاصة بعد أن تعرض التجار العرب في 'باسوكو' لمضايقات قوات دولة الكونغو الحرة إذ قامت هذه القوات ولعدة مرات تجريدهم من بضاعتهم بحجة منع تجارة الرقيق،لذا بدأ سيف بقيادة الهجمات التي شنها العرب ضد الحاميات البلجيكية في منطقة 'كاتنغا' كما هاجمت مجموعة منهم ممثل دولة الكونغو الحرة بمنطقة

---

[1] . علي عبد الظاهر علي، مرجع سابق ، ص ـ ص 90-91 .

[2] . سيندي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص74 .

[3] . Heinrich Brode , Op.cit. P 249 .

[4] .علي عبد الظاهر علي ، مرجع سابق، ص91.

[5] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص182.

لومامي،وكانت هذه العمليات تتم بالتنسيق بين سيف والزعيم الإفريقي جونجو لوتيته حاكم منطقة 'نغاندو'[1].

بعد مغادرة حمد المرجبي للكونغو صار سيف ابنه الأكبر خليفته في فتوحاته والقائد الأعلى للجيوش العربية في الكونغو ورئيس حكومته، وكان جيشه من أكثر الجيوش عددا فقد كان مرابطا من بنانا إلى أعلى توي توي (Twetwe) وكان ساعده الأيمن هو محمد بن رجب الذي كان مرابطا في نواحي بانانا.

واصلت القوات البلجيكية تكثيف حملاتها العسكرية في الكونغو سنة 1891م بواسطة القائد هوديستر[2]،وفي عام1892م تم إرسال القائد "دانيس" لإلحاق الهزيمة بالزعيم جونجو لوتيته، لكن هذا الأخير موقفه وقرر التحالف مع البلجيكيين بعد هزيمته، وقدم لهم أطنانا كبيره من العاج كدليل على ولائه،وبذلك فتح الأبواب أمام الحملة الكبيرة التي عجّلت بسقوط العرب في الكونغو،وكما نرى تجمعت الظروف التي أدت إلى تراجع النفوذ العربي بسبب الأحداث السابقة ولو حدث النقيض من ذلك لشهدت الكونغو قيام إمبراطورية كبيرة منافسه لإمبراطورية الخليفة بالسودان[3].

سعى سيف للانتقام من القوات البلجيكية،ونجح في أسر دانيس عام 1892م وسجنه في قصره،وانطلق من كاسونجو على رأس عشرة آلاف مقاتل مسلحين وطالبوا القوات البلجيكية بتسليم جونجو لوتيته حيا أو ميتا،كما هددهم بعبور نهر لوماجي والتقدم نحو ليوبولد فيل[4]،غير أن القوات البلجيكية نجحت بعبور النهر وقاتلت سيف وقتلت أكثر من ثلاثة آلاف من أتباعه من بينهم قائد قواته "موهارا" الذي كان من أفضل محاربيه،وبهذا فقد الجيش روحه المعنوية ما

---

[1] .أحمد طنش ، مرجع سابق ، ص115 .

[2] . **هوديستر** ، ممثل الشركة البلجيكية التجارية في دولة الكونغو الحرة ، قام بقيادة الاتحاد التجاري لكاتنغا للاتجار في العاج والمنتجات الإفريقية الأخرى وقد كان الغرض من هذا الاتحاد هو مصادرة العاج وفرض الضرائب على العرب وتعزيز سيطرة البلجيك على منطقة حوض الكونغو ، وكان مقتله رفقة مجموعة من ضباطه نقطة بداية الحرب العربية البلجيكية ، أنظر : الجبو مصطفى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 36 ، هايند سيدي لانجفورد ، مصدر سابق ، ص 23 .

[3] . سيدني لانجفورد ، مصدر سابق ، ص70 .

[4] . علي عبد الظاهر علي ، مرجع سابق ، ص92.

أدى إلى تراجع سيف نحو كاسونجو[1]،ولا يخفى أن اتفاق 'جونجو لوتيته' والقوات البلجيكية (ناهيك عن الدعم التي كانت تحصل عليه من الجمعيات المسيحية) مكَّن هذا الأخير من الوصول لمدينة كابندا والقضاء على الزعيم الإفريقي 'لوبونغو' المساند لسيف[2].

جاءت بعد ذلك سلسلة الانتصارات التي حققها الجيش البلجيكي التابع لليوبولد بتقدمه نحو جنوب نيانغوي سنة1883م في الضفة اليمنى من نهر اللوالابا، حيث كانت من أهم المراكز التجارية العربية، وسقطت بيد الجيش البلجيكي وتم تشتيت سكانها والتنكيل بهم وتخريب المدينة بأكملها[3].

واستمر الصراعات بين القوات البلجيكية وسيف حول معسكر 'أوتيناتينغو' التابع له إلى أن أُصيب بعدة رصاصات أدت لمقتله سنة 1893، وفي 17 أبريل من نفس السنة نجح البلجيكيون بدخول كاسونجو عاصمة دولة حمد المرجبي والقضاء على آخر معاقل العرب في الوسط لإفريقي، ليأخذ الإفريقيون بعد ذلك على عاتقهم مقاومة الأوربيين في المنطقة[4].

لما توفي سيف لم يكن في خيمته سوى خادمه الذي أرسل إلى كل محمد بن سعيد ومحمد بن مسعود الوردي، وتم دفنه في الغابات الاستوائية، كما تكتم عن خبر موته من قبل القادة بغرض عدم زعزعة معنويات الجيش، وكان محمد بن سعيد يقوم بإعطاء الأوامر باسم سيف بن حمد إلا أن خبر موته سرعان ما وصل إلى القوات البلجيكية،ثم علم بقية "المانييما"الذين انفصلوا عن القوات العربية ودخلوا صفوف البلجيك معاضدين، وانسحبت قوات كل من محمد بن سعيد والوردي فلم يبق في مواجهة البلجيكيين سوى محمد بن خلفان الذي قادهم إلى الجهة الغربية ودخل حدود المستعمرة الألمانية، أما راشد بن محمد فقد أخذ يناوش البلجيكيين إلى غاية وصوله إلى السودان شمالا، وكان جيشه في فوضى واضطراب إثر انسحاب القوات العربية الأخرى ودخولهم أراضي غير معروفة بالنسبة لهم فلم يرى راشد بن محمد خيرا سوى

[1] . م.إبراهيم إيداع ، مرجع سابق ، ص182 .

[2] . أحمد طنش ، مرجع سابق ، ص115 .

[3] . م.إبراهيم إيداع ، مرجع سابق ، ص182 .

[4] . مرجع نفسه .

مهادنة البلجيك فأرسل إلى قائدهم الجنرال دانيس رسلا والذي قبل بالهدنة فلم يبقى غيره من العرب وتمت محاكمة راشد بن محمد من قبل الحاكم العام للكونغو الحرة[1].

أصدرت بلجيكا اتفاقا ادعت فيه أنه تم عقده بين حمد المرجبي ومندوب ملك بلجيكا ليوبولد الثاني والذي نص على قرارين:

أولا: أن يتنازل حمد بن محمد المرجبي للملك ليوبولد عن حقوقه الإدارية في حكم الكونغو مقابل تعهد الملك ليوبولد بإبقاء السلطة الاسمية في الكونغو لحمد المرجبي وسيكون له الحق في تعيين من يشاء نائبا عنه في الأقاليم التي فتحها بالكونغو.

ثانيا: يعين حمد بن محمد المرجبي راشد بن محمد بن سعيد المرجبي نائبا له بعد وفاة ابنه سيف بموافقة من الملك ليوبولد الثاني على هذا التعيين،وعلى هذا الاتفاق وافق الحاكم العام على تعيين راشد بن محمد نائبا لحمد المرجبي بمرتب خمسين جنيها شهريا بلقب كندور وله الحكم في الأقاليم، وعين أربعة مساعدين له من البلجيك كمستشارين وطلب منه الحاكم أن يبقى في إقليم كاساي لمدة أربع سنوات وبعد ذلك يمكنه أن يحكم إقليمه السابق كاتنغا بالإضافة إلى توي توي وكمبالا، وفعلا مكث راشد بن محمد لمدة أربع سنوات ثم طلب بالسفر لزيارة والده بزنجبار[2].

ثم هرب ثابت وأخوه محمد بن سعيد و أنفار من العرب إلى زنجبار، واستولى البلجيك على أموال المرجبي التي وجدوها تقدر بـ مائة ألف جنيه ،واسروا باقي أبنائه إلى أن أطلق سراحهم وسمحوا لهم بالعودة لزنجبار[3].

وفي هذه الأثناء كان حمد المرجبي في زنجبار حيث غادر دولته بالكونغو 1890، ويذكر هانريش أن تيبوتيب لم يستطع تجاوز مأساة وفاة ابنه المبكرة[4]، وعند وصوله وجد ثروته ناقصة بسبب تحايل وكيله الذي سرقه منها حوالي 30.000 جنيه[5].

---

[1] . محمد بن ناصر بن سليمان اللمكي ، صفحة مجيدة ، ج 8، ***الفلق، الع 526***، عمان، 02-11-1939 .

[2] . المرجع نفسه.

[3] . المرجبي ، مصدر سابق ،ص196 .

[4] . Heinrich Brode . Op.cit, P151.

[5] . المرجبي ، مصدر سابق ، ص 198 .

كما وجد نفسه عالقا بقضايا المحاكم حيث أنه رفع دعوة ضد روماليزا اتهمته فيها باختلاس هذا الأخير لأمواله ،غير أن روماليزا أصدر وثيقة تنص على أنه هو وتيبوتيب وابن عمه قد شكلوا شراكة يتم بموجبها تقسيم جميع الأرباح التي قد يسكبوها ،متفقين على أن يأخذ تيبوتيب النصف بينما يحصل الآخران على ربع لكل منهما،الأمر الذي أدى إلى دعوى قضائية طويلة بدار السلام حيث فاز بها روماليزا وأخذ تعويض من المرجبي يقدر ب ستة آلاف دولار ،وانتهى الأمر بتسوية قضائية اضطر فيها المرجبي للتنازل عن ممتلكاته بالكامل في الساحل ، ومقايضة أملاكه من طرف ألمانيا حيث عينت ممثل وكاتب تابع لها وذلك لمراقبة الجلسات[1].

كما تم رفع دعوة قضائية أخرى على تيبوتيب من طرف صالح وهو حفيد صديقه المتوفى تاريا توبان وكيل تيبوتيب الذي استضافه في زنجبار ،حيث ادعى صالح أن جده قبل أن يتوفى كان لازال يدين للمرجبي بمبلغ مالي قدر بـ (15000 روبية) ، فقد قدم حمد المرجبي تضحيات كبيرة بأمواله من خلال دفعه لمحامي انجليزي عمل لحسابه حوالي (20.000 روبية) ما يعادل (1350 جنيه إسترليني) للدفاع عنه في قضية الدعاوي[2]، وكان دائما يقول: «...ذهب ربع ملكي في أفواه المحامين...»[3].

من خلال ما تبقى له من أموال اشترى تيبوتيب بيوتا وبساتين يعيش من ريعها،وعايش الفترة المتوترة بزنجبار حين حاول "خالد" نجل السلطان المتوفى برغش الاستيلاء على العرش خلافا لرغبة الإنجليز،فحصن قصره وجهز جيشه لكن الإنجليز توغلوا للداخل وأطلقوا القنابل على القصر السلطاني وقاموا بطرده فهرب للحامية الألمانية ،وعينوا بعده ابن عمه "حمود بن محمد بن خليفة" وكان صديقا مقربا لتيبوتيب ويستشيره في كل شيء لكنه توفي سنة 1904 ، وحكم بعده ابنه "علي" القاصر الذي يخضع للوصايا البريطانية ،وقد بقي حمد الدين المرجبي حظي بمكانة مهمة في مجالس زنجبار وكان أول من يُسأل عن رأيه فيما يخص أمور البلد ،

---

[1]. Heinrich Brode , Op.cit , P249 .

[2] . Ibid , P250 .

[3] . وثيقة من أرشيف زنجبار برقم AA5-23-2 عام 1317هـ / ، تمثل استماع خطاب الوكيلين في المحكمة السلطانية ، المصدر سعد الله الشهري ، ص 180 ، أنظر لملحق الوثائق رقم 8 ، ص 171 .

حيث حافظ على نشاط الشاب بداخله حتى وهو شيخا ،وكان يحضر شؤونه الشخصية العديدة بشغف[1].

في شهر ذي الحجة 1322هـ/1905 أُصيب حمد الدين المرجبي بمرض الاستسقاء[2]ثم عُوفي منه،وفي 10 ربيع الثاني/14 جوان،اشتد به الألم حتى كانت الخامسة من ليلة الأربعاء قبضه الله إليه ،وتوافدت الجموع في جنازته حيث حضرها القنصل الأمريكي "الجنرال أوفيس" وكان في مقدمتها ،وفي الصباح حضر قنصل بريطانيا و ألمانيا وغيرهم من معتمدي الدول والتجار الأجانب ،العرب والهنود والزنوج لتعزية أهله حيث سار في جنازته أُناس كثيرون[3].

[1]. Heinrich Brode , Op.cit ,P251.

[2] . **الاستسقاء** ، يسمى أيضا بالوذمة Edema وهو مرض عضوي ناتج عن تراكم غير طبيعي لسوائل الجسم واحتباسها، ويصيب هذا المرض مرضى تشمع الكبد أي تلفه ، فيعاني صاحبه من كبر حجم البطن وزيادة كبيرة في الوزن بشكل سريع بالإضافة إلى صعوبة في التنفس ، للمزيد انظر: أبي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن سينا ، **القانون في الطب** ، دار الكتب العلمية ، ج2 ، 2009 ، ص 534 .

[3] . جورجي زيدان، مصدر سابق ،ص224 .

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة يمكننا أن نقول بأن حمد المرجبي كان يمثل أُنموذجا للإنسان العربي الطموح الذي حمل تجارته و معه رسالة حضارية إلى المجهول في إفريقيا من أجل عمارة الأرض و كسب الرزق، فأثمرت تاريخا مشرقا للحضارة العربية الإسلامية في أدغال إفريقيا، فرغم أنه كان من أسرة ضعيفة غاب معيلها وتكالب عليها الظروف غير أنه تحدى كل ذلك ونجح بشكل كبير فاستطاع أن يقيم دولة عربية في أواسط الكونغو وينشر الهوية الإسلامية بها لقد كان قادرا على التعامل والتفاوض مع الحكومات العربية والغربية .

ولقد خرجنا من هذه الدراسة بجملة من النتائج يمكننا تلخيصها فيما:

. صاحبت حركة تجارة القوافل العربية هجرات كبيرة على شكل مجموعات متفرقة من شرق القارة إلى منطقة الكونغو على رأسهم حمد بن محمد المرجبي الذي تمكن من تأسيس أول كيان سياسي عربي إسلامي في الكونغو وانتهى برحيله .

. ترك العرب في الكونغو آثارا حضارية و قيم إنسانية راقية بقي يتحاكى بها و يتداول ذكراها الكونغوليون والمنصفون من الدارسين الغربيين رغم ما صورهم به بعضهم من بشاعة في علاقتهم بالوطنيين آنذاك، فالعرب هناك لم يعيشوا في عزلة ولم يكونوا يضمرون استعمارا وهم بعد التجار بالدرجة الأولى كان غرضهم تحقيق السلام والأمن من أجل اقتصاد أفضل ومن هنا نشأ التعاون مع أهالي المنطقة ومن ثم كانت هناك علاقات بينهم وبين الوطنيين التي أفرزت مدنا وثقافة واقتصادا متطورا بالنسبة لما كان موجودا هناك .

. تمكن حمد المرجبي والعرب من أن يحولوا بلاد مانييما ماليلا إلى بلاد خصبة وأعمر مناطق وسط القارة الإفريقية، وبذلك يعتبر التنظيم الذي وضعه حمد المرجبي في الكونغو أول تنظيم سياسي واقتصادي وحضاري داخل القارة الإفريقية يتبع السلطنة العربية الإسلامية في زنجبار من انتشار للغة العربية والسواحيلية في هذه المناطق، وظهور علماء درسوا في المدارس القرآنية وفي الخلوات وفي الجوامع، هذا فضلا عن انتقال فن العمارة الإسلامية السواحيلية بل تعداه إلى شيوع التأثيرات الاجتماعية فانتقلت العادات والتقاليد والفنون ونظام الأسرة وحتى

الخاتمة

الألبسة والأزياء ما أدى باعتراف البلجيك بأن الوجود العربي كان له أثر كبير في ازدهار منطقة الكونغو .

.أسدى حمد المرجبي في وجوده بالكونغو أكبر العطايا لتعطى لمثل تلك الجهات ككشف الطرق والأنهار والقبائل وجمع المعلومات التي قدمها ببساطة إلى المستكشفين الأجناب أمثال كاميرون وهنري مورتون ستانلي وديفيد ليفينجستون وغيرهم ، هؤلاء الذين اقترنت الكشوف بأسمائهم دون ثناء يذكر لجهود حمد المرجبي الكبرى في ذلك .

. إن دور حمد المرجبي وأتباعه من العرب في تجارتي الرقيق والعاج لم يكن مرتبطا بالعنف وأحداث الدمار في دواخل القارة الإفريقية حسبما أظهرت كتابات الرحالة والمستكشفين الأجانب وإنما كان هذا العنف نادرا لان الرغبة في شراء الرقيق والعاج دفعت القبائل الإفريقية إلى صيدهم طمعا في بيعهم للعرب ، وكان ما ورد في كتابات ستانلي وليفينجستون وغيرهما من مستكشفين مبالغا فيه من حيث هذه الناحية بغرض تشويه صورة العرب خصوصا حمد المرجبي .

. لم يكن المنصب الذي قدمه الملك ليوبولد الثاني لحمد المرجبي بالنظير الذي قد يتخلى عنه عن قيمه ومبادئه وإنما عندما قبل هذا العرض كان يعول على حرية التجارة التي منحت له في المنطقة إذ سعى حمد في هذه النقطة للحفاظ على حقوق العرب و مصالحهم الشخصية خاصة وأن التواجد العربي داخل القارة كان أساسه النشاط التجاري أكثر من أي غاية أخرى .

. يُؤخذ على عاتق حمد المرجبي عدم عنايته بالجوانب السياسية لدولته إلا إذا تعارضت مع الشؤون الاقتصادية هذا بالإضافة إلى افتقار العرب للخبرة العسكرية ما عجل من سقوط دولة العرب في الكونغو والتغلغل البلجيكي بها .

في النهاية ما يمكننا استخلاصه من دراستنا كانت حياة حمد المرجبي كانت مليئة بالمغامرة والارتحال أحرز فيها انتصارات وتكبد هزائم ، مخلفا في كل مكان حل به بصمة واضحة، ومهما يكن من أمر فإن تيبوتيب يعتبر بلا شك حلقة من حلقات الوجود العماني خاصة والعربي عامة في شرق إفريقيا وركيزة أساسية بني عليها الوجود العربي في الكونغو، والتعرف عليه دليل على المعرفة الواعية بذلك الوجود الموغل في القدم بكل أبعاده.

الملاحق

ملحق رقم1:

صورة لحمد بن محمد المرجبي ' تيبوتيب ' في أبهة رسمية ، المصدر : حمد بن محمد المرجبي مغامر عماني في أدغال إفريقيا ، ص 203 .

ملحق رقم2 :

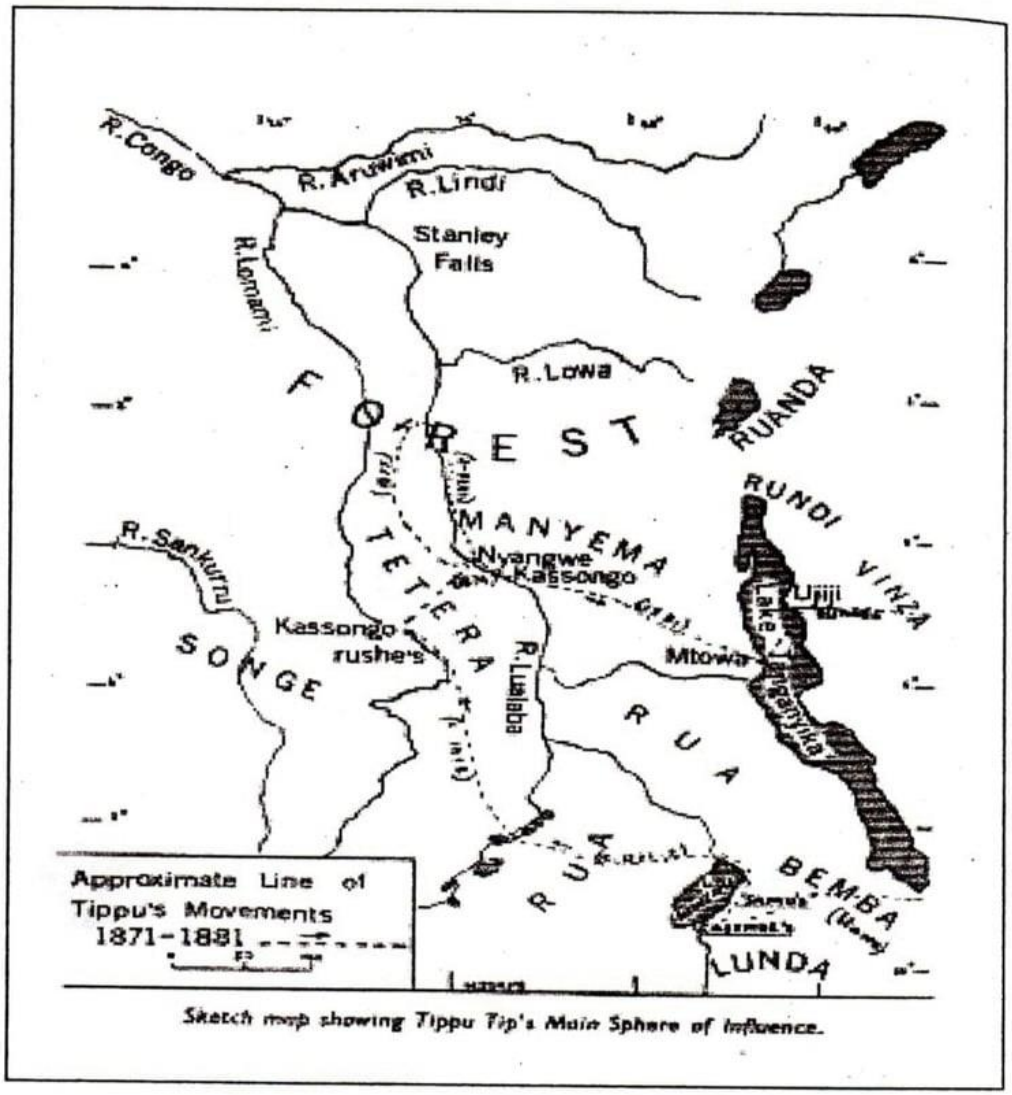

خارطة توضح مجال سيطرة تيبو تيب في الفترة بين ١٨٧١م - ١٨٨٨م

المصدر : حمد بن محمد المرجبي ، مغامر عماني في أدغال إفريقيا ، ص 31 .

ملحق رقم3 :

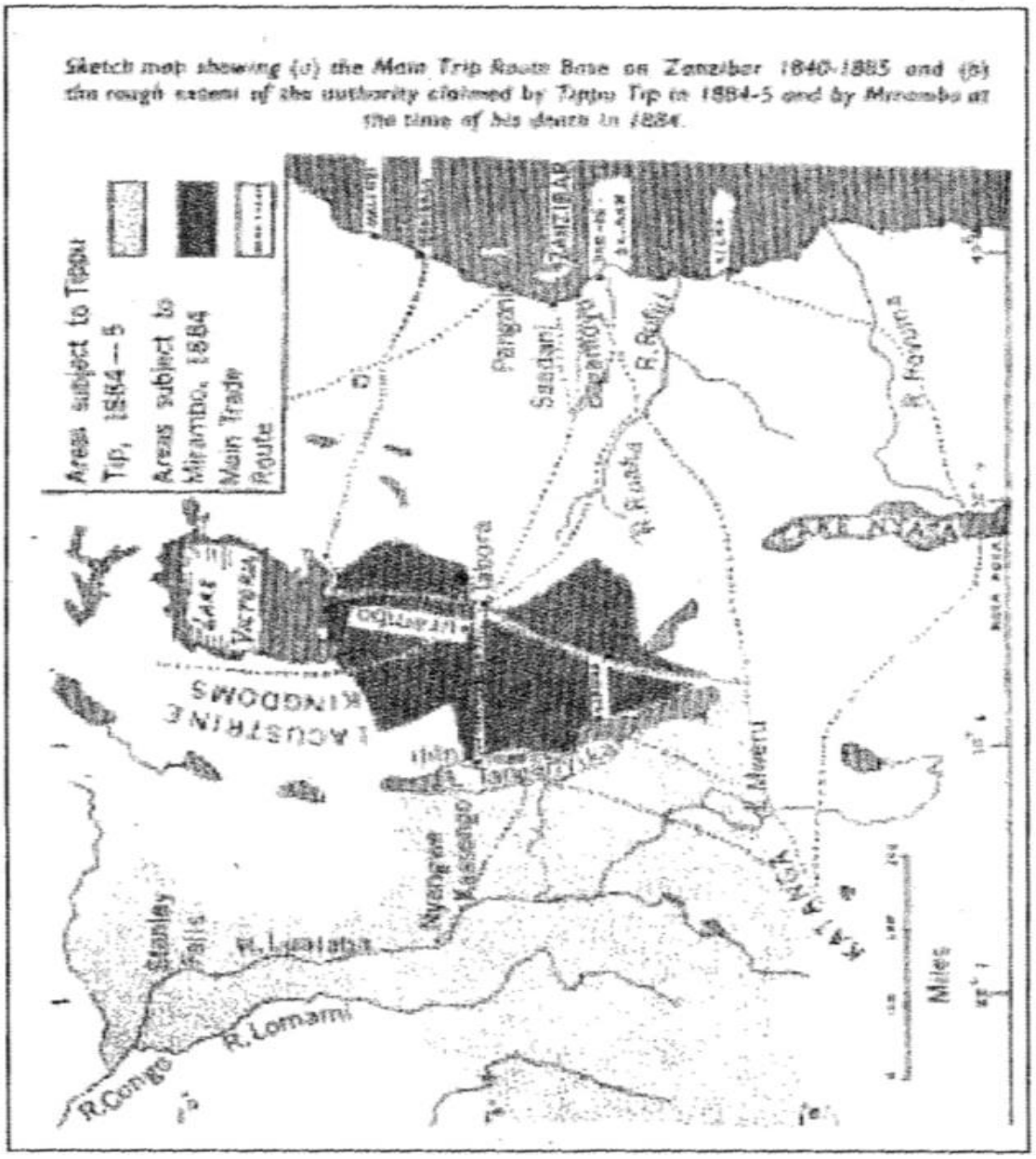

خارطة توضح :

أ . الخط التجاري الرئيسي المنطلق من زنجبار بين 1840 ـ 1885م .

ب ـ حدود تقريبية لنفوذ تيبوتيب بين 1884م ـ 1885م وحدود نفوذ ميرامبو حين وفاته سنة 1884م .

المصدر : حمد بن محمد المرجبي ، مغامر عماني في أدغال إفريقيا ، ص 34 .

ملحق رقم 4:

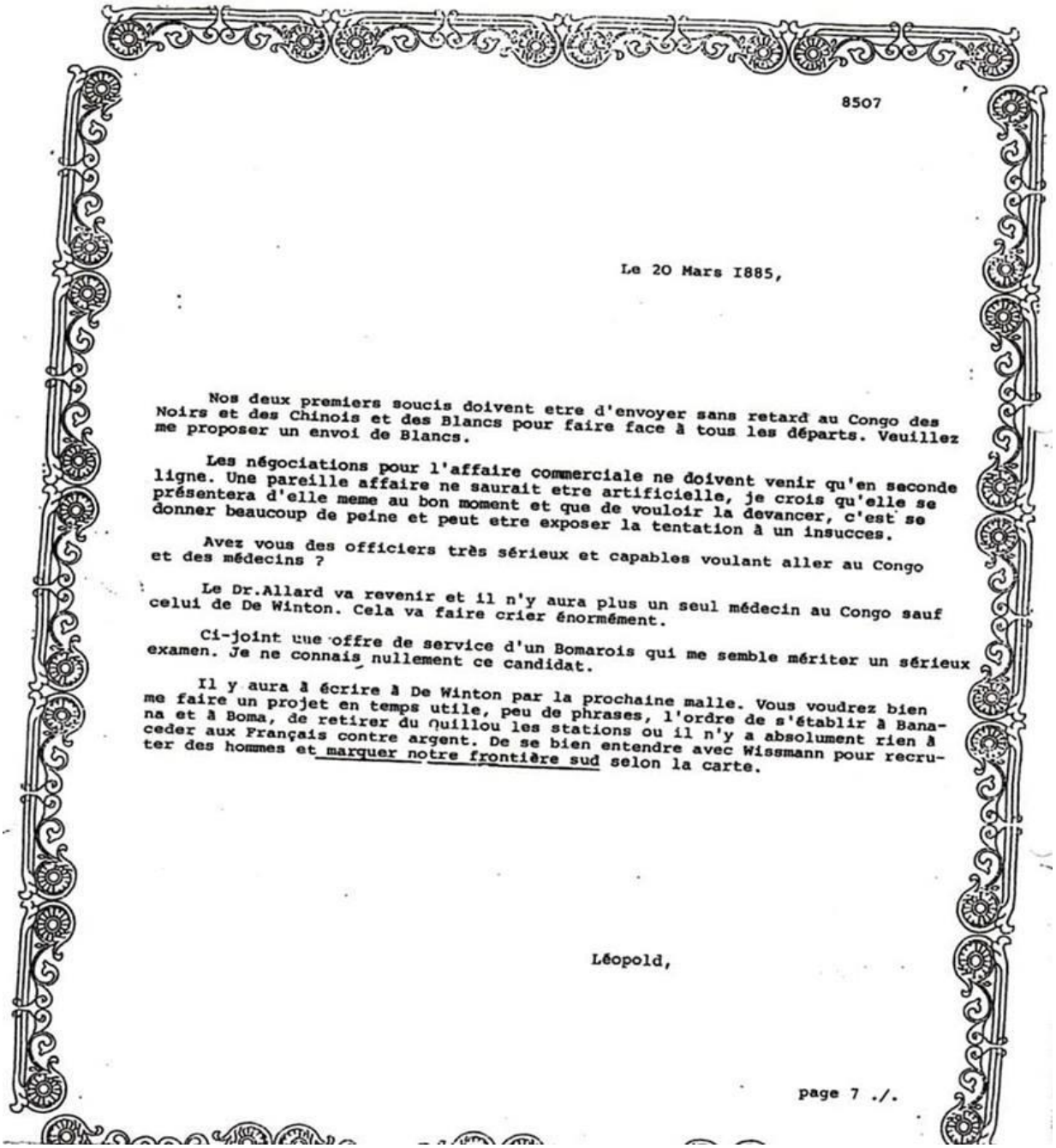

8507

Le 20 Mars I885,

Nos deux premiers soucis doivent etre d'envoyer sans retard au Congo des Noirs et des Chinois et des Blancs pour faire face à tous les départs. Veuillez me proposer un envoi de Blancs.

Les négociations pour l'affaire commerciale ne doivent venir qu'en seconde ligne. Une pareille affaire ne saurait etre artificielle, je crois qu'elle se présentera d'elle meme au bon moment et que de vouloir la devancer, c'est se donner beaucoup de peine et peut etre exposer la tentation à un insucces.

Avez vous des officiers très sérieux et capables voulant aller au Congo et des médecins ?

Le Dr.Allard va revenir et il n'y aura plus un seul médecin au Congo sauf celui de De Winton. Cela va faire crier énormément.

Ci-joint une offre de service d'un Bomarois qui me semble mériter un sérieux examen. Je ne connais nullement ce candidat.

Il y aura à écrire à De Winton par la prochaine malle. Vous voudrez bien me faire un projet en temps utile, peu de phrases, l'ordre de s'établir à Banana et à Boma, de retirer du Quillou les stations ou il n'y a absolument rien à ceder aux Français contre argent. De se bien entendre avec Wissmann pour recruter des hommes et marquer notre frontière sud selon la carte.

Léopold,

page 7 ./.

وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8507 بتاريخ 20 مارس 1885م ، رسالة من الملك ليوبولد الثاني ومرسلة إلى .. غير مذكور من المستقبل في الرسالة ويطلب فيها الملك ليوبولد الثاني إرسال أطباء وضباط من جميع أنحاء أوروبا وكذلك ترسيم الحدود الجنوبية للكونغو .

المصدر سعد الله شهري ، حميد بن محمد المرجبي ، ص 233 .

ملحق رقم 5 :

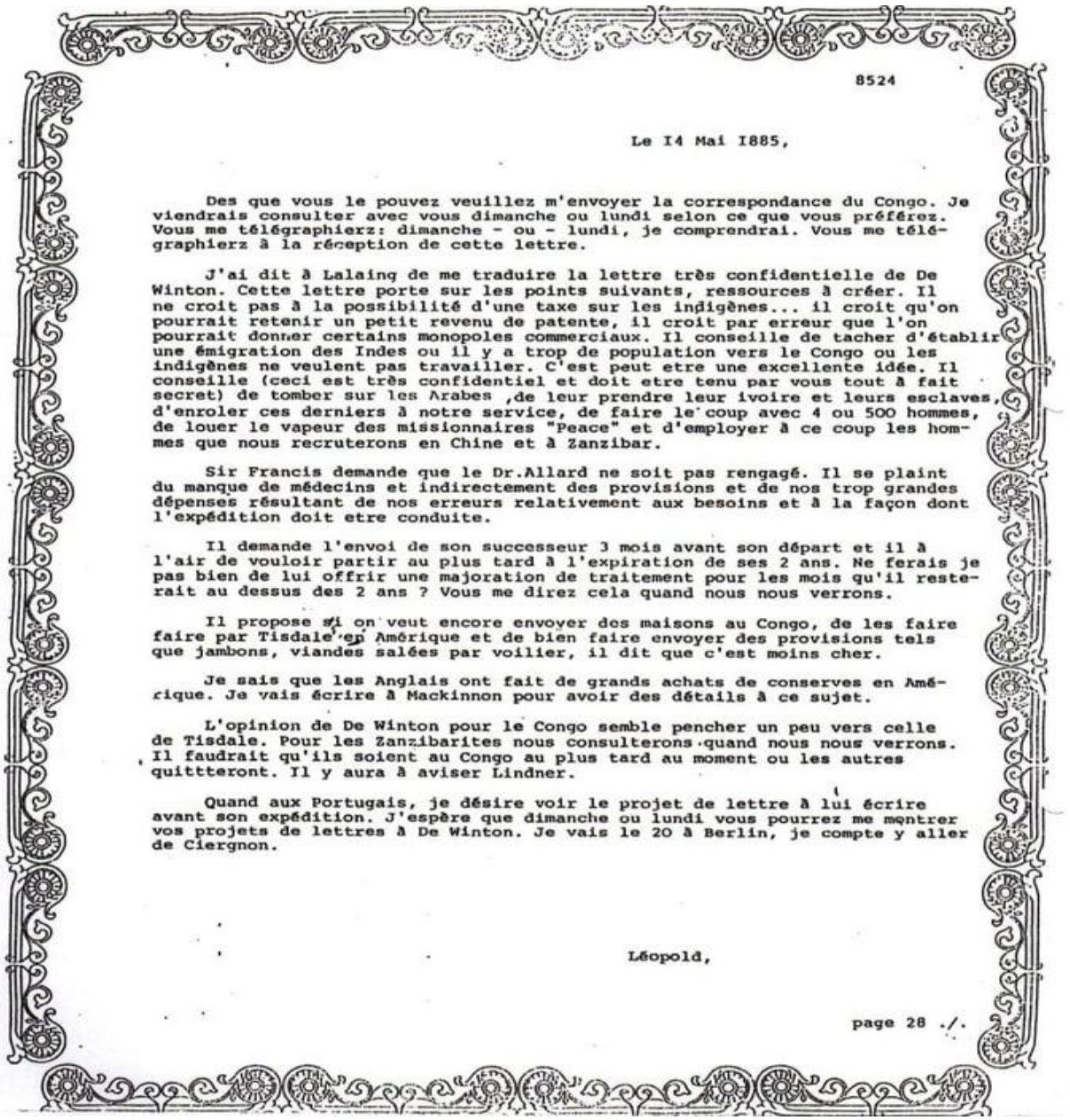

8524

Le I4 Mai I885,

Des que vous le pouvez veuillez m'envoyer la correspondance du Congo. Je viendrais consulter avec vous dimanche ou lundi selon ce que vous préférez. Vous me télégraphierz: dimanche - ou - lundi, je comprendrai. Vous me télégraphierz à la réception de cette lettre.

J'ai dit à Lalaing de me traduire la lettre très confidentielle de De Winton. Cette lettre porte sur les points suivants, ressources à créer. Il ne croit pas à la possibilité d'une taxe sur les indigènes... il croit qu'on pourrait retenir un petit revenu de patente, il croit par erreur que l'on pourrait donner certains monopoles commerciaux. Il conseille de tacher d'établir une émigration des Indes ou il y a trop de population vers le Congo ou les indigènes ne veulent pas travailler. C'est peut etre une excellente idée. Il conseille (ceci est très confidentiel et doit etre tenu par vous tout à fait secret) de tomber sur les Arabes ,de leur prendre leur ivoire et leurs esclaves, d'enroler ces derniers à notre service, de faire le coup avec 4 ou 500 hommes, de louer le vapeur des missionnaires "Peace" et d'employer à ce coup les hommes que nous recruterons en Chine et à Zanzibar.

Sir Francis demande que le Dr.Allard ne soit pas rengagé. Il se plaint du manque de médecins et indirectement des provisions et de nos trop grandes dépenses résultant de nos erreurs relativement aux besoins et à la façon dont l'expédition doit etre conduite.

Il demande l'envoi de son successeur 3 mois avant son départ et il à l'air de vouloir partir au plus tard à l'expiration de ses 2 ans. Ne ferais je pas bien de lui offrir une majoration de traitement pour les mois qu'il resterait au dessus des 2 ans ? Vous me direz cela quand nous nous verrons.

Il propose si on veut encore envoyer des maisons au Congo, de les faire faire par Tisdale en Amérique et de bien faire envoyer des provisions tels que jambons, viandes salées par voilier, il dit que c'est moins cher.

Je sais que les Anglais ont fait de grands achats de conserves en Amérique. Je vais écrire à Mackinnon pour avoir des détails à ce sujet.

L'opinion de De Winton pour le Congo semble pencher un peu vers celle de Tisdale. Pour les Zanzibarites nous consulterons quand nous nous verrons. Il faudrait qu'ils soient au Congo au plus tard au moment ou les autres quitteront. Il y aura à aviser Lindner.

Quand aux Portugais, je désire voir le projet de lettre à lui écrire avant son expédition. J'espère que dimanche ou lundi vous pourrez me montrer vos projets de lettres à De Winton. Je vais le 20 à Berlin, je compte y aller de Ciergnon.

Léopold,

page 28 ./.

وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8524 في 14 ماي 1885م ، تمثل رسالة من الملك ليوبولد الثاني بشأن مخطط سري للهجوم على العرب .

المصدر سعد الله شهري ، حميد بن محمد المرجبي ، ص 236 .

ملحق رقم 6:

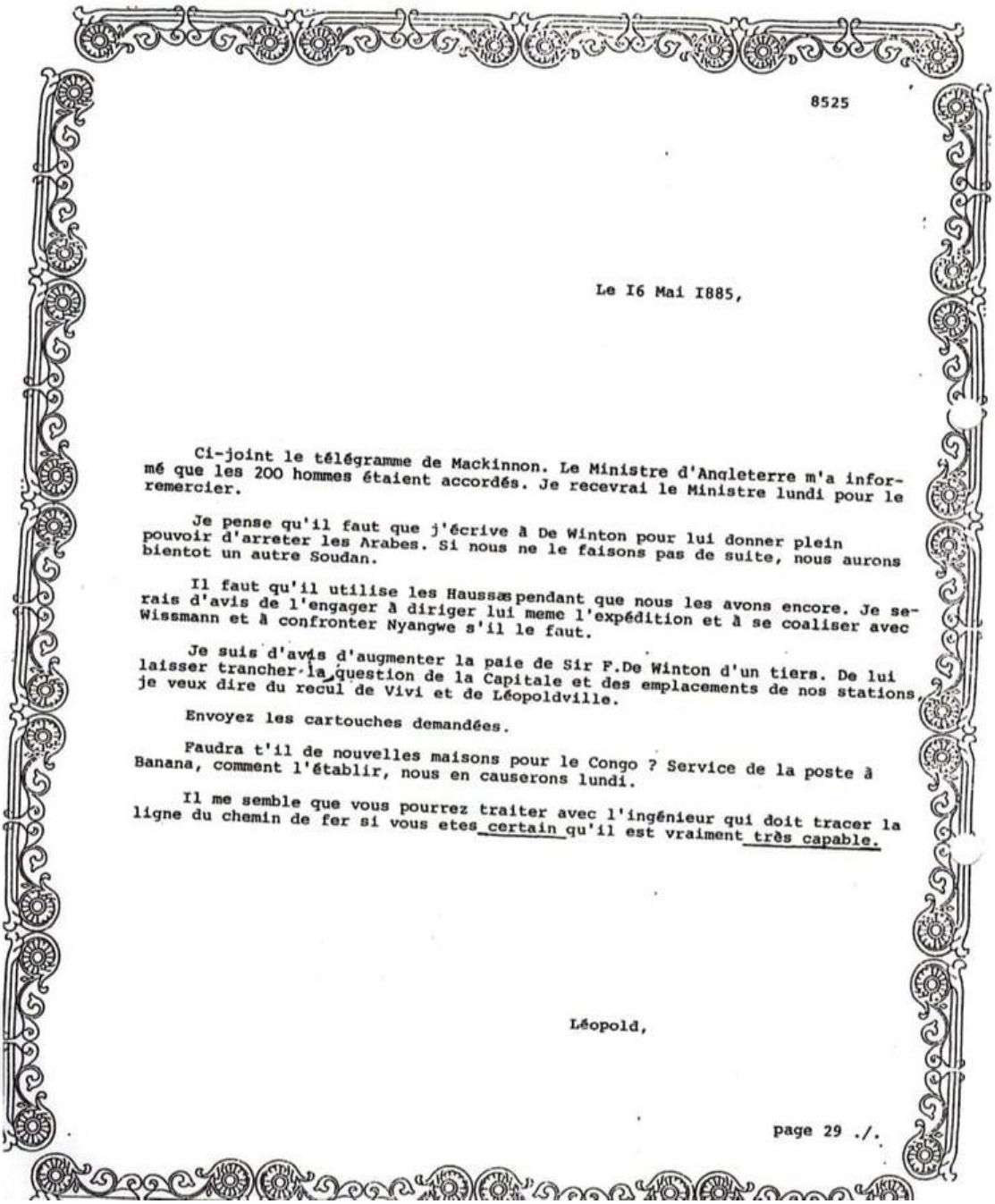

8525

Le I6 Mai I885,

Ci-joint le télégramme de Mackinnon. Le Ministre d'Angleterre m'a informé que les 200 hommes étaient accordés. Je recevrai le Ministre lundi pour le remercier.

Je pense qu'il faut que j'écrive à De Winton pour lui donner plein pouvoir d'arreter les Arabes. Si nous ne le faisons pas de suite, nous aurons bientot un autre Soudan.

Il faut qu'il utilise les Haussas pendant que nous les avons encore. Je serais d'avis de l'engager à diriger lui meme l'expédition et à se coaliser avec Wissmann et à confronter Nyangwe s'il le faut.

Je suis d'avis d'augmenter la paie de Sir F.De Winton d'un tiers. De lui laisser trancher la question de la Capitale et des emplacements de nos stations je veux dire du recul de Vivi et de Léopoldville.

Envoyez les cartouches demandées.

Faudra t'il de nouvelles maisons pour le Congo ? Service de la poste à Banana, comment l'établir, nous en causerons lundi.

Il me semble que vous pourrez traiter avec l'ingénieur qui doit tracer la ligne du chemin de fer si vous etes certain qu'il est vraiment très capable.

Léopold,

page 29 ./.

وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8525 بتاريخ 16 ماي 1885م تمثل رسالة من الملك ليوبولد الثاني بشأن المخطط السري للهجوم على العرب .

المصدر سعد الله الشهري ، حميد بن محمد المرجبي ، ص 239 .

ملحق رقم 7 :

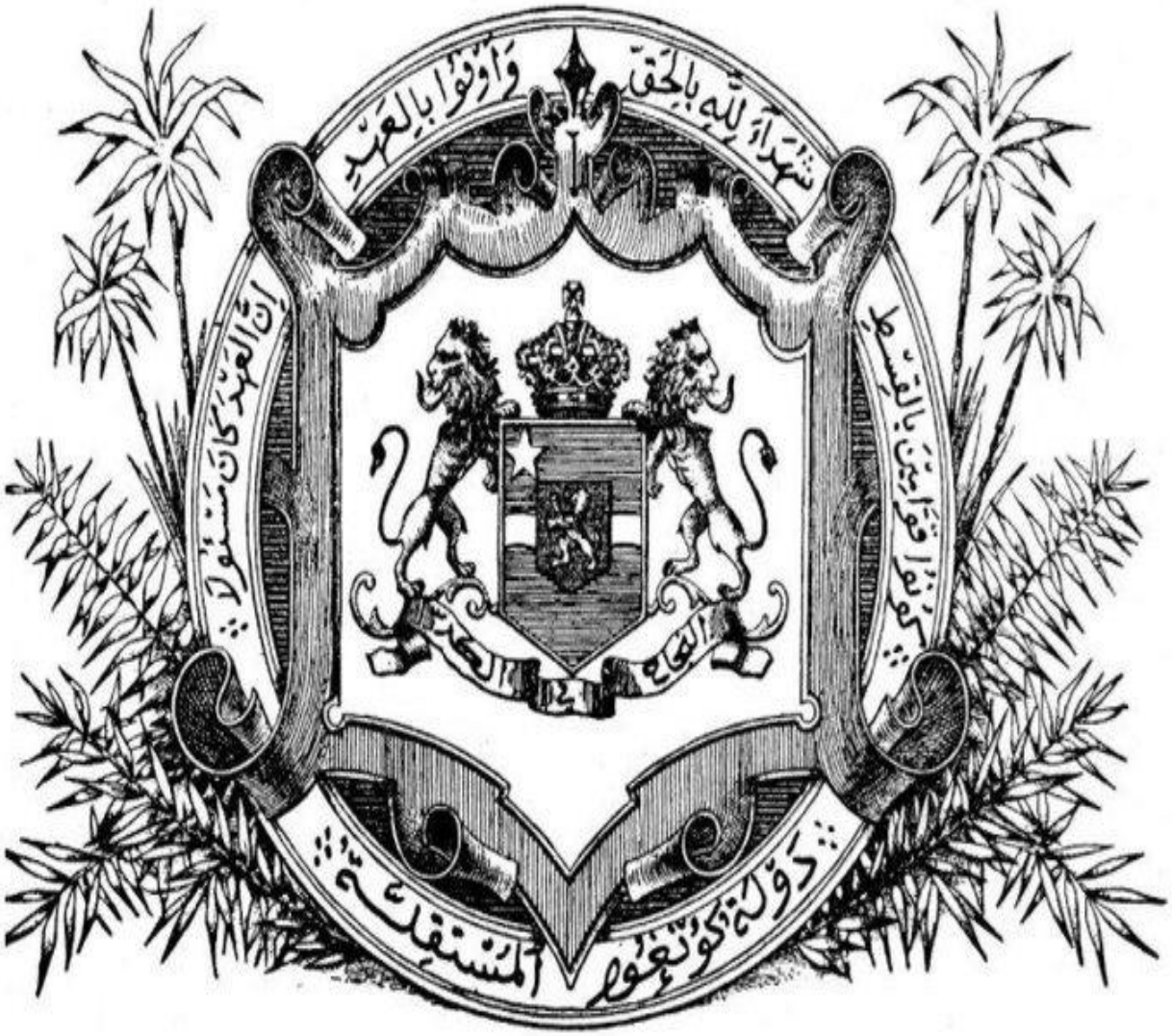

وثيقة من أرشيف وزارة الخارجية البلجيكية DT29 W37 تمثل شعار دولة حمد المرجبي في ظل دولة الكونغو الحرة ، المصدر مركز الدراسات العمانية ، جامعة السلطان قابوس .

ملحق رقم 8 :

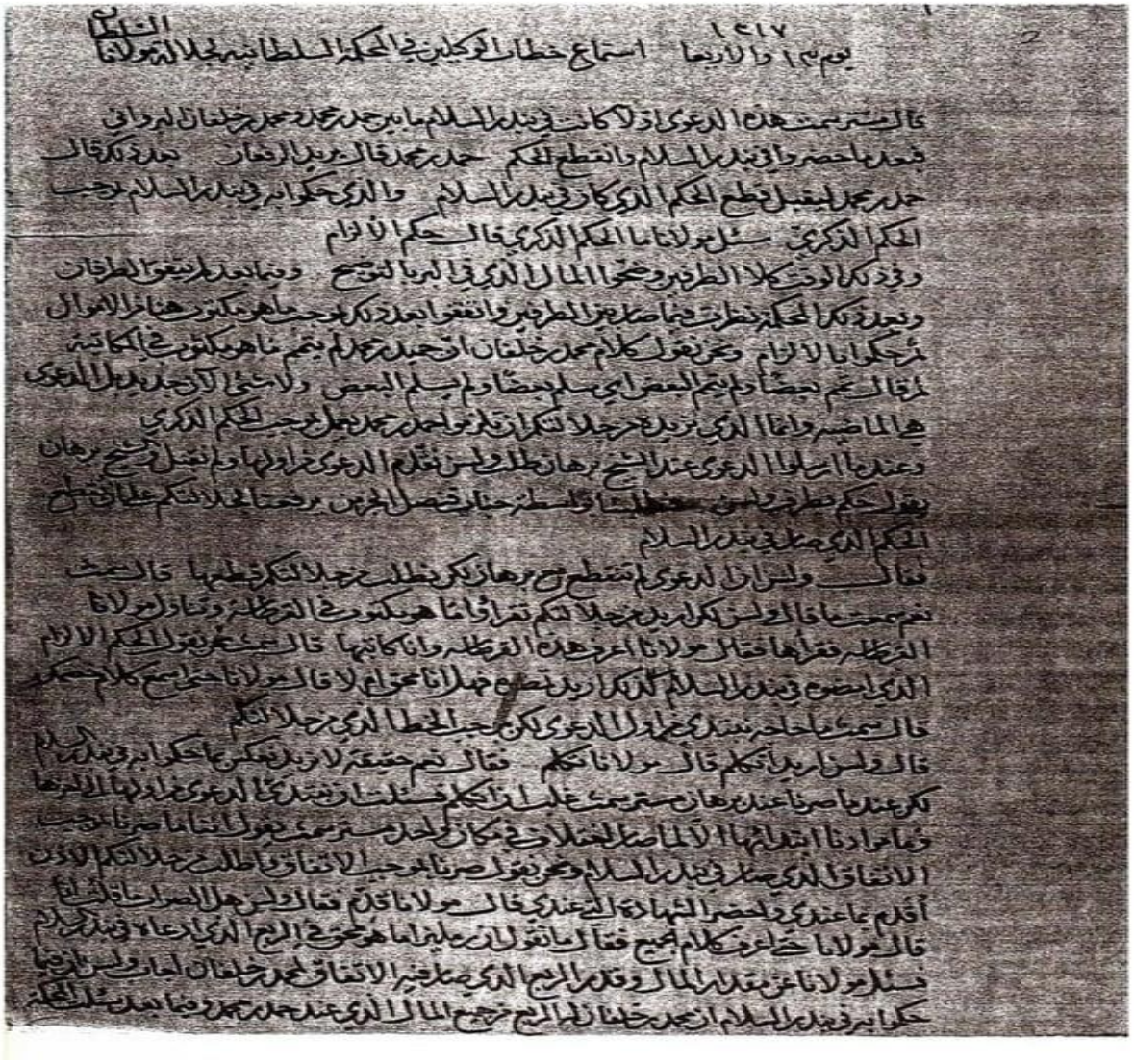

وثيقة من أرشيف زنجبار برقم AA5-23-2 عام 1317هـ / ، تمثل استماع خطاب الوكيلين في المحكمة السلطانية .

المصدر سعد الله الشهري ، حميد بن محمد المرجبي ، ص 242 .

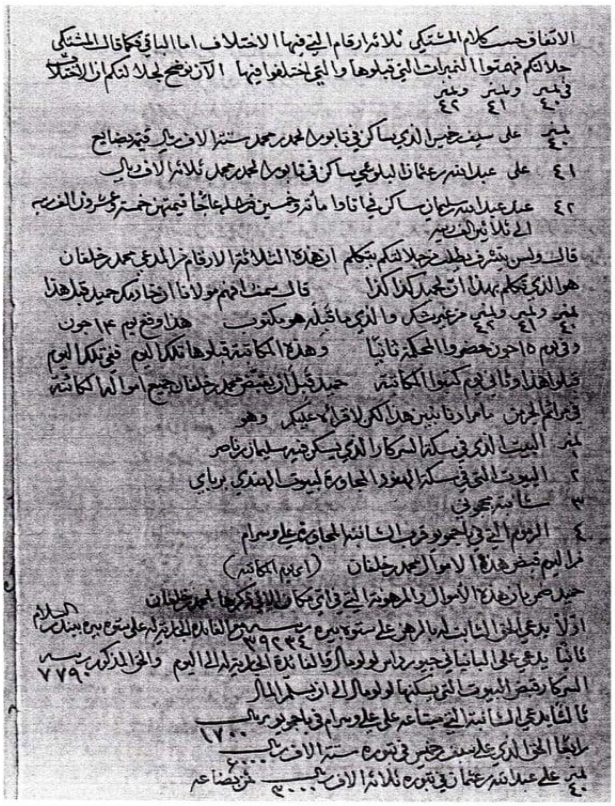

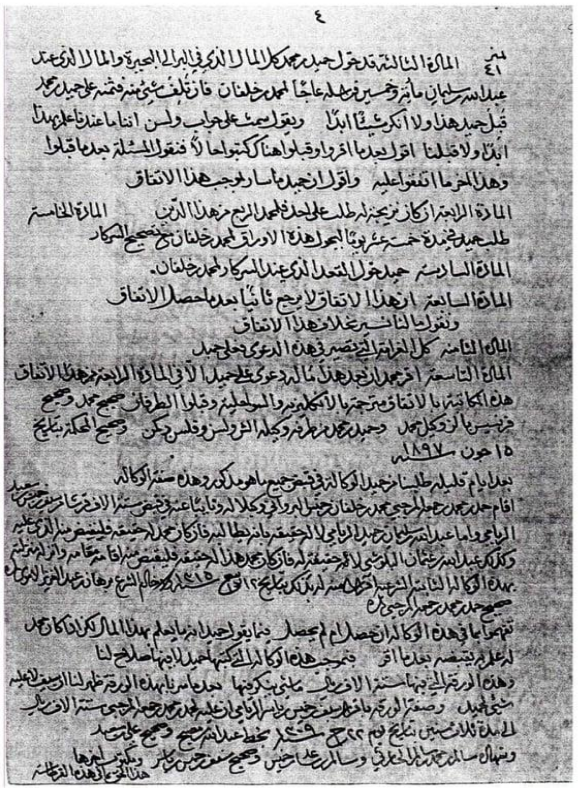

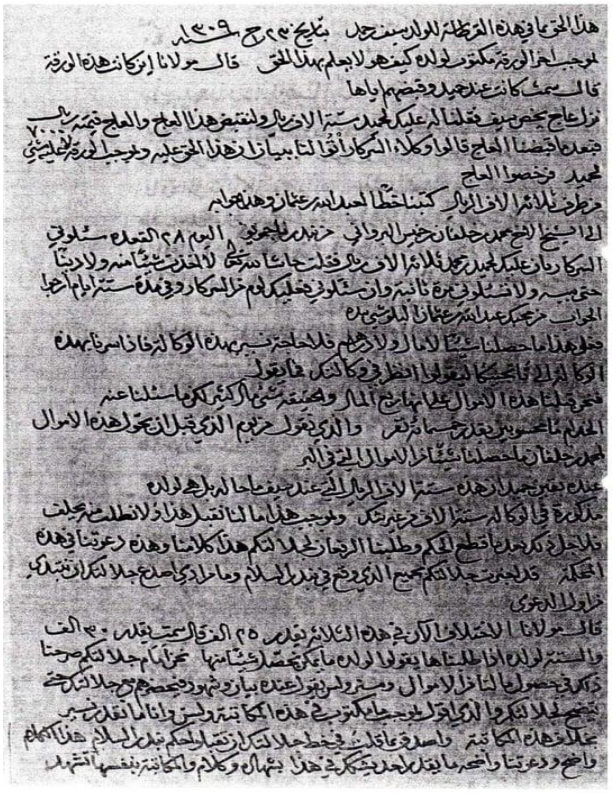

قائمة
البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

- **أولا : الوثائق و الرسائل:**

. وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8524 في 14 ماي 1885 م ، رسالة من الملك ليوبولد الثاني بشأن مخطط سري للهجوم على العرب ، المصدر سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، دور حميد بن محمد المرجبي في دواخل القارة الإفريقية .

. وثيقة من الأرشيف البلجيكي رقم 8525 في 16 ماي 1885 م ، رسالة من الملك ليوبولد الثاني مخطط سري للهجوم على العرب ، المصدر سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، دور حميد بن محمد المرجبي في دواخل القارة الإفريقية .

. وثيقة من أرشيف الوزارة الخارجية البلجيكية DT29 W37 تمثل شعار دولة حمد بن محمد المرجبي في ظل حكمه تحت دولة الكونغو الحرة ، المصدر مركز الدراسات العمانية ، جامعة قابوس ، عمان .

. وثيقة من أرشيف زنجبار برقم 2 – 23 – AA5 ، استماع خطاب الوكيلين في المحكمة السلطانية ، المصدر سعد بن عبد الله بن ظافر الشهري ، دور حميد بن محمد المرجبي في دواخل القارة الإفريقية .

- **ثانيا: المصادر المنشورة .**

1 ـ باللغة العربية و المعربة:

1.ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي) ' ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، تح الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، دار أحياء العلوم ، بيروت ، ط 1 ، 1407 هـ / 1087 م .

2 .الحموي ياقوت، **معجم البلدان** ، تح محمد أمين الحاجي ، الج 5 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1971م .

3. ابن خلدون (عبد الرحمن) ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، الج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971م .

4 . زيدان جورجي، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**" ، الج1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 .

5 . السيابي (سالم بن حمود) ، **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان** ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1965م .

6.لانجفورد سيندي هايند ، **سقوط عرب الكونغو**، ترجمة أحمد العبيدلي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1 ، 2010 .

7 . اللمكي (ناصر بن سليمان بن ناصر) ، **أشهر الحوادث و أعظم الرجال حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو**، مجلة الهلال المصرية، الجزء العاشر، 1 جوان سنة 1906 .

8.المرجبي (حمد بن محمد) ، "**مغامر عماني في أدغال إفريقيا (1840 . 1905) سيرة ذاتية** " ـ حياة حمد بن محمد بن جمعة المرجبي ، تر محمد المحروقي ، منشورات الجمل ، كولونيا ألمانيا . بغداد ، ط 2 ، 2006 .

9.المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين) ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الجزء1، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الأندلس، بيروت ،1973 م .

10. المغيري (سعيد علي) ، **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**، التحقيق محمد علي الصليبي، ط4، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، 2001 .

11. المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تح دي غويه ، مكتبة دبولي ، القاهرة ، ط3 ، 1411 هـ / 1991 م .

12. النخلي (زاهر بن سعيد) ، **تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار** ، رتبه لويس صابونجي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1979 .

2 ـ باللغة الأجنبية :

1) Livingstone David, **A letter to john kirk** , political agent Zanzibar, The Royal Geographical Society Of London, Vol14, No1, 1869-1870 .

- **ثالثا: مراجع .**

1 ـ باللغة العربية و المعربة :

1 ـ أبو عيانة (فتحي محمد)، **جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء**، كلية الآداب ، دار المعرفة الجامعية ، موتير . الإسكندرية، 2013م.

2 ـ ابداح محمد إبراهيم ، **أسياد العبودية –حقائق بين التلفيق والتوثيق**، دار الجنان للنشر والتوزيع ، د.ت .

3. جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، مصر، 1416هـ/ 1996م.

4. جلال يحي، **التنافس الدولي في شرق افريقيا** ،دار المعرفة ،القاهرة ،1959 .

5. الزوكة محمد خميس ، **دراسة في الجغرافية الإقليمية**، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، الإسكندرية ،2008م.

6.ستودارد لوثروب ، **حاضر العالم الإسلامي** ، تعليق شكيب ارسلان، تر عجاج نويهض ، ج3 ، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1394هـ/ 1973م

7. صالح محمود علي، **صفحات من تاريخ مقديشو** ، رمز مقديشو للبحوث والدراسات ، الصومال ، د ت .

8. عبد الخالق مهدي صالح والخليوي عبد الوالي أحمد ، **الجغرافيا النباتية** ، دار الصفاء للنشر ، عمان ، ط1 ، 1999.

9 ـ عبد الغني العقاد، **الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية**، دار المريخ للنشر، الرياض، ط2 ،1982 م.

10 . عبد القادر زبادية ، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2013م.

11 . عبد الله عبد الرزاق وشوقي جمل ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء للنشر، الرياض ، ط2، 2002م.

12 .عدنان (مراد)، **المجتمعات الإفريقية: أصولها ،تاريخها ،شعوبها وثقافتها** ،مطبعة اتحاد العرب ،القاهرة ،1995.

13 .علي عبد الظاهر علي، **ما أخفاه التاريخ : قصص منسية لبطولات أسطورية**، دار عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، ط1، 2017

14 .غنيمي رأفت، **دراسات إفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ ./2011م.

15 .فانسينا ،ج، **مملكة الكونغو وجيرانها**، ضمن كتاب: *تاريخ إفريقيا العام*، ج5، المكتبة الكاثوليكية ، اليونيسكو ، ط2 ، 1977 م .

16 . كام جوزفين ، " **مستكشفون في إفريقيا** " ، تر السيد يوسف نصر ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 2007م.

17 . كي زيربو جوزيف، **تاريخ افريقيا السوداء** ، تر: يوسف شلب الشام ، منشورات وزارة الثقافة ،سوريا ،1994 .

18 . الكيومي سليمان بن سعيد ، **الحركة العلمية في زنجبار وساحل شرق إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي** ، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، عمان ، د س ن.

19. كيمامبو .إ.ن ، **ساحل إفريقيا الشرقي والمناطق الداخلية من 1845إلى 1880م** ، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانياته) ، المجلد السادس ، اليونيسكو ، لبنان ، ط1، د س ن.

20 .محمد رياض وكوثر عبد الرسول، **إفريقيا دراسة لمقومات القارة**، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2، 1973م.

21. محمود شاكر، **تنزانيا**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1971م .

22. مصطفى عبد القادر وآخرون، **جغرافية القارة الإفريقية وجزرها**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، ليبيا ، 2000م.

23 .موسى العزب عايدة ، "**تجارة العبيد في إفريقيا**" ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1 ، 2007م .

24 . موسى علي ومحمد الهادي، **جغرافية القارات** ، دار الفكر ، دمشق ، 1995م.

25 . ناصر بن عبد الله الريامي ، **زنجبار:شخصيات و أحداث (1828.1972م)**، بيت الغشام للصحافة و النشر ، عمان ، ط 3 ، 2013م.

26. نجم الدين فليجة أحمد ، **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د س ن .

27. يوسف فضل حسن وآخرون : " **العرب وإفريقيا** " ، مركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر ، بيروت ، 1987م.

2 ـ باللغة الأجنبية :

1. Augustin Adam, **Patricia bauree and others: Pemba Island**, Encyclopedia Britannica, INC, Sep18.2015 .

2. Brode. Heinrich, **Tippo Tip The Story of His Career In Central Africa**, Translated By H. Havelock, Edward Aebold 41 & 34 Maddox Street, Bond Street W, London, 1907.

2. . Cartwright Mark, **Kingdom of Congo,** Ancient History Encyclopedia, Unesco archives, Chicago, 2 march 2019.

3.C.Boulger Démétrius, **The Growth of Civilisation In Central Africa**, W, Thacker and CO, Creed Lane, E,C , London , 1898 .

4. Coosemans .M, **Gongo Lutete, Chef Bakusu (Malela vers 1860 Gandu,14 Septembre 1892) ,** Inst Roy colon belge, Biographie Coloniale Belge,T,II,Col, 29 Novembre1948 .

5. Copland Reginald, East **Africa and its invaders from the earliest times to the death of seyid said**, the Clarendon press, Oxford, London, 1938 .

6.Decher Michelle, **"The Autobiography of Tippu Tip"**, Interventions, International Journal of Postcolonial Studies, USA, Published online in 03 Dec 2014.

7. Downing Angela, **The autobiography of Hamed Bin Muhamed el Murjebi, Tippu Tip**, In *Barcelona English Launguage and Literature Studies*, 1989.

8. E Flint John & Edgar Johnar, **the Cambridge history of Africa** , Vol5, Uk ,Cambridge press, , 1999 .

9. E, Page. Melvin, **The Manyema Hordes Of Tippu Tip : A case Study In Social Stratifaction and The Slave Trade in Eastern Africa**, The International Journal of African Historical Studies, Vol7, No1, Boston University African Studies Center, 1974.

10. Gooding .Philip, **lakeTanganyikac1880.1890**, The sissubmitted for the degree of PHD, department of history, university of London SOAS, 2017.

11. G. Richard. Stuart , **Ivory and slaves in East Africa,** Canadian Journal of Africa Studies , Vol 10 , no 1, Taylor & Francis Ltd, 1976.

12. Holt.P.M. & Slambton Ank & Others , **The Indian Sub-continent**, History Of Islam,V2A, Cambridge university press, 1970.

13. Luffin Xavier, **Arabic And Swahili Documents From The Pre-Colonial Congo and the EIC (Congo Free State , 1885-1908) Who Were The Scribes ? Islamic Manuscript**, Université Libre de Bruxelles, January 2017.

14 . . Madllum Aziz Abdullah**, Bismarck's diplomatic policy and competition towards the German colonies in Africa**, *Thesis submitted (PH.D) in political science*, University of St Clements, Iraq , 2011.

15. Mowla Knondakar Golam, **The Judgment against imperialism fascism and racism against caliphate and Islam**, Author House, V1 , US, 2008.

16.N . Nunn, **Shackled to the Past: The Causes and Consequences of Africa's Slave Trade**. In Diamond J, Robinson JA Natural Experiments of History. Cambridge, Harvard University Press , 2010.

17. Prestholdt Jeremy, **Domesticating the World , African Consumerism and the Genealogies Of Globalization** , University of California Press, 2008.

18. R.P .Ceulemans, **" La question arabe et le Congo (1883 - 1892)** ", Académie Royale Des Sciences Coloniales , Brussels ,1959.

19. Rushing .Erin, **David Livingstone and The Arab slave Trade Part 3, The slaver and the Abolitionist,** Smithsomian Libaries, Published in October 23,2013.

20. Skinner Annabel, **The Indian Ocean Islands-Pemba- Tanzanian Odyssey**, 4th march, 2013.
21. SheilaMuanga BhekinkosiMoyo, **King Léopold of Belgium in Congo**, Astrocities watch Africa promoting a culture of Documentary African history, 2017.

22. Tantala Reene , **East Africa the western Indian Ocean** , Basin And World Economy 1760 To 1850, college Entrance Examination Board, New York, 2012 .

23. Waller Horace And F .R.G.S, **The Last Journals Of David Livingstone in Central Africa From 1865 To his Death**, The Library of University Of California Riverside, London, 1874.

24. W.malocho. Nasor, **Tabora region socio**, joint publication by: the planning commission Dar Es Salam and regional commission of in Tabora, Tanzania, 1998.

3 /المقالات باللغات الأجنبية .

1. Adam Hochshild, Leopold II king of belguim, ***Encyclopedia Britannica***, (https://www.britannica.com/biography/Leopold-II-king-of-Belgium), (Apr5th, 2020)
2. Monarch , **King Léopold of the belgians, Blogpost of the Madmonrachist** , Monday, May 10th, 2010 (://madmonrachist.blogpost.com/2010/05/monarch-profile-king-léopold-ii-of-html)
3. Kolar , Calvin C**, "Resistance in the Congo free state": 1885-1908 (2015)** , ***Honors theses***, university of Carbondale, Illinois, .

.4 Richard Stockton , **Why isn't Belgium's King Léopold as Reviled as Hitler or Stalin**, ATI (https://allthatsinteresting.com/king-leopold-ii-congo), September 16th, 2016.

5. The Comorian Presence in Precolonial and Early Colonial Congo (19th Century-1908) Royal Museum for Central Africa, Historical Archives, Collection Tobback.

- **رابعا : الدراسات السابقة**

1. الخريجي محمد الصالح ناجية ، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية 1221/1367هـ 1807/1947م** ، رسالة دكتوراه ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة ، 1413هـ/ 1993م

2. الشهري سعد بن عبد الله بن ظافر ، **حميد بن محمد المرجبي ودوره الديني والسياسي والاقتصادي في وسط القارة الإفريقية (الكونغو) (1248هـ/ 1833م - 1323هـ / 1905م)** ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1434هـ / 2013م ، غير منشورة .

3. بابكور عمر سالم ، **الإسلام والتحدي التنصيري في شرق إفريقيا**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، 1990م.

4. سمباك فاطمة السيد علي، **التاريخ السياسي لسلطنة زنجبار**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،جامعة أم القرى، السعودية، 1979.

5. قاسم زكريا جمال، **استقرار العرب في شرق افريقيا**، بحث منشور في حوليات آداب جامعة عين شمس، مجلد10، 1966 .

6. قاسم محي الدين ، **التقسيم الإسلامي للمعمورة: دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث** ،تق عز الدين فودة ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي (سلسلة الرسائل الجامعية 24) ، ط1، القاهرة،1996.

7. معشي جميلة بنت عبدة بن موسى ، **جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا (1313.1110هـ / 1698 . 1895 م)**_، رسالة لنيل درجة ماجستير ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2014م .

- **سادسا : المجلات والدوريات العلمية .**

1. إبراهيم مصطفى الجبو ، الاستعمار البلجيكي لحوض الكونغو وإقصاء النفوذ العربي منه 1878 ـ 1894 ، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية ، الجامعة الأسمرية الإسلامية زليتن . كليتي الآداب والعلوم ، الع 30 ، جويلية ، 2017م .

2. اللمكي بن ناصر بن سليمان محمد ، **صفحة مجيدة من تاريخ الفتوحات العربية لأواسط افريقيا المظلمة** ، الج3 ، جريدة الفلق ، الع 521 ، السنة 10 ، 12 جويلية 1939م.

3. ... ، **صفحة مجيدة** ، الج5 ، جريدة الفلق ، الع 520 ، السنة 10 ، 21 جويلية 1939.

4. ... ، **صفحة مجيدة** ، ج 9 ، جريدة الفلق ، الع 520 ، السنة10، 31 ديسمبر 1938م.

5. ... ، **صفحة مجيدة** ، ج 10 ، جريدة الفلق ، الع 529 ، السنة 10 ، 4 مارس 1939م.

6. الساعدي صدام صحن علي ، **السير هنري مورتون ستانلي و دوره في إعلان دولة نغو الحرة 1876 . 1885** ، مجلة الآداب المستنصرية ، كلية التربية . الجامعة المستنصرية ، الع 165 ، 2013م.

7. الظرافي أحمد، **نهاية النفوذ العماني في ساحل إفريقيا الشرقي**، مجلة البيان، مركز البيان للبحوث والدراسات ، الرياض ، السعودية ، نشر بتاريخ 2019/04/30 ، أطلع عليه 2020/05/08 ، بتوقيت 11:42، موقع المقال :
http://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=6635

8. طنش محمد أحمد، " **حمد تيبوتيب ودوره السياسي في وسط إفريقيا**_" ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، جامعة القادسية لكلية الآداب ، الع 2.1 ، المجلد 7 ، 2008م .

9. عباس محمد شراقي، **هيدروجيولوجية نهري النيل والكونغو وإمكانية الربط بينهما**، في **المجلة المصرية لدراسات حوض النيل**، م1 ، الع2 ، جامعة القاهرة ، مصر، 2013 .

10. عبد السلام الترمانيني ، **الرق ماضيه وحاضره** ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الع 23 ، نوفمبر 1979م .

11. عبد الجليل بصيلي الشاطر، " **تيبوتيب حميد بن محمد بن جمعة المرجبي 1832 . 1905**" ، مجلة النهضة الإفريقية للثقافة الإفريقية ، الع 1 ، 1957م .

12. علي بن جريس غيثان ، **العرب وأوضاعهم السياسية والثقافية في مقديشو في العصور الوسطى**، مجلة العرب، مركز محمد الجاسر الثقافي، السعودية، الع 4، 27 جانفي 2007.

13. علي حسين فليح، **زنجبار دراسة تاريخية للوجود العماني في شرق افريقيا**، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، بغداد، الع64 ، 2001م.

14. محمد مين أبو منقه ، **التراث العربي الإسلامي في شرق افريقيا وغربها**، مجلة دراسات افريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الخرطوم، الع34، 21 ديسمبر 2005 .

15. منصور علي، **العرب وانتشار اللغة العربية في افريقيا الشرقية في العصر الإسلامي**، مجلة البلقاء للعلوم الإنسانية, م8, البحرين، الع2، 2001م.

16. موسى البوسعيدي ، " **التأثير العماني في دول وسط إفريقيا** " ، مجلة التفاهم ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان ، الم 15 ، الع 57-58 ، 30 سبتمبر 2017م.

17. وليد كامل إبراهيم المعموري ، **معاهدة سنة 1873م لإلغاء تجارة الرقيق في زنجبار** ، مجلة البحث العلمي في الآداب ، الع 10 ، الج 8 ، مصر ، 2018م .

- **سابعا : ندوات ومؤتمرات .**

1. المحذوري سليمان بن عمير بن ناصر، **دور التجار العمانيين في توصيل الدعوة الإسلامية إلى شرق و أواسط إفريقيا : الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري نموذجا** ،أعمال مؤتمر الدولي للدور العماني في وحدة الأمة، الجامعة الإسلامية العالمية . ماليزيا، 18-20 فيفري 2014م.

2. حسن مكي محمد أحمد، **المشكلات الإفريقية المعاصرة**، أعمال ندوة الجامعات والعمل الإسلامي في إفريقيا، تحرير عبد القيوم عبد الحليم الحسن، رابطة الجامعات الإسلامية، الخرطوم، 2009م.

3. حداد عدنان ، " **انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى لاسيما في جمهورية الكونغو الديمقراطية** " ، من أعمال المؤتمر الدولي الحادي عشر الإسلام في إفريقيا ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 26 . 27 نوفمبر 2006م .

4. محمد محروس صالح، " **رحلات حجاج شرق إفريقيا وآثارها في القرنيين التاسع عشر والعشرين** "، من أعمال مؤتمر الدولي لطرق الحج في إفريقيا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 28 ـ 29 نوفمبر 2016م.

5 . محي الدين محمد مصيلحى ، **النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة،** سيمنار للتاريخ **(العرب في إفريقيا الجذور التاريخية و الواقع المعاصر)،** كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دار الثقافة العربية ، القاهرة، 1987م .

6. مرقص رزق يواقيم، **العرب والكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر،** سيمنار للتاريخ **(العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر)،** كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دار الثقافة العربية ،القاهرة، 1987 م.

- **خامسا: الموسوعات**

1 ـ أبو سعيد المصري وآخرون، **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي** ، نقلا عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، ج 9، ف 17 .

2 ـ أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري ، **الأنساب** ، تح محمد إحسان النص ، ج2 ، الموسوعات الميسرة للتراث العماني ، عمان ، ط4 ، 2006م .

https://al-maktaba.org/book/491

3 ـ مصطفى أحمد حسام الدين إبراهيم ، **الموسوعة الجغرافية الأنهار . البحار . المحيطات . البحيرات،** دار العلوم للنشر والتوزيع ، مصر ، 2004م .

الفهرس

الفهرس

العناوين	الصفحة
ملخص الرسالة .	أ
شكر .	ب
إهداء .	ت
قائمة المختصرات .	ج
مقدمة .	01
الفصل الأول : حمد بن محمد المرجبي في دواخل القارة الإفريقية	
أولا: لمحة عن الأوضاع العامة لمنطقتي تنزانيا والكونغو من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر	6 – 22
1 : التحديد الجغرافي لمنطقتي تنزانيا والكونغو .	6 – 15
أ ـ منطقة تنزانيا .	6
ب ـ منطقة الكونغو .	10
2 : أهم الكيانات السياسية في منطقتي تنزانيا و الكونغو(زنجبار ، تنجانيقا ، أوجيجي ..)	16
2 ـ دور العمانيون في تحرير ساحل شرق إفريقيا من الاستعمار البرتغالي .	22
ثانيا : مولد حمد المرجبي ونشأته الأولى .	24 – 34
1 ـ نسب وأصل حمد المرجبي .	24
2 ـ نشأة حمد المرجبي الأولى .	30
ثالثا : رحلات حمد المرجبي .	35 – 51
1 ـ رحلة حمد المرجبي الأولى في أرض الأونيامويزي .	37

2 ـ رحلة حمد المرجبي الثانية في أرض الأونيامويزي وغرب تنجانيقا .	**41**
3 ـ رحلة حمد المرجبي الثالثة ودخوله أرض الكونغو .	**46**
الفصل الثاني : قيام دولة حمد المرجبي وعلاقاته الخارجية	
أولا : تغلغل حمد بن محمد المرجبي في الكونغو و دوره في نشر الإسلام.	**52 – 77**
1 ـ تأسيس دولة حمد المرجبي وتوسعاته في أرض الكونغو .	**52**
2 ـ تنظيمات حمد المرجبي في دولته .	**58**
أ ـ من الناحية الإدارية .	**59**
ب ـ من الناحية الاقتصادية .	**61**
ت ـ من الناحية الاجتماعية .	**66**
3 ـ جهود حمد المرجبي في نشر الإسلام.	**73**
ثانيا : علاقات حمد بن محمد المرجبي الشخصية و نشاطه في تجارة العبيد .	**78 – 106**
1 ـ علاقته بسلطنة زنجبار والزعماء الأفارقة	**78 – 87**
أ ـ بسلطنة زنجبار الإسلامية .	**78**
ب ـ بالزعماء الأفارقة .	**80**
2 ـ علاقته بالأوروبيين (المنصرين والمستكشفين) .	**86 – 106**
أ ـ المنصرين الأوروبيين .	**86**
ب ـ المستكشفين و الرحالة .	**89**
3 ـ نشاط حمد المرجبي في تجارة العبيد .	**97**
الفصل الثالث : الاستعمار البلجيكي في الكونغو والصراع مع حمد المرجبي	
أولا : التغلغل البلجيكي في حوض نهر الكونغو	**107 – 128**
1 ـ الملك ليوبولد الثاني وتأسيسه لدولة الكونغو الحرة .	**107**

الفهرس

2 ـ طبيعة العلاقة العربية البلجيكية .	**113**
3 ـ بوادر الصراع الأولى بين العرب والبلجيك .	**119**
ثانيا : تولي حمد المرجبي الحكم في هيئة الكونغو الحرة والتطورات السياسية الناتجة عنه .	**124 – 143**
1 ـ العرض البلجيكي لحمد المرجبي .	**124**
2 ـ الأوضاع السياسية والاقتصادية في ظل حكم حمد المرجبي والبلجيك.	**134**
3 ـ موقف السكان الأصلين من بوادر الخلاف العربي البلجيكي.	**139**
ثالثا : الصراع المسلح بين الاستعمار البلجيكي وعرب الكونغو والنتائج المترتبة عنه .	**144 – 162**
1 ـ الأسباب الحضارية للصراع العربي البلجيكي	**144**
2 ـ الاتهامات الأوروبية ضد حمد المرجبي وخروجه من الكونغو.	**149**
3 ـ المقاومة المسلحة وإقصاء النفوذ العربي بالكونغو.	**156**
خاتمة	**162**
الملاحق	**164**
قائمة البيبليوغرافيا	**176**
الفهرس	**186**